الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-2-

كلّية الآداب واللّغات الشّرقية

قسم اللّغة والأدب العربي

عنوان الأطروحة

الجوانب الفنيّة في رسائل الإمارات المغربيّة(الحفصيّة، الزّيانية، المرينيّة)

Technical aspects in the letters of the Maghrebian Emirates(Hafsid, Zayaniyyah and Marinid)

تخصّص: الأدب المغاربي القديم

إعداد الطّالب:

- محمّد حفاف

إشراف الأستاذ الدّكتور:

- د. طيب زريمش

لجنة المُناقشة

الاسم واللّقب	الدّرجة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
نسيبة العرفي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	رئيسًا
طيب زريمش	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	مُشرفًا
حفصة جعيط	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	مُناقشًا
إسراء الهيب	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	مُناقشًا
ميسوم فضة	أستاذ التّعليم العالي	زيان عاشور-الجلفة-	مُناقشًا
ميسوم فضة	أستاذ التّعليم العالي	زيان عاشور-الجلفة-	مُناقشًا

نوقشت بتاريخ:2024/06/03

السّنة الجامعيّة: ***2024/2023***

People s Democratic Republic of Algeria

Ministery Of Higher Education and Scientific Research

University of Algiers-02-abul Qasim Saadallah

Faculty of Arabic Language and Literature Oriental Languages

Department of Arabic Language and Literature

Technical aspects in the letters of the Maghrebian Emirates Hafsid, Zayaniyyah and Marinid

Thesis Submitted to obtain a doctorate degree in Arabic Language and literature

Specialization: Maghrebin Literature

Prepared by :Hafaf Mohamed supervised by prof tayeb zerimeche

Discussion committe

Name and surname	rank	universty	as
Nasiba elorfi	professor	Algiers-02-	President
Tayeb zerimeche	professor	Algiers-02-	Director
Israa El hib	professor	Algiers-02-	Discussant Member
Hafsa jait	professor	Algiers-02-	Discussant Member
Maysum fadda	professor	El-djelfa	Discussant Member
Mohamed azlaoi	professor	El-djelfa	Discussant Member

Academic year : 2023/2024

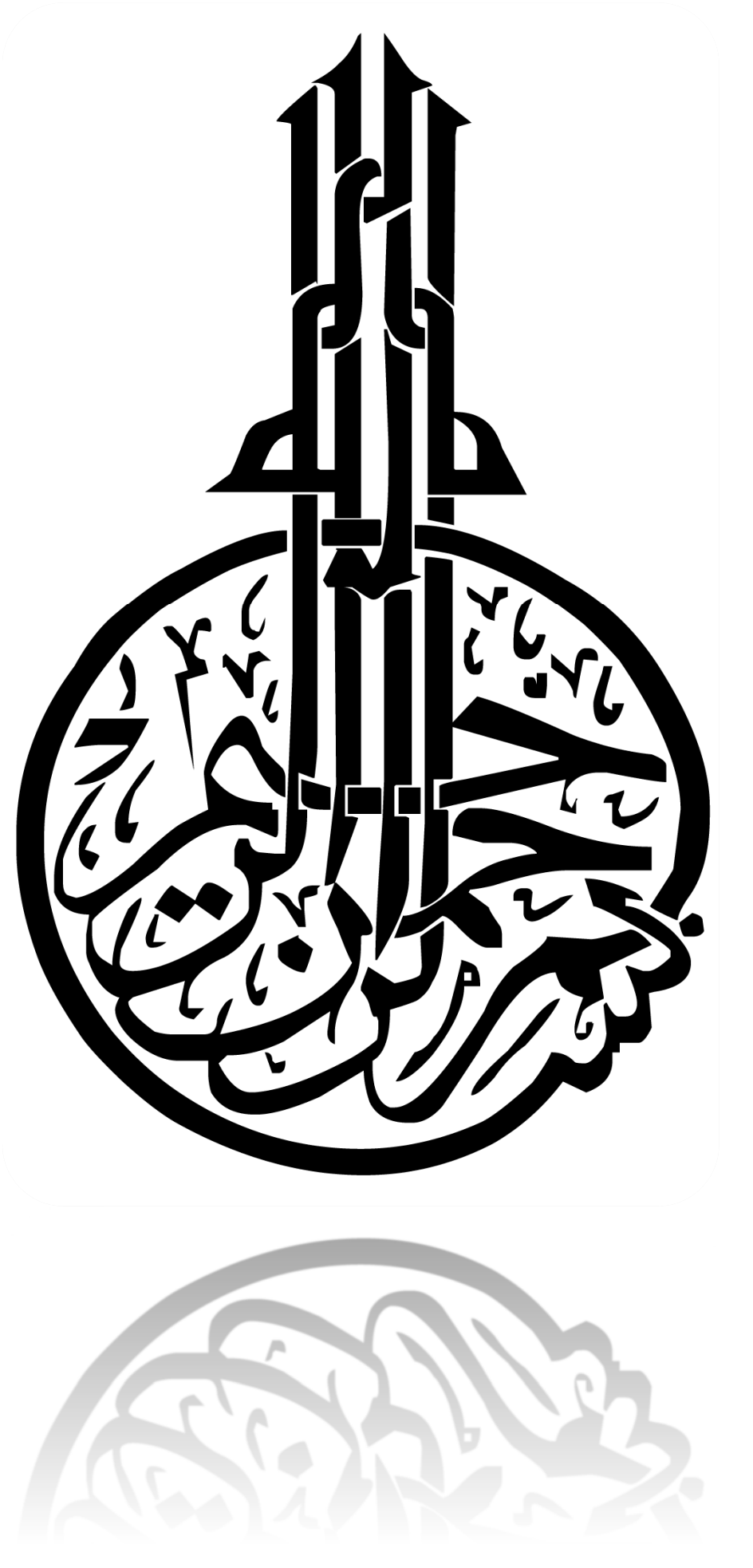

بسم الله الرحمن الرحيم

المجادلة 11

صدق الله العظيم

كلمة بين يدي البحث

يَقُول عماد الدِّين الأصفهاني

– رَحمه الله –

إنّي رأيتُ أنّه لا يَكتب أحد كتابًا في يومِه؛إلاَّ وقالَ في غَده:

لَوْ غُيِّرَ هَذا لكَان أحْسَن، ولو زِيْد هَذا لكَانَ يُسْتَحسن، ولَوْ قُدِّم هَذا لكَان أفْضل، ولَو تُرك هَذا لكَان أجْمَل، وهَذا من أعْظم العبر، وهُو دَليلٌ عَلَى استيلاء النَّقص عَلى جُملة البَشر.

الإهداء

إلى.....

روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الوالدة الكريمة حفظها الله ورعاها وأسعدها دومًا.

أخواتي وأولادهم وبناتهم.

أقاربي وأصدقائي وأحبائي.

زملائي في متوسطة: حمودي محفوظ.

وإلى.....

كلّ محبّ للغة الضّاد،وغيور على تراث أمتنا، وعاشق للأدب المغاربي والأندلسي،

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وعرفان

أتَقدَّم بالشُّــكر والامتنَان إلى أُستاذي المُشرِف
الأُستَاذ الدُّكتور : الطَّيب زرِيمَش الذي لَم يَبخَل عَليَّ
بِنصَائِحه القَيّمة وتَشجِيعَاته المُتواصلة طِيلة إشرافِه علَى
هَذا العمل، كَما أُوجِّه شُكرًا خَاصًّا إلى الأستَاذَتين
القَدِيرتين: لَطيفة حَجار، ونَسيبة العرفي علَى
مَجهُوداتهما الكَبيرة المَبذُولة مِن أجل نَجاح وتَميّز
طُلاّب شُعبة الدِّراسات الأدبيَّة.
كَــما أشــكُر كلّ من سَاهم من قَريب أو بَعيد في
إخرَاج هَذا العَمل إلى النُّور

مقدّمة

مقدّمة:

عَرفَ المغربُ الإسلامي بعدَ الصّراعاتِ والإماراتِ التي تَعاقبتْ عليهِاتحادًا زمنَ المُرابطين، فأدى ذلكَ إلى اِزدهارهِ في شَتى الميادين، لكن لم يَلبثْ أنْ تراجعَ دور المرابطينَ بظهورِ المُوحدين الذين يُعدّون أعظم دولِ المغرب الإسلامي بفضلِ توحيدهم بلادَ المغرب والأندلس وتَفوقِهم حتَّى على المشرقِ العربي الذي كان يشهدُ تراجعَ وموتَ الخلافةِ العباسيّةِ، غيرَ أنَّ دولةَ الموحدين لم تَدم طَويلاً خاصّةً بعد اِنهزامِها فِي مَعركةِ العُقابِ بالأندلسِ 609هـ/1212م فَظهرَت ثلاثُ دُويلاتٍ بالمغربِ الإسلاميِّ وإمارةٌ بالأندلسِ (الحفصيون بتونس، الزّيانيون بالمغرب الأوسط، والمرنيون بالمغرب الأقصى) وإمارةُ بَني الأحمر بالأندلسِ.

وقَد عَرفت الإماراتُ المغربيّةُ الثّلاث نهضةً في جميعِ الميادينِ نَتيجةَ السَّياسةِ المُحَكمةِ للأُمراءِ، والهِجرات الأندلسيَّة العديدةِ لهَا، فَحملُوا مَعهُم ثقافتَهم وفكرَهم ونُظُمَهم، كَمَا أنَّ التّنافسَ بينَ الأقطارِ الثّلاثةِ أسهمَ بدورهِ في اِزدهارهَا، فنبغَ الكثيرُ من العُلماءِ والشُعراءِ والأدباءِ.

ولمعرفةِ الجَوانبِ الحضاريَّةِ والثّقافيةِ في زمنٍ مَا أو قُطرٍ مُعيَّن لابدَّ من دراسةِ إنتاجهِ وموروثِه للحُكمِ عليهِ.

وهَذا مَا جَعلني أتَّجهُإلى حقبةٍ زمنيةٍ مُعيّنـــةٍ تَتمثَّلُ في مغرب ما بعدَ المُوحدين (الحفصيين، الزّيانيين، المرنيين) مُقتصرًا على جانبٍ أدبيٍّ يتمثّلُ في رسائلِ الإماراتِ الثّلاث بأنواعِها المُختلفة لأنَّها تُعبّر بصدقٍ عن الحراك الثّقافي المَوجُود، وتُصوِّرُ بدقَّةٍ مَا كانَت تَعيشهُ الإمَارات، لأنَّها صَادِرةٌ من الأمراءِ أنفسهِم، والعُلماءِ والأدباءِ، وحتَّى الأصدقاء فيمَا بينهم.

واِختيَارِي لهذا المَوضوعِ لهُ عدّةُ أسبابٍ منها مَا هُو ذَاتي ومنها مَا هُو مَوضُوعي، فالذَّاتي يتمثّلُ في مَيلي الشَّديد للبحثِ والغَوصِ في التّاريخ والكَشف عَن

أغوارهِ بالإضافةِ إلى مَيلي اِتجاهَ النَّثر، والرَّسائلُإحدى الأنواعِ النَّثرية التي تُصوِّرُالجَوانب الأدَبيّة والحَضاريّة لفترةٍ مُعينةٍ لأنَّها صَادرةٌ من الحكامِ مُرورًا بالأدباءِ وُصولاً إلى الأصْدِقاءِ.

أمَّا الأسبابُ المَوضُوعيّة تَتمثّلُ في إظهارِ بعض الفُنون–الرَّسائل– التي لم تَكُن محلَ اهتمام الباحثين، وإبراز الجوانب الفنيّة فيها.

وهذا ماجعلنا نطرح الإشكالية الآتية: ما أشكال وموضوعات الرّسائل في الإمارات المغربيّة، وما السّمات الجماليّة فيها؟

و قد اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج التّاريخي باعتباره أداة مثاليّة للوقوف والاطّلاع على الحياة الثّقافيّة والأدبيّة في الإمارات السّالفة الذّكر بداية من القرن السّابع الهجري إلى غاية نهاية القرن التّاسع الهجري، كما اعتمدنا على الوصف وكذلك التّحليل من خلال بيان الموضوعات التي اشتملت عليها مختلف الرّسائل وتحليلها.

وتمّ تقسيم البَحث إلى مُقدمة وتَمهيد وثلاثة فصولٍ وخَاتمة ومَلاحق في نِهَايته لإثرائهِ

تحدّثتُ في المقدمة عن مَوضوعِ البَحثِ، وأهميته، والدَّافع لاخياره، ومَنهجِي فيه وخُطته،وإشكاليته، والمَنهج المُتبع، معذكر الصُّعوبات التي اِعترضَت سَبيله.

تَلاها تَمهيد خَصَّصته للحَديث عن الامتداد التَّاريخي والجُغرافي للإماراتِ الثَّلاث، مع إعطاءِ نبذةٍ مُختصرةٍعَن حَواضرها (تونس، تلمسان، فاس)

أمَّا الفصل الأوّل، فذكرتُ فيهعَوامل ازدهارِ الإماراتِ المَغربيّة وأهمَّ الأعلامِ ومُصنفاتِهم، مُقسِّما إيّاه إلى ثلاثة مَباحث، الأوّل منه خاصٌّ بالإمارة الحفصيّة، والثّاني بالإمارة الزّيانيّة، والثّالث بالإمارة المرينيّة.

أمّا الفَصل الثّاني خصّصته للتّعريف بفن الرّسائل عندَ العَربِ، معَ ذكرِ أهمّ المَوضُوعات المُتناولة في رَسائل الإمارات المغربيّة، مُستشهدًا على كلّ نوع برسائل من الإماراتِ المذكورةِ.

في حين جاء الفصل الثّالث ليبحث عن السِّمات الجَماليةِ، والخَصائصِ البلاغيةِفي رسائل الإمارات المَغربيّة على اختلافِ أنواعِها، فدرستُ طَريقة البدءِ والعرضِ والختامِ فيها، وتنوعها من حيث الإيجاز والإطناب، ومُقارنة بعضها مع الفترة التي تسبقها– الموحديّة–واستخرجتُ بعض القضاياالبلاغية التي تناولتها.

وأنْهَيتُ البحثَ بخاتمةٍ، وهي عبارةٌ عَن اِستنتاجٍ عامٍّ وإجابة عَلى التَّساؤلاتِ المطروحَة، كَما أُرْفِقَ البحثُ بملاحقَ مُتنوعةٍ لإثرائهِ.

وقدْ تنوّعَت مصادرُ الرّسائلِ للإماراتِ المغربيّةِ (الحفصية، الزّيانية، المرينيّة) منها: "صُبح الأعشى في صِناعةِ الإنشا" لأبي العَباس أحمد بن علي القلقشندي (ت 821هـ/1418م) الذي اِحتفظ بمُراسلات سَلاطين الإمارات الثّلاث مع دولةِ المَماليك، وكتابُ "الذَّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينية" لمؤلف مجهول، عثرنا فيه على بعض الرّسائل الخاصة بالإعانة على الجهاد، وكتابُ "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر" لعبد الرّحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م) الذي خَصَّ جزأيه السّادس والسّابع للحديث عن الإمارات الثّلاث، كما ذكرَ بعض الرّسائلِ الدّيوانيةِ والإخوانيةِ، وكتابُ "نَفح الطِيب من غُصن الأندلس الرّطيب" و "أزهار الرِّياض في أخبار القاضي عياض" لشهاب الدِّين أحمد بن محمد المقري التلمساني ذكر فيهما العديد من الرّسائل الإخوانية كما اِحتفظت كتبُ الرّحلاتِ بالعديد من الرّسائل، منها "رحلة التّجاني" لأبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التّجاني (ت 721هـ/1321م) فقد اِشتملت الرّحلة على مادّة تاريخيّةٍ وثقافيّةٍ غزيرةٍ، كما اِشتملَت على العديدِ من الرّسائلِ الإخوانيةِ التي كانت تَتبادلها أسرة التّجاني

فيما بينها، أو الأدباء مع أصدقائهم، ومنها رحلةُ "فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السّعيدة إلى قسنطينة والزاب" لابن حاج النميري، وصفَ رحلة أبي عنان إلى قَسنطينة بعد اِستيلاءِ المرينيينَ على المَغربيين الأوسط والأدنى، واِنفردت الرِّحلة بتسجيلِ بعض رسائل أبي عنان في تلك الفترة، ومن كتب الرّحلاتِ أيضًا "التَّعريف باِبن خلدون ورحلته شَرقًا وغربًا (ت 808هـ) وقد أفادتنا الرِّحلة كثيرًا في العثورِ على بعضِ الرّسائلِ التي كان يتبادلُها مَع السّلاطين أو أصدقائه الأدباء كاِبن الخطيب، كما اِستعنّا بمجموعةٍ من المراجعِ الحديثةِ، منها "علاقاتُ إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثّاني من القرن الرّابع عشر ميلادي لعمر سعيدان، وهو من المراجع الحديثة القيّمة التي أفادتنا بالكثير من الرّسائل الدّيوانية التي تندرج ضمنَ رسائل المعاهدات التي أبْرَمَها سلاطين وأمراء بني زيّان مع ملوكِ إسبانيا القطلانية، وكتابُ "مجاميعُ فن التَّرسيل في عصرِ الموحدينَ بالمغرب والأندلس" لإدريس البلغيثي، حيث زوّدنا برسائلَ قيّمةٍ، مثل رسائل أبي بكر ابن خطاب التي لا تزال مخطوطة، وكتاب "النبوغ المغربي" لعبد الله كنون ذكر فيه بعض رسائل الفترة المرينية.

أمّا الصُّعوبات والعقبات التي واجهَت البحث تتمثّلُ أساسًا في عدمِوجودِ مُصنَّفاتٍ جامعةٍ لرسائل الإمارات المَغربيّة الثّلاث، وكلّ ما هو موجود فهو شتاتٌ في مَصادرَ مغربيّة قديمةٍ، كمَا أنَّ بعضها لايزال مخطُوطًا في مكتباتِ وخزائن المَغرب الأقصى كفصلِ الخطابِ لأبي بكر ابن خطاب الذي اِستحالَ الحُصول عليه لعدَّةِ أسبابٍ أبرزُها توقفُ حركةِ الملاحةِ الجويَّة بسبب الجائحةِ.

ومن العَقباتِ التي واجهتني خلالَ فترة البَحث اِنشغالي بالتّعليم الذي كانَ يَصرفُني عن البحثِ حينًا ويَقطعُني عنه حينًا آخر، فمعلومٌ أنَّ المشتغلَ بهِ محرومٌ من نعمةِ الوقت لِانشغاله بالعملِ أو التَّحضيرِ لهُ.

وقد حاولتُ قدرَ الإمكانِ الالتزامَ بالحيادِ في العرضِ والتَّحليلِ، فإنْ شابَ البحث نقص فمن نَفسي، وإنْ وُفِقْت فيهِ فبفضلِ اللهِ ثُمّ بفضلِ أستاذي المُشرف الطَّيب زريمش الذي لم يَبخل عليَّ بالنّصائحِ والتّوجيهاتِ فكانَ سَندًا قويًّا بتشجيعاتهِ المتّكررةِ وعباراتهِ المحفزةِ، كمَا لا يَفوتنِي أنْ أتقدمَ بالشُّكرِ إلى فريقِ التّكوينِ الذي أسهم في تَأطيرنَا وتَوجيهِنَا وعَلى رأسِهم الأستاذَتين القَديرتين لَطيفة حَجار ونَسيبة العُرفي.

تمهيد

تمهيد:

شهدَ المغربُ الإسلاميُّ بعد زوالِ الموحدين ظهورَ ثلاث دويلاتٍ جديدةٍ الحفصية بالمغربِ الأدنى، الزِّيانية بالمغربِ الأوسطِ، والمرينيّة بالمغربِ الأقصَى.

1-الدّولةُ الحفصيّةُ:

نَبذةٌ تاريخيّةٌ جغرافيّةٌ عن الدّولةِ الحفصيَّةِ:

ينتسِبُ الحفصيونَ إلى أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، وهُو من مُوريدي اِبن تومرت وخاصتهِ[1] يرجعُ نسبهُ إلى أميرِ المؤمنينَ أبي حفص عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو كبير هنتاتة من المصامدةِ بالمغربِ الأقصى وعظيمهم[2] في عهد الملك الموحدي النَّاصر بن المنصور تكالبَ ابن غانية على تونس وعلى سائر إفريقية فملكَها، لكن اِستطاعَ الملك الموحدي اِسترجاعَها فقرَّر بعدها العودة إلى مراكش وأرادَ أن يولي على إفريقية من يقوم مقامَه فوقعَ اِختياره على أبي محمد عبد الواحد الذي رفضَ في البدايةِ الولاية ثمَّ قَبِلها بشروطٍ شَرطهَا[3] وتَمثلت شُروطه فيما يأتي:

أوَّلاً: أنْ يرجعَ إلى الغرب بعد قضاءِ مهماتِ إفريقية في ثلاث سنين.

ثانيًا: أنْ يختارَ من رجالِ المُوحدين من يكون عونًا له في أمورِهِ.

ثالثًا: ألاّ يتعقبَ عليهِ في ولايةٍ أو عزلٍ.[4]

بعد وفاة مُحمّد عبد الواحد بن أبي حفص سنة 618هـ، وصلَ أبو زكريا يحيى الأوّل من المغربِ صُحبة أخيهِ أبي عبد الله من قبل الخليفة المُوحدي محمّد النّاصر بن

---

[1] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1965، ج2، ص 07.

[2] ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزّمان بأخبار مُلوك تونس وعهد الأمان، ج1، تح: لجنة من كتابة الدّولة للشؤون الثّقافية والأخبار، الدّار التّونسية للنّشر، ط2،1976،ج1، ص 193.

[3] ابن الشّماع، الأدلة البينة النّورانية في مفاخر الدّولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدّار العربيّة للكتاب دط، 1984 ، ص 49-50.

[4] ابن أبي الضياف، المصدر نفسه، ص 194.

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فولي أبو زكريا مدينة قابس من قبل أخيه المذكور، ثُمَّوقعَ خِلافٌ بينهما فخرجَ أبو محمّد عبد الله لقتال أخيه، غيرَ أنَّ الموحدين أبَوْ ذلك فرجعَ إلى تونس واِستقرَ بالقصبةِ، ثمَّ وصَلَ أبو زكريا لتونس سنة 625هـ فَملكهَا ووجَّه أخاه إلى إشبيلية[5] وعلى يدِ أبي زكريا بن عبد الواحد الحَفصي حَصلَ الانفصال النِّهائي عَن الدّولة الموحديةسنة 626هـ، واِستمر عُمر الإمارة طَويلاً إلى أنْ سَقطتْ على يدِ العُثمانيين سَنة 981هـ/1584م وكانَت حُدود الدّولةِ الحَفصيّة تَمتدُّ من طَرابلس بِليبيَا شَرقًا إلى بجاية وتَدلس غربًا ومَا بعدَ ورقلة في الصَّحراءِ جنُوبًا.[6]

2-الدّولةُ الزّيانيةُ:

لَمحةٌ جغرافيّةٌ تاريخيّةٌ عن تلمسانَ:

تقعُ تلمسانُ في الإقليمِ الرّابعِ الذي يعدُّ من أعدلِ الأقاليمِ وأفضلِها إنتاجًا وهي مَابينَ إفريقية والسّوس.[7]

تَقعُ على ارتفاعِ 830م فوقَ سطحِ البحرِ، وتحيطُ بها جبالٌ وهضابٌ صخريّةٌ ومرتفعاتُ قرارة ولالة سَتِي، وتُشرِف على سُهولٍ خصبةٍ شَاسِعةٍ تحيطُ بها مثل سُهول الحَنايةومَغنية، كما تمتازُ بكثرةِ مِياهها فضلاً عن الأوديةِ التي تمرُّ بها وبِضواحيهَا مثل وادي متشكانة وواد الوريط ووادي الصَفصاف ووادي يَسر.[8]

وتلمسانُ هي وسطٌ بين التّلِ والصّحراءِ وهي مُركبةٌ مِن تِلِمْ ومعناه تَجمع السّكان وسَان معناه اثنان أي الصّحراء والتّل، ويقالُ فيها أيضا تلشان وهو أيضًا مُركب مِن تل

---

[5] ابن الشّماع، الأدلة البينة النّورانية في مفاخر الدّولة الحفصية، ص 53-54.

[6] مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، مطبعة الكرمل الحديثة، بيروت، لبنان، ص 119-120.

[7] زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد مطبعة بيرفونطانيا الشّرقية، الجزائر، 1903، ص 7.

[8] عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، 2012، ص165.

ومَعْناه بال، وشَان أي لهَا شانٌ عظيمٌ وهي مدينةٌ عريقةٌ في التّمدنِ لذيذةُ الهواءِ كريمةُالمنبتِ اقتعدَت بسفحِ جبلٍ ولملوكِها قصورٌ زاهرةٌ اشتملَت على المصانعِ الفائقةِ والصُّروح الشّاهقةِ والبساتينِ الرّائقةِ.[9]

جاءَ في مُعجمِ البلدانِ لابن حَوقل أنَّ تلمسان بِكسرتين، وسُكون المِيم، وسِين مُهملة وبَعضهُم يقول تِنِمْسان بالنون عِوضَ اللاّم.[10]

ومَدينةُ تلمسان مِن أقدمِ مدنِ المغربِ الأوسطِ ويتَّضحُ ذلك من خلالِ مُختلف الحفرياتِ والأبحاثِ فوُجِدت فيها آثارٌ رُومانيةٌ وبيزنطيةٌ، فبنى الرُومانُ بها مدينةَ بُوماريا ومن أسمائِها أيضًا أجَادير، أو أقادير وهي تَسمية أُطلقَت على المَدينةِ قبلَ مَجيءِ الإسلامِ.[11]

أثناءَ الفُتوحاتِ الإسلاميّةِ تمكَّنَ أبو مُهاجر دِينار التّوغل في بلاد المَغرب حتى وَصلَ إلى مدينةِ تلمسان وحَفر بالقربِ مِنها عُيونًا أصبحَت تُسمى باسمه عُيون أبي المهاجر، ذكرَ الطبري أنَّ أبا قرة اليفريني الخارجي-المذهب-الذي بُويع بالخِلافة في مُنتصفِ القرنِ الثّاني الهِجري (148ه/765م) استقرَبمدينةِأقاديررفقةَقَومِه.[12]

وعندَ قيام دَولة الأدارسة خَضعَت لها مَدينةُ أقادير، وشيَّدُوا بها المَساجد كمَا خَضعَت المدينةُللفاطميينَ وبَعدها للصّنهاجيينَ مدّةً من الزّمنِ، كَما غَزاها المنصور بن بلكين بن زيري وأولى عليها ابنه يعلى بن زيري فعاشَت أقادير عهدًا من الاضطراباتِ نتيجةَ هذه الحروبِ بين الحماديين الصنهاجيين وأمراء المدينة اليفرنيين.[13]

---

[9] زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني الواد، ص 09-10.

[10] ياقوت الحموي معجم البلدان، مج2، دار صادر بيروت، 1977، ص 44.

[11] عبد العزيز فيلالي، المرجع السّابق، ص 165.

[12] يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزّيانية 1236 ه/1554 م، مجلة الأصالة،ع: 26 1975، ص 4.

[13] يُنظر:يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التّاريخية لدولة بني عبد الواد الزّيانية، مجلة الأصالة،ع:26، ص 5-6.

وعندَ ظُهور دولة المُرابطين توسَّعت نحو أقادير وإقليمها وعَيَّن الأمير يوسف بن تاشفين على أقادير محمد بن تينعمرالمسوفي الذي أسَّس قرية تاكرارت ومعناه المحلة أو المعسكر، وكانت في بدايةِ الأمرِ هذه المحلة مفصولة بسورٍ عن أقاديرَ، ثُمَّ بعد مدّةٍ من الزّمنِ أُزيل هذا السُّور وضَمّت تاكرارت إلى أقاديرَ وتكوَّنت منهما مدينةٌ واحدةٌ هي مدينةُ تِلمسان.[1]

وفي فترةِ الحُكمِ المُرابطي بَدأت تلمسانُ بالتّوسعِ عمرانًا وبالنّموِ اقتصادًا، وبِبَعث الحركة العلمية والفكرية بها، فبنوا فيها قَصرًا فخما للأمير، كَما بنو مَسجدًا جامعًا بجانبِ القَصرِ[2] وازدادَ تطورُ المدينةِ في فترةِ المُوحدينَ من حيثُ الحَضارة والعمران وبرزَ فيها بنُو عبد الوَاد، وبنو تُوجين وبنُو رَاشد حتى بلغَت أهميّةً كبيرةً خاصةً بعد تخريبِ ابن غانية مدينةَ تَاهَرت الدّاخلية ومَدينة أرشيكول السَّاحلية فأصبحَت قِبلةَ الجميعِ ممَّا مهَّدَ لبني عبد الواد ليتخذوها عاصمةً لهم ودارًا لملكهم منذ منتصف القرن الثّالث عشر الميلادي.[3]

وبنو عبد الواد مُؤسِّسوا الدّولة الزّيانية هُم أحد بطونِ القبيلةِ العتيدةِ زناتة، كانت مَواطنهم ما بينَجبال سعيدة شرقًا ووادي مَلوِية غربًا.[4]

وهُم مِن أهل الوبر استوطنُوا الصَّحراء ينتجعونَ مَراعيها مِن سَجلماسة إلى أرض الزاب*من إفريقية[5] وأوّل مُلوكهم يَغمُراسن سنة (633-1236) إلى (681-1283).[6]

---

[1] يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزّيانية، مجلة الأصالة العدد: 26، ص 6.

[2] عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، ص 175.

[3] يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 6-7.

[4] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 125.

*منطقة بالجنوب الشّرقي للجزائر تتمثل في مدينة بسكرة.

[5] زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص 7.

[6] محمد عبد الله التّنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّروالعقيان في بيان شرف تلمسان، تحقيق محمود أغا ابو عياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 115.

1. لَمحةُ تاريخيَّةٌ جغرافيَّةٌعَن دولةِ بني مَرين:

بَنُو مَرين فَخذ مِن زَناتة وهم ولد مَرين بن وَرتاجن بن مَاخُوخ بن وَجديج بن فاتن بن يَدر بن يَجفت بن يَصليتن بن عبد الله بن ورتيب بن المعز بن إبراهيم شجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زاكيا بن وسيد بن زانات بن جانا بن يحي بن تمريت بن ضريس وهو جالوت ملك البربر ابن رجيح بن مادغديس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهم عرب الأصل يجيئون من ولد نزار بن معدّ.[1]

وقَدْ رفعَ بعضُ أهلِ التّاريخِ نَسبهُم مِن جَدّهم الأمير عبد الحق إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[2]

والقبيلةُ التي ينحدرُ منها بنو مرين–زناتة–أممٌ كثيرةٌ وقبائل جمّة منها مغراوة ومَغيلة ومَطغرة وبنو وَاسين وجَراوة وسُوماتة وبنو مَرين وبنو عبد الواد وإخوتهم بنو تُوجين، وكلّهم عرب الأصل من ولد بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، والسَّبب في تَغييرِ لغتهم عن لغةِ أجدادهِم العربيَّة إلى البربريةِ ماذكرهُ علماءُ التّاريخِ وأهلُ المعرفةِ بالأنسابِ وأيامِ النَّاسِ فإنَّهم اتفقوا أنَّ الأبترَ بعد خروجهِ إلى فلسطين مَخافة قتلهِ من إخوتهِ تزوَّجَ ابنةَ عمّهِ البهاء فولدَت لهُ ولدين علوان الذي لم يعش ومادغيس الذي لُقّب بالأبتر من البربر وإليه يرجعون أنسابهم ومن ولده جميع قبائل زناتة.[3]

---

[1] مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينية، تح: محمد بن أبي شنب مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920 ص 09–10.

[2] إسماعيل بن الأحمر، روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرّباط، المغرب، 1962، ص 8.

[3] مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينيّة، ص10–13.

يحدُّ الدّولةَ المرينيّة شرقًا نَهرُ مَلوية الذي يُميِّزه عن تلمسانَ وشمالاً مَضيقُ جبلِ طارق وبحر إسبانيا وجنوبًا قمة جبالِ الأطلسِ الكبيرِ.[1]

اتَّخذَ المرينيونَ مدينةَ فاسٍ عاصمةً لملكِهم، وكانَ قدْ أسَّسَ هذه الحاضرة أحدُ الفارينَ من الخليفةِ العباسي هَارُون الرَّشيد، إدريس سنة 185 هـ[2] وقد اُختلِف في سببِ تَسميتِها بهذا الاسمِ فذكرَ الجزنائيعدّة رواياتٍ منها أنَّ إدريسَ لمَّا شرعَ في بنائِها كانَ يعملُ فيها بيدهِ معَ الصُّنَّاعِ والفعلةِ فصنعَ لهُ بعض الخدمةِ فاسًا من ذهبٍ فكان يُمسكه بيدهِ ويبدأ بهِ الحَفر ويختطُ بهِ الأساسات للفعلةِ: فَكثُر ذِكرُ ذلك الفاسِ على ألسنتهِم في طولِ مُدَّةِ البناءِ، فكانَ الفعلةُ يقولونَ: هاتوا الفاسَ، خذوا الفاسَ، احفروا بالفاس فَسُميت بفاسلأجل ذلكَ.[3]

ويُقالُ: أنَّه لمَّا شرعَ في أساسها من جهةِ القبلةِ وجدَ في الحفرِ فاسًا كبيرًا طُوله أربعةُ أشبارٍ فسُميّت المدينةُ بهِ وأُضيفت إليه، وقِيلَ إنّه لما تمّت بالبناءِ قِيلَ للإمام إدريس: كيفَ تُسميها؟ قالَ أُسميها باسم المدينة التي كانت قَبلها فِي مَوضعِها الذي أخبرَنِي الرَّاهب أنَّه كانت هُنَا مَدينةٌ أزليَّةٌ من بُنيانِ الأوائلِ فخرجت قبل الإسلام بألفِ عَامٍ وكان اِسمُها سَاف، ولكني أقلب اسمَها الأوَّل وأسَمِّيها بهِ فجاءَ منهُ فاس فسُميّت بهِ.

وصَفها صَاحبُ الاستبصارِ" وقاعدة بلاد المغرب مدينةُ فاس، هي أعظمُ مدينةٍ من مصرَ إلى آخر بلاد المغرب، ومدينةُ فاس مدينتان كبيرتان متفرقتان، يشقُّ بينهما نهرٌ كبيرٌ يُسمّى بوادي فاس، يدورُ عليها سُورٌ عظيمٌ".[4]

---

[1] مارمول كربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، مطبعة المعارف الجديدة، 1988-1989، ص 125.

[2] الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمّد حجي ومحمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2 1983، ج1، ص 218.

[3] علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرّباط، المغرب، ط1991،2، ص24.

[4] مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، د ط، د ت، د ر، ص 180.

كما ذكرهَا صَاحِبُ الرّوض المعطار في خبر الأقطار:

"مدينةُ فاس قطب بلادِ المغرب الأقصَى ويَسكن حَولها قبائل البربرِ، لكنَّهم يتكلمونَ بالعربيّةِ، فهي حضرة المَغرب الكُبرى وإليها تُشدُّ الرّكائب وتقصدُ القَوافل، وتُجلَب إلى حَضرتِها كلُّ غريبة من الثّيابِ والبَضائعِ والأمتعةِ، وأهلُها مَياسِير ولهَا من كلِّ شيءٍ حُسن أوفر حظ".[1]

وصَفها الحَسن الوَزان الفَاسي فقال: "إنّ فَاسًا مدينةٌ كبيرةٌ جدًّا، تُحيط بها أسوارٌ مَتينةٌ عَاليةٌ، وتكادُ تكون كلّها مشيّدة على تلال، يدخلُ الماءُ إلى المدينةِ من نــقطتين يمرُّ أحد فروع النّهر بالقربِ من فاس الجديد جنوبًا ويدخل الفرع الآخر من جهة الغربِ، وبعد دخول الماءِ إلى المدينةِ يُوزَّعُ بواسطةِ عددٍ من القَنواتِ، تسوق معظمه لدور السّكان ورجال الحاشيةِ الملكيةِ وسائر الأبنيةِ الأخرى".[2]

والدُورُ مَبنيةٌ بالأجرِ والحجرِ المنحوتِ بدقَّةٍ، ومُعظم هذا الحجرِ جميلٌ ومزدانٌ بفسيفساء بهيجةٍ وكذلك الأفنية والأروقة مبلطة بالزليجِ أما السُّقوفُ فمصبوغةٌ بألوانَ زاهيةٍ مثل الأزورد والذَهبِ.[3]

وَصفَ الفقيهُ، والكاتبُ البارعُ محمد بن أبي عبد الرّحمان مَدينة فاس، مُبديًا تَشوّقه إليها حينَ وَلِيَ القضاء بمدينة أزمور*

يافــاسُ حــيَّ اللهُ أرضــكِ مِــن ثَــرى وَسَـقاكِ مِـن صَـوبِ الغمَـامِ المسـبل

---

[1] محمد بن عبد المنعم الحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ لبنان، بيروت لبنان، ط1، 1975، ص 434.

[2] الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص 221.

[3] نفسه، ص 222.

*أزمور: مدينة واقعة على الضفة الجنوبية لنهر أم الرّبيع لدى انصبابه في المحيط الأطلسي تبعد 80 كم عن الدّار البيضاء من جهة الجنوب.

يَاجَنـــةَ الـــدُّنيا التـــي أربـــتْ علَـــى حِمـــصٍ بمنظرِهَـــا البَهـــيِّ الأجمَـــل

غُـــرفٌ عَلَـــى غُـــرفٍ ويَجـــري تَحتهـــا مَـــاءٌ ألـــذُّ مِـــنَ الرَّحيـــقِ السَلسـل

وَبَســـاتِنُ مِـــن سُـــندسٍ قَـــدْ زُخرِفَـــت بِجـــدَاولَ كَالأيمـــأو كَالفَيصـــل

وبِجَـــامعِ القَـــروينَ شُـــرف ذِكـــرهُ أنـــسٌ تَـــذكُّره يَهـــيجُ تَملمِلـــي

وبِصَـــحنهِ زَمـــنَ المَصـــيفِ مَحاسِـــنٌ فَمـــعَ العَشـــيِّ الغـــربَ فيـــهِ اســـتقبل

أجلـــــسْ ازاءَ الخصةالحُســـــنَابهِ واكـــرعْ عبهـــا عَنـــي فَـــديتُك وانهـــل[1]

---

[1]عليالجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 33.

الفصل الأوّل

عوامل إزدهار الإمارات المغربيّة، وأبرز العُلماء ومُصنفاتهم

شَهدَت فترة الإماراتِ المَغربيّة–الحَفصية، الزّيانية، المَرينيّة–نَشاطًا علميًّا ثقافيًّا مُزدهرًا فأُقيمت العَديدُ من الصّروحِ العلميَّة كالمساجدِ والزّوايا والمدارسِ الكُبرى والخزائنِ والمكتباتِ فأقبلَ النّاسُ على التّعلمِ فبدأَ يبرزُ جيلٌ من الأعلامِ في مُختلف العلومِ والفنونِ الذين سَاهمُوا بدورهم في إزدهارِ الحياةِ العلميَّة والثقافيَّةِ من خلال مُصنفاتِهم العديدةِ التي إنكبَّ النّاسُ على قراءتها والانتفاعِ بها، كمَا كانَ لسلاطينِ هذه الإمارات مُساهمة فعّالة في ذلك، فالكثيرُ منهم كانَ عالمًا أو أديبًا فشجعُوا طلبَ العلمِ، وقرَّبوا العُلماءَ، وتَنافسُوا في جلبِ أبرعِ وأشهرِ الكتّابِ كمَا أنَّ التَّوافد الأندلسي كانَ لهُ تأثيرٌ كبيرٌ على مُختلفِ جوانبِ الحياةِ المغربيةِ فالكثيرُ منهم تقلّدَ مَناصِبَ عُليا في الدّولةِ أو الإدارةِ وتَصدَّرَ كَثيرٌ منهم مِهنةَ التَّعليمِ.

المبحث الأول: الدَّولةُ الحفصيّةُ

أ- عواملُ ازدهارِ الحَياةِ العلميَّةِ والثّقافيَّةِ في الدّولةِ الحَفصيّةِ:

1. المساجد:

حَرِصَ المُسلمونَ منذ بدايةِ الإسلامِ على تشييدِ المَساجدِ والإعتناء بها، فبالإضَافة إلى دَورِهَا التّعبُدي كانَت المركز الرَّئيسَ الذي يَنتهِل منهُ المُسلمونَ عُلومهم ومعارفهم، وفي الفترةِ الحفصيّةِ أوْلىَ سَلاطينها عِنايةً فائقةً لبناءِ المساجدِ وتَوْقِيفِ الأملاكِ عليها كمَا زَوّدوها بأمهاتِ الكتبِ وأنفسِها تَسهيلاً على طلبةِ العلمِ، ومن أبرزِ هذه المساجدِ:

- **جَامعُ الزَّيتونة: اُختلففيمن بنى الجامع، فبعضهم نَسبه لحسان بن النّعمان الذي فتحَ تُونس سنة 79هـ، وقالَ ابن الشباط أنَّ عبيد الله بن الحبحاب هو من بناه[1] أمّا تَسميتُه بجامعِ الزَّيتونة فقد قالَ ابن الشّباط أنَّه كانَ هُناك شجرة زيتون مُنفردة فلمَّا بنى المُسلمونَ الجامعَ حَذوها نسبوه إليها فصارُوا يقولونَ جامع الزّيتونة[2] وشهدَ الجامع في العهدِ الحفصي عنايةً كبيرةً من طرفِ السّلاطينِ، فالمنتصر وضعَ له قناةً لسقايةِ الجامعِ[3] كما وضعَ السّلطان أبو عمرو الحفصي خزانةً بمقصورتهِ الشّرقيةِ[4] والسّلطان أبو فارس وضعَ كذلك خزانةَ كتبٍ بهِ[5] وجامع الزّيتونة كانَ من أنشطِ المراكزِ المُساهمة في ازدهار الحياةِ العلميَّةِ، فكان مَقرًا لأبرزِ الفُقهاءِ كابن عرفة وأبي القاسم البَرزلي، وأبي القاسم بن نَاجي وغيرهم[6]، وقد وصفهُ العَبدري في رحلتهِ: "وهذا الجامع من أحسنِ الجوامعِ وأتقنها وأكثرها إشراقًا".[7]**
- **جامعُ القصبة: بناهُ السّلطان أبو زكريا يحيى سنة 629 هـ بتونس، وجدّدَ رسومَ القصبة، ولمّا كَمُلت الصَومعة في شهر رمضان من سنة 630هـ صعدَ إليها وأذّن فيها بنفسهِ.[8]**

---

[1] محمد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد في القديم والجديد، تح: الجيلاني بن الحاج وحمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1985،ص 42-43.

[2] محمد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد، ص 45-46.

[3] نفسه، ص 47.

[4] أحمد ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج1، ص 236.

[5] المصدر نفسه، ص 231.

[6] محمد بن عبد العزيز ابن عاشور، جامع الزّيتونة المعلم ورجاله، دار شراس للنّشر، تونس، 1991، ص 88.

[7] العبدري، رحلة العبدري، تح: إبراهيم كردي، دار سعد الدّين، دمشق، سوريا، ط2،2005، ص 110.

[8] الزّركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس ، ط2، دت، ص 34.

- **جامعُ قَسنطينة: وسَّع السّلطان أبو زكريا الجامع وأصلحه وجدّده واشترى دورًامن الحضر وزادها في القصبة، حتى أصلحَ بذلك سور القصبة.[9]**
- **جامعُ التَّوفيق: وهو من بناءِ الأميرةِ عَطف زوجةُ أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي وتمَّ بناؤُه سنة650 هـ[10]ويسمَّى هذا الجامع بجامع الهواء، ومن أئمتهِ الشّيخ الأبي شارح صحيح مُسلم[11].**
- **جامعُ باب البحرِ:سُمي هذا الجامعُ في البدايةِ جامع الزّيتونة، وغلُبَ عليه اسم جامع باب البحرِ لموقعهِ على مَقربة من مياهِ البُحيرة المتَّصلةِ بالبحرِ، وهو من تأسيسِأحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي في حدود سنة 681.[12]**
- **جامعُ سيدي جَعفر: بناهُ السّلطان أبو عمرو عثمان الحفصي بباب السويقة[13] ويَذكُر محمّد بن الخوجة أنه سُمِّي بجامع التّبانين لقربِ موقعهِ من موقف باعة التبون، حيث كانت معامل صنعِ البرادعِللبغالِ والحميرِ.[14]**
- **جامعُ بِجاية: وَصفهُ العَبدري في رحلتهِ: "ولهَا جامعٌ عجيبٌ منفردٌ في حسنهِ، من الجوامعِ المشهورةِ الموصوفةِ المذكورةِ وهو مُشرفٌ على برها وبحرها، وموضوع بين سحرها ونحرها، فهو غايةٌ في الفرجةِ والأنسِ، ينشرحُ الصّدرُ لرؤيتهِ وترتاحُ النّفسُ".[15]**

---

[9] ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادىء الدّولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدّار التّونسية للنّشر والتّوزيع، دط، 1968 ، ص 152.

[10] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، دط، دت، ص 123.

[11] محمد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد في القديم والجديد، ص 122.

[12] المرجع نفسه، ص 123.

[13] أحمد ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص 237.

[14] ينظر: محمد بن الخوجة، تاريخ معالم الإيمان، ص 136.

[15] العبدري، رحلة العبدري، ص 83

- **جامعُ الشّيخ سالم المَشاط: نِسبةً إلى سالم المشاط وهو من رجالِ القرنِ التّاسعِ الهِجري.[16]**
- **مَسجدُ الشّيخ الحطاب: نسبةً إلى الشّيخِ المذكورِ الأندلسي الأصلِ الطرابلسيو الوفاةِعُرفَ بورَعهِ وصَلاحهِ لهُ مُؤلفات في الفقهِ والنّحوِ والأصولِ والفلكِ والحديثِ واللّغةِ.[17]**
- **مَسجدُ الشّيخ عبد السّلام الأسمر (زلطين): يقعُ المسجدُ وسطَ مدينةِ زَلطين الواقعةِ شرقَ طرابلس بحوالي 153 كلم أسَّس المسجد الشيخ المذكور المتوفى سنة 980هـ[18]، ترك العديدَ من المُؤلفاتِ منها العظمة في التّحدث بالنّعمة، الأنوار السنية في أساليبَ الطَّريقة العروسية التّحفة القدسية لمن أراد الدّخول في الطَّريقةِ العروسية.[19]**

2. الزَّوايَا:

تُعتبرُ الزَّوايَا من أقدمِ المراكزِ التَّعليميةِ عند المُسلمينَ، وهي بمثابةِ مَرحلةٍ وُسطى للتّعليمِ ما بينَ الابتدائي والثَّانوي[20] وأهمُّ العلومِ المدرّسةِ بها حفظُ القرآنِ الكريمِ وتعليمُ الكتابةِ والنّحوِ والحسابِ، والشعرِ، وأخبار العربِ[21] ومنَ الزَّوايَا التي بُنيَت في الفترةِ الحَفصيَّةِ:

---

[16] مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية، ج1، الدّار العربيّة للكتاب، بيروت، لبنان،1980، ص 44.

[17] مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية، ص 55.

[18] نفسه، ص 184.

[19] نفسه، ص188.

[20] ينظر: محمد عادل عبد العزيز، التّربية الإسلاميّة في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1987، ص 39-40.

[21] إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدّولة الحفصيّة، رسالة دكتوراه، القاهرة، مصر، 2000 ص 192.

- **زَاويَةُ أحمد بن عرُوس: أمرَ ببنائِها أبو عبد الله مُحمد المُنتصر جَاعلاً لها أوقافًا لإعانتها.[22]**
- **زَاويَةُ باب البحرِ: شيَّدهَا السّلطانُ أبو فارس عبد العزيز بعدما كانت مكانًا معدًّا للمعاصِي.[23]**
- **زاويةُ خارج باب سَعدُون: بَناهَا أبو فارس عبد العزيز بحومةِ باردُو، وجعلَ فيها مكانًا لمبيتِ النّاسِ.[24]**
- **زاويةُ حي الدّامُوس: وهي من بناءِ السّلطانِ أبي فارس، وكانت خَارِج باب علاوة المعروف بالصّالح سيدي فتح الله، حيث جعلها ملجأً للواردين من تلكَ الجهةِ إذا لم يقدرُوا على الوصولِ إلى المدينةِ.[25]**
- **زاويةُ سِيجُوم: شَيَّدها المَولى أبي عبد الله ابن أبي فارس، فكانَت غايةً في الحسنِ والإتقانِ، وعملَ فيها جامعًا للخطبة ودَرسًا لقراءةِ العلمِ، ورباطًا لسُكنى الطلبةِ وقراءةِ القرآنِ، وأوقفَ عليها حَبسًا قويًّا يكفِيها، كمَا جعلَ فيها مكانًا خاصًا للمقيمينَ والواردينَ عليهَا.[26]**
- **زاويةُ عين الزميت: بَناهَا السّلطان أبو عمرو عثمان، وهي ما بينَ مدينتي بَاجة وتُونس وأنشأ بها مَسجدًا وعيَّنَ لها مُدرسًا، كمَا جعلَ لها رِباطًا للقاطنيينَ وطعامًا للصّادرينَ والوافدينَ.[27]**

---

[22] ابن أبي الضياف، مصدر سابق، ص 236.

[23] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 116.

[24] نفسه، ص 116.

[25] نفسه، ص 116.

[26] ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 118.

[27] نفسه، ص 120.

- **زاويةُ صولة: بناهَا أبو عمرو عثمان، وكانت بجوارِ الشَّيخ الصَّالح سيدي مَحرز بن خَلف.[28]**
- **زاويةُ السَّقاطين: كانَت الزّاويةُ في الأصلِ صَومعةً لراهبٍ نَصراني، وهي أشبهُ ما تكون بالدّيرِ، وكانت مقصدًا لرَاغِبي الكَمال الرُّوحي.[29]**

3. المَدارسُ:

ظَهرَت المَدارسُ في الحضارةِ الإسلاميّةِ منذ بدايةِ القرنِ الخَامس الهجري بعد الإقبالِ الكبيرِ على التَّعلّم في المَساجدِ، حِينها بدأَ التفكيرُ في تحويلِ بعضها إلى مدارسَ فكان جامعُ الأزهرِ بمصرَ أوّلُ جامعٍ يحوّلُ إلى مدرسةٍ عام 378هـ[30]، أمّا ظُهورها في المغرب الإسلامي اِختلفَ فيه الباحثُونَ لقلّةِ النُّصوصِ التَّاريخيَّةِ، فبعضهُم يَرى أنَّ الموحدينَ هُم أوّلُ من أسَّسهَا بالمغربِ والأندلسِ، وآخرونَ يَعتبرونها من صنيعِ بني مَرين لغيابِ الشَّواهدِ الماديَّةِ على وجودِها في الفترةِ الموحديَّةِ خاصةً إذا عَلمنا أنَّ الفترة الزّمنية مُتقاربة بينهما[31] وفي العهد الحفصي بدأَ تأسيسها معَ السّلطان الأول أبي زكريا ثمَّ سارَ بقية السّلاطين على نهجهِ فشيّدُوا العديدَ من المدارسِ أشهرُها:

- **المدرسةُ الشَّماعية: أسَّسهَا السّلطان أبو زكريا الأول، وكانَت قُربَ الجامعِ الأعظمِ من أشهرِ مشايخِها أبو القاسم البراء وأبو القاسم القَسنطيني[32] سُمّيت بهذا الاسم لوقوعِها بسوق الشّماعين، وتعدُّ هذه المدرسة من أعرقِ المدارسِ في المغربِ الإسلاميِّوأحسنها**

---

[28] الزّركشي، المصدر نفسه، ص 135.

[29] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 197.

[30] ينظر: راغب السّرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، مؤسسة اِقرأ للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2009 ج1، ص 210.

[31] يُنظر: محمّد عادل عبد العزيز، مرجع سابق، ص 41-42.

[32] ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 56.

تنظيمًا حيث خَصصُوا بها مكانًا لسُكنى الطلبة ولمدرسيها مُرتبًا شَهريًا قدره عشرة دَنانِيرَ.[33]

- مدرسةُ جامع الهواءِ (التَّوفيقية): وهي من بناءِ الأميرةِ عَطف زوجةُ أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي سنة 650هـ، وشيَّدت معها جامع الهواءِ، ونظّمَت بها دُروسًا، وجعلَت لها أوقافًا[34]، ومن أوائلِ المُدرسينَ فيها اِبن سَيد النّاس، وعبد الله الشّريف.[35]
- مدرسةُ المعرض: وهي من بناءِ الأمير أبو زكريا يحيى بن أبي إسحاق إبراهيم واِقتنى لها كتبًا نفيسةً بمالهِ الخاصِ[36]، وكانت المدرسةُ غايةً في الجمالِ جُلبَ لها الرُّخام البديعُ وأقامَ بها مَسجدًا ومساكن للطلبةِ[37] من شُيوخِها الشَّريف أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب كتاب المشرق في علماء المغرب والمشرق.[38]
- مدرسةُ عُنق الجملِ: بَنتها أختُ السّلطان أبي يحيى، وعند الإنتهاء منها طلبَت من أخِيها تَعيين قاضي الجَماعة ابن السلام مُدرسًا بمدرستِها.[39]
- المدرسةُ المُنتصرية: أمر ببنائِها السّلطان الحفصي المنتصر، وكانَت بسوقِ الفلقةِ بتونس[40] وهي أوّلُ المدارسِ تُسمّى بأميرٍ حفصي، وبعد وفاته واصل أخوه السّلطان أبو عمرو عثمان بناءها، ومن أشهر مُدرسيها مُحمد بن عقاب، وأحمد القلشاني، وقاضي الأنكحة أحمد القَسنطيني.[41]

---

[33] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 142.

[34] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 123.

[35] ابن الشّماع، مصدر سابق، ص 56.

[36] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 51.

[37] ابن قنفد، الفارسية، ص 155-156.

[38] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 51.

[39] نفسه، ص 79.

[40] نفسه، ص 132.

[41] القلصادي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشّركة التّونسية للتوزيع، دط،1978، ص 114.

- **المدرسةُ التَافراجينية: وهي من بناءِ الوزيرِ أحمد بن تافرجين، من شُيوخها أبو القاسم البرزلي[1] وابن عصفور[2].**
- **المدرسةُ العصفوريةُ: سُمِّيت بهذا الإسم نسبةً لمؤسّسِها ابن عصفور الإشبلي أبرز أئمةِ النّحوِ في عصرهِ، والمدرسةُ تقعُ بسوقِ العطارينَ وعَرفَت زيادةَ بعض الهياكل في عهدِ عَمرُو عثمان الحَفصي.[3]**
- **المدرسةُ العُثمانية: أتمَّ بناءَها السُّلطان أبو عمرو عثمان بعد وفاة أخيه، وكانت بسوقِ الفلقةِ بجوار ضريحِ سيدي مَحرز، كما أنشأ بها مَسجدًا وأوقفَ عليها أوقافًا كبيرة.[4]**
- **مدرسةُ سِيجوم: أنشأها السُّلطان عبد الله محمد ابن أبي فارس، وأنشأ معها زاوية وجامعًا لإقامة الخطبة.[5]**
- **كما نجد في الفترة الحفصيَّةِ عدّة مدارس من بناءِ الشيوخِ والعلماءِ كالمدرسةِ الحكيمية التي شيَّدها محمد بن علي اللّخمي المعروف بِابن الحكيم المنتسب إلى بيت العزفي الرؤساء بسبتة[6] كما بنى الشيخ يحيى السليماني سنة 747هـ مدرسة عُرفت بِاسمه[7] ومحمد المغربي أسّسَ مدرسةً عُرفت بالمدرسة المغربية وكان هذا العالم مُعاصرًا للشّيخ محمد عبد الله المرجاني مؤسّس المدرسة المرجانية في القرن السّابع الهجري.[8]**

---

[1] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 199.

[2] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 139.

[3] محمّد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد، ص 289-290.

[4] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 71.

[5] نفسه، ص 142.

[6] نفسه، ص 176.

[7] محمّد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد، ص 295.

[8] يُنظر: ابن قنفد، الفارسية، ص 273. محمّد خوجة، نفسه، ص 293.

4. إنشاءُ المَكتبات:

المَكتباتُ هي: "تلك المُؤسَّسة الثّقافية التَّربوية الإجتماعيّة التي وُجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينّة من مصادر المعرفةِ بحيث تُنظّم وتُرتّب وفقَ طرُق معينَّة وتحت إشرافِ فردٍ أو مجموعةِ أفرادٍ مُتدربين على القيامِ بأعمالِ المكتبة وخدمة رُوادّها"[1]

والعربُالمُسلمونَ عُرِفوا في تَاريخهم المُشرق بحبّهم للكتبِ وعنايتهم بالمكتباتِ باِعتبارها مِن أهمِّ وسائل نشر المعرفة وإرتقاء الفكر ونضجه، وفي الفترةِ الحفصيةِ ظهرَت العديدُ من المكتباتِ سَاهمَت في إزدهارِ الحياة الفكريَّة والثّقافيَّة، فمُؤسّسها الأوّل أبو زكريا كان شغُوفًا بالكتبِ فأسّسَ خِزانةً إحتوت على ستة وثلاثين ألف كتابٍ[2] كمَا عُرف عن السلطان أبي فارس عبد العزيز مُلازمته لقراءةِ العلمِ في سَفره وترحاله فأنشأَ مكتبةً عُرفت باِسمه–الفارسية–وكانت بجامعِ الزّيتونةِ أوْقفها على طلبةِ العلمِ ينتفعونَ بها على ألاّ يخرجَ منها شيءٌ حفاظًا عليها، وجعلَ لها خدمة لتنظيفِها ومناولتِها للطلبةِ وإرجاعِها[3] واِحتوت هذه المكتبة على العديدِ من الكتبِ في مُختلف العلومِ والفنونِ، وفي هذا يقولُ الزركشي: "... وحبس ما فيها وفي غيرها من الكتبِ في العلومِ الشّرعيَّةِ والعربيّةِ واللّغة والطّبِ والحسابِ والتّاريخِ والأدبياتِ وغير ذلكَ"[4] والخلفيةُ أبو عمرو عثمان أمرَ ببناءِ مكتبةٍ بالمقصورةِ الشّرقيةِ من جامع الزّيتونة عُرفَت في مصادرِ التّاريخِ بالمكتبة العثمانية، واِحتوت هذه المكتبة بدورها على أمهاتِ الدَّواوينِ، جاعِلاً لها خدمةًووقفًا لتموينِها فانتفع

---

[1] ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999 ص 113.

[2] ابن قنفد، الفارسية، ص 113.

[3] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدّولة التّونسية، تونس، ط1، 1286، ص 136.

[4] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 116.

بها طلبة العلمِ اِنتفاعًا كبيرًا[1]، كما أسّسَ أبو عبد الله بن الحسن حوالي 1500م مكتبة بجامع الزّيتونة عُرفت في التّاريخِ بالمكتبةِ العبدلية.[2]

لم يكن إلحاقُ الخزائن والكتبِ مُقتصرًا على المساجدِ، فبعضها أُلحِق بالمدارس والزّوايا، فالأمير أبو زكريا بن أبي إسحاق لما بنى مدرسةَ المعرض واِشترى كتبًا نفيسةً من مُختلفِ الفنونِ وحَبسها عليها[3] كمَا تميّزت المكتبات الحفصية بثرائِها، وهذا ما لاحظهُ العبدري في رحلتهِ، حيث وجدَ بمكتبةِ جامع الزّيتونة مَصاحف كثيرةٍ بالخطِ المشرقي، كمَا لاحظَ وجودَ كُتبٍ قديمةٍ ترجعُ إلى عهدِ سَحنون (ت 240هـ)، وموطأ ابن القاسم (ت 191هـ)، كمَا وَجدَ بها مَصحفًا من الحَجمِ الكبيرِ يرجعُ تاريخهُ إلى عهد الخَليفة الثَّالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.[4]

5. هجرةُ الأندلسيينَ:

تعتبرُ الهِجراتُ الأندلسيّةُ من أبرزِ العَواملِ التي سَاهمَت في اِزدهارِ الحَياةِ العلميَّةِ في الفَترةِ الحَفصيّةِ، واِنجذاب الأندلسيين نحوَ إفريقية راجعٌ لميلِ الحفصيين إلى أهلِ الأندلسِ وتقديرهم لمواهبهم، فمؤسِّسُها الأوّل أبو محمد عبد الواحد كان أحد الأبطال المهندسين لمعركة الأركِ الشّهيرةِ، كما كانت الدّولةُ الحفصيّةُ أكثر دولِ المغربِ الإسلاميِّ اِستقرارًا[5]، كلّ هذا شجعَ الأندلسيينَ إلى الهجرة نحو إفريقية عندما بدأت المدن الكبرى تسقط في أيدي النّصارى كسقوطِ قُرطبة سنة 633هـ وبَلنسية سنة 636هـ، وإشبيلية سنة 646هـ ومُرسية سنة 666هـ فاِشتدت الضُّغوط على المسلمينَ لتبديلِ دينهم وترك

---

[1] ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص 137.

[2] روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تر: حمّادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1988، ج2، ص 386.

[3] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 51.

[4] العبدري، رحلة العبدري، ص 161-162.

[5] محمّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، الأصالة، العدد: 26، ص 51.

أراضيهم[1]، فبدؤوا يتوافدونَ بكثرةٍ إلى إفريقية، وفي هذا يقولُ اِبن خلدون: "فلمّا تكالبَ الطّاغيةُ على الدّولةِ واِلتهمَ ثُغورها واِكتسحَ بسائطها، وكان قصدهم إلى تونس أكثر لِاستفحال الدَّولة الحفصية بها"[2].

ولم يكنْ هذا التّوافد مُقتصرًا على الأعلامِ وأهل البيوت، بل اِنتقلَ إليها أيضًا أقوام بأجمعهم خَاصةً بعد فشلِ الكثيرِ منهم الاستقرارَ بالمغربِ الأقصى نَتيجةَ الإِضطراباتِ الحَاصلةِ فيه.[3]

هَؤلاء الأندلسيون كان لهم تأثير في مُختلف جوانب الحَياة الحَفصيّة، ففي عهد أبي زكريا الأول (625-647هـ) أرادَ الإِستفادة من خِبرتهم فاِستعانَ بهم واِستكثر منهم في بلاطه مُقلدًا بعضهم أسمَى الوَظائف والمراتبِ فكانَ عبد الله محمد بن أبي الحسين مُسيرًا لشؤونِ دولته، وابن الآبّار كَاتبًا لعَلامَتِه، كمَا تقلّدَ كثير منهم مَناصبَ عُليا في الإدارةِ والجيشِ.[4]

وفي الميدانِ الثّقافي كانَ تأثيرهم كَبيرًا، فتصدّرُوا مِهنةَ التَّعليم بمختلفِ أطوارِهِ التّعليميَّةِ فكانَ الإقبالُ عليهم كَبيرًا لشُهرتهم وجَاذبيَّة أساليبهم وطُرق تدريسهِم المُختلفة عمَّا كانَ سائدًا في تونس، وفي هذا الصّدد يقولُ ابن خلدون: "وأما أهل إفريقيا فيخلطونَ في تعليمهم للولدان القرآنَ بالحديثِ في الغالبِ، ومدارسة قوانين العلوم، وتلقين بعض مسائلها. إلاّ أنَّ عنايتهم بالقرآن، واِستظهار الولدان إياه، ووقوفهم على اِختلاف رواياته وقراءته أكثر ممَّا سواه، وعنايتهم بالخط تبعٌ لذلكَ وبالجملةِ فطريقتهم في تعليمِ القرآنِ أقربُ إلى طريقةِ أهل الأندلسِ: لأنَّ سَند طريقتهم في ذلك مُتصل بمشيخةِ الأندلسِ الذين

---

[1] محمّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، الأصالة، العدد26 ، ص 53-54.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ج6، تح: خليل شحادة وسهيل ركار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، دط2000، ص 438.

[3] محمّد الطالبي، نفسه، ص 57.

[4] يُنظر: محمّد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة إفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ط1991،1، ص 32.

أجازوا عند تغلب النّصارى على شرق الأندلس واِستقروا بتونس، وعنهم أخذ ولدانهم بعد ذلك"[1] فكثير منهم عيّن في المدارس الحفصية الكبرى، من بينهم أبو بكر محمد بن أحمد عبد الله بن سيد النّاس الذي أوكلت له مهمة التّدريس بالمدرسة عند حمام الهواء.[2]

كما كانت للأندلسيينَ الصَّدارة في مختلفِ العلومِ، ففي النّحو برزَ اِبن عصفور الإشبيلي وأبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللّبلي، وفي مجالِ الأدبِ اِنتقلَ مشاهيرُ الأدباءِ وكبار الشعراءِ إلى تونس كاِبن سَعيد صَاحب كِتاب المُغرب في حلى المَغرب والبياسي صَاحب كتاب الحماسة الذي ألَّفه بتونس، والكاتب البارع ابن عميرة، والبلاغي النّاقد الفذّ حازم القرطاجني ومن الشعراء أحمد بن محمد الخلوف ومحمد الخير، والأديب الشاعر ابن الآبار القضاعي[3]

كمَا كانَ لهم حُضور في الميدانِ العلمي اِنتفعت الدّولة الحفصيّة بتوافدهم كاِبن أندراس الطّبيب البارع الذي اِتّخذه المستنصر طبيبًا خاصًا به، ومحمد بن عيشون طبيب ابن اللّحياني، وفي مجال النّبات برعَ اِبن الرُومية واِبن البيطار، وفي الرّياضيات برعَ القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي المتوفى ببجاية 891هـ، من مُصنفاته بتونس: "كشف الجلباب عن علم الحساب" و "القانون في الحساب".[4]

وفي العُلوم الدّينيَّة برزَ كوكبة من العلماءِ أمثال البطرني وأبو عبد الله بن أحمد بن حيان الأنصاري وابن الغماز البلنسي واللّخمي وأبو محمد بن برطلة الأشبيلي.[5]

وإجمالاً يُمكن القول أنَّ هؤلاء الأندلسيينَ اِستطاعُوا أنْ يؤثروا تأثيرًا كبيرًا في مُختلف جوانب الحياة الحفصيَّةِ بماحَملوه من علومٍ وفنونٍ وعاداتٍ وعمرانٍ.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج1، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدّولية، دون بلد، دون سنة، د ط، ص 293.

[2] محمد طالبي، المرجع السّابق، ص 66-67.

[3] نفسه، ص 69.

[4] محمّد رزوق، المرجع السّابق، ص 40.

[5] نفسه، ص 41-42.

ب- أشهرُ عُلماء الدَّولة الحَفصيّة ومُصَنفاتِهم:

أوَّلاً: العلومُ الدّينيةُ

"وهي علومٌ مُستمدة من النُّصوصِ الشّرعيَّةِ، فلا يَجتهد فيها الإنسانُ إلاّ مَا تعلّقَ بفروعِها، وهي علومٌ خاصةٌ بالمسلمينَ دونَ غيرهم"[1]ومن هذه العلوم:

1. التّفسيرُ:

وهو: "العلم الذي يبحثُ عَن بيان معَاني ألفاظ القرآن الكريم وما يُستفاد منها بإختصار أو تَوسّع"[2] وعلمُ التّفسير أوَّلُ العلومِ الإسلاميّةِ ظُهورًا، وكان زمن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، فكان الصَّحابة يسألونهُ عن بعض مَعاني القرآن الكريم كما سَأله عُمر رضي الله عنه عن الكَلالَةِ، ثمَّ إشتهر فيه بعض الصَّحابة كعلي وابن عباس رضي الله عنهما[3] ومن أعلامِ التّفسيرِ في العهد الحَفصي:

- **ابن بَزِيزة (606-662هـ): كانَ مَولده بتونس، تفقّهَ على محمد بن عبد الجبار الرّعيني السّوسي وأبي محمد عبد السّلام البرجيني[4] له تآليفٌ عديدةٌ في هذا العلم منها: "تفسير القرآن" وله مُختصر سَمّاه: "إيضاحُ السَّبيل إلى مناهجِ التَّأويل" كما له تفسير جمعَ فيه بين تَفسيري إبن عَطية والزَّمخشري[5]، كانت وفاته 662هـ[6].**

---

[1] ابن خلدون عبد الرّحمان، المقدمة، ج2، تح: محمّد الدّرويش، دار البلخي، دمشق سوريا، ط2004،1، ص 171.

[2] ابن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج1، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، 1984، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص 14.

[4] محمد قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 2003، ج1، ص 273.

[5] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ج1، ص 95.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، د س ، ص 268.

- **محمد عبد النّور التّونسي: وهُو من بيوتات العلم بتونس، أخذَ العلم عن جماعةٍ من الأندلسيينَ الوافدينَ كابِن شقر والقاضي الرّعيني السّوسي، من مُصنفاته اِختصار تَفسير ابن الخطيب، وهو اِختصارٌ حَسن لتفسير الإمام الرّازي في سبعة أسفارٍ.[1]**
- **البَسيلي: هو ابن محمد بن أحمد أحد أبرز تلاميذ ابن عرفة، كما قرأَ على أبي الحسن البطرني وابن خلدون والغبريني[2]، من مُصنفاته تفسير قيّده عن شيخه ابن عرفة وأضاف إليه زوائد من غيره، كما لهُ تقيد صغير في التّفسير.[3]**
- **أبو الحَسن علي بن أحمد بن إبراهيم الحَرالي: وهو أندلسي الأصلِ، وُلدَ بمراكش ثمّ رحلَ إلى المشرق ولقيَ العديدَ من العلماءِ، من مُؤلفاته في علم التّفسيرِ: "مفتاح اللّباب المقفل على فهم القرآن المنزل" كما له تفسير كان يُورِدُ فيه الآيات ويُناسقها بطريقةٍ بديعةٍ ويتكلمُ فيها بما لم يَسبقه أحد سَالكًا في تفسيره سَبيل التّحرير.[4]**

2. علمُ القراءات:

هو: "العلمُ الذي يُعني بكيفيةِ آداء كلمات القرآن الكريم واِختلافها بعزو النَاقلة"[5] وقد برزَ في العهد الحفصي مجموعة من العلماءِ في القراءاتِ أشهرُهم:

- **أبو القاسم اللّبيدي: كان شيخًا جَليلاً ذُو علمٍ ودينٍ واِجتهادٍ، وهُو يُعدّ من كبارِ القرّاءِ كان الطّلبةُ يقرؤونَ عليه كتابَ التّيسير في القراءاتِ السّبع للدّاني.[6]**

---

[1] قاسم مخلوف، المرجع السّابق، ص 296-297، محمّد محفوظ، نفسه، ج3، ص336

[2] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 175.

[3] محمد قاسم محفوظ، نفسه، ج1، ص 104.

[4] الغبريني،عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص 143-144-145.

[5] ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تح: ناصر محمدي محمد جاد، دار الآفاق العلمية، مصر، القاهرة ط1،2010، ص39.

[6] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 367، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدّول والإمارات، منشورات ذوي القربى مطبعة ستاره، ط1، 1428هـ، ج9، ص 190.

- **البطرني: هو أبو العباس أحمد بن مُوسى، أخذ العلم عن أبي عمر بن شقر وقرأ عليه محمد بن جابر الوادي آشي القراءات الثّمان وغيرها فأجازه، من مُصنفاته في هذا العلم: "نظم قراءة يعقوب الوادي عن طريق الدّاني".[1]**
- **محمد بن بدّال: مولده سنة 668هـ، أخذ العلم عن أبي العباس البطرني وأبي جعفر بن يحيى الحصار الأندلسي وأبو الطيب بن محمد بن هذيل، كان يدرِّس لطلابه قصيدةَ الشَّاطبي في القراءات، وكان محل قصدٍ لجمال ترتيلهِ وحسن صوتهِ.[2]**
- **الأوسي: هو مُحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي العاصي الأنصاري الأندلسي، استوطن تونس وبها توفي، من مُصنفاته رجز في القراءات.[3]**

3. الحديثُ:

عِلمُ الحديث هو: "ما أُضيف إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم من قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ أو صفةٍ"[4] وقد برزَ في العهد الحفصي العديد من الأعلامِ في الحديث من أشهرهم:

- **ابن عَربية: هو أبو عمرو عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي، ولد بالمهدية سنة 600هـ، من مُؤلفاته في الحديث: "المستوفى في رفع أحاديث المستصفى" كانت وفاته بتبرسق سنة 659هـ[5]**
- **ابن سيد النّاس: هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بإبن سيد النّاس وهو إشبيلي الأصل، كانَ حافظًا للحديثِ فإذا قرأهُ أسندهُ إلى أن ينتهي للنّبي صلّى الله**

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكية، ج1، ص 294، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج1، ص 109، الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 68.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 303، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج9، ص 191.

[3] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص 59.

[4] محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدّراسات، الإسكندرية، مصر، ط7، 1415هـ، ص 16.

[5] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ص 375، محمد النيفر، عنوان الأريب، ج1، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص 269.

عليه وسلّم كما كان يذكرُ لغةَ الحديثِ وغريبهِ وفقههِ والخلافَ العالي ودقائقه ورقائقه والمستفاد منه بفصاحة.[1]

- ابن الرّفيع: هو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرّفيع الرّبعي التونسي، أخذ العلم عن ابن شقر، وأبي عبد الله عبد الجبار الرعيني السوسي، من مؤلفاته: "أربعون حديثا في ذكر أربعين صحابيا" روى عنهم غريب الإسناد عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم.[2]
- الصّفار: هو محمد بن أحمد الأنصاري الصفاقسي، تولى الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بصفاقس له إختصار إكمال المعلم بفوائد كتاب مسلم للقاضي عياض.[3]
- الأبي: هو محمد بن خلفة بن عمر التونسي الوشتاني، كانَ علاّمة مُحققًا بارعًا حافظًا، وهو من أنبغ تلاميذ ابن عرفة، أقامَ فترة تحصيلهِ العلم بالمدرسةِ الشماعيةِ والمدرسة التَّوفيقية، من تَصانيفه في الحديث: "إكمال الإكمال" وهو شرحٌ نفيسٌ على صَحيح مُسلم جَمعه من دروسِ شيخه ابن عرفة، كانت وفاته سنة 828هـ.[4]

4. الفقهُ:

هو "معرفةُ أحكامِ اللهِ تعالى في أفعالِ المُكلفين بالوجوبِ والحظرِ والنّدبِ والكراهيةِ والإباحةِ، وهي مأخوذةٌ من الكتابِ والسّنةِ".[5]

شَهِدَت الفترة الحفصيّة اِزدهارًا كبيرًا للعلومِ الفقهيَّةِ، فبرزَ العديدُ من الأعْلام المُجدِّدينَ، وكَثُرت المُصنفات، ومن أشهرِ هؤلاء نَجد:

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكية، ج1، ص 278-279، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 381.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكية، ج1، ص 297، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج3، ص 323.

[3] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج3، ص 236.

[4] التنبكي، نيل الإبتهاج، ص 487، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج1، ص 37، محمّد النيفر، عنوان الأريب ج1، ص 343-344، قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص 351.

[5] عبد الرّحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، ص 185.

- **أبو يحيى أبو بكر بن قاسم جماعة الهواري: أخذَ العلمَ عن جماعةٍ من المشارقة والمغاربةِ، ممَّا ألَّفه في الفقه كتابه في البُيوع، كانت وفاته سنة 712هـ.[1]**
- **ابن راشد القفصي: نَشأ بقفصة وقرأ بها، ثمّ اِنتقلَ إلى تونس العاصمة، أخذَ العلم عن أئمةِ المشرقِ والمغربِ كابِن الغماز، وحَافي رأسه والشَّمس الأصفهاني، والأبياري المعروف بابن المُنير والشّهاب القرافي، تميَّز في مُختلف العلوم، عُرفَ باِعتكافهِ المتواصل على التّعليمِ وكثرة مُصنفاته الفقهية، منها: "الشّهاب الثّاقب في شرح ابن الحاجب" وهو شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي وحل مشكلاته وإيضاح رموزه وإشاراته وعزو مسائله وتقرير دلائله، كما له: "المُذْهَب في ضبط مسائل المذهب" و "النّظم البديع في اختصار التّفريع" وهو اِختصار لكتاب التّفريع لابن الجلاب، كما له: "لباب اللّباب فيما تضمنه أبواب الكتاب من الأركان والشّروط والموانع الأسباب" وهو من خواتيمِ مُصنفاتِه العديدةِ.[2]**
- **مُحمّد بن هارون الكناني: مولده سنة 680هـ أخذَ العلمَ عن ابن هارون الأندلسي وممَّن أخذَ عنه ابن عرفة، وابن مرزوق الجد، وابن حيدرة، للكناني العديد من المُصنفات الفقهية منها: "شرح تهذيب المدونة" و "شرح المعالم الفقهية" و "شرح مختصرات ابن الحاجب" و "مختصر تهذيب المدونة" و "مختصر النّهاية والإتمام" وهو في البيوع.[3]**
- **ابن عرفة: هو محمد بن عرفة الورغيمي التّونسي، من أشهر أئمةِ المالكيةِ بتونس مولده سنة 716هـ، عُرف بالجدّ والاِجتهادِ وكثرة المطالعةِ في صغرِه، ممَّن أخذَ العلم عنهم ابن عبد السلام، والشّيخ السطي، وابن أندراس والآبلي، ومن تلاميذه ابن مرزوق الحفيد وأبو عبد الله القلشاني والشّريف العجيسي، تولى إمامة جامع الزيتونة**

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 295.

[2] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 73، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 297-298، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 393، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج2، ص 332-333.

[3] محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، ص 87، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج5، ص 97-98.

سنة 756هـ، له العديد من المصنفات الفقهية منها: "شرح الحوفي في الفرائض" و"المبسوط في الفقه" و "مختصر المذهب".[1]

- البَرزلي: هو أبُو القاسم البلوي القيرواني ثُمّ التُونسي، أخذَ العلمَ عن أبِي عبد الله بن مَرزُوق، وأبي الحَسن البطروني وابن عَرفة الذي لازمه قرابة أربعين عَامًا فإنتفع بعلمهِ حتَّى لُقِّب بشيخ الإسلام، كانت وفاته 833هـ تركَ العديد من المُصنفات الفقهية منها: "جامع مسائل الأحكام فيما نزل بالمفتين والحكام" وفيه فتاوى الكثير من التونسيين خاصة العهدين الصنهاجي والحفصي، كما ضمّنه معلومات عن الحياة الإجتماعية والإقتصادية والأحداث التَّاريخيَّة، ولهُ: "الحاوي في الفتاوي".[2]
- القَلشاني: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني، أخذَ العلمَ عن والده وعن ابن عرفة والغبريني، شغلَ مَنصبَ القَضاء ثُمَّ إمامًا وخطيبًا بجامع الزَّيتونة الذي لم يمكث فيهِ طويلاً حتى قدَّم إستقالته وولى مشيخة المدرسة الشّماعية وللقلشاني العديد من المُصنفات في الفقه المالكي كشرح الرّسالة، كما شرحَ ابن الحاجب، وفيه أبحاث مع ابن عرفة وغيره، كانت وفاته سنة 863هـ.[3]
- حلولو: هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان اليزليطيني القروي، أخذ العلمَ عن كبار الفقهاءِ في عصرهِ كالبزلي وقاسم العقباني، كانت وفاته سنة 898هـ تاركًا العديد من المؤلفات الفقهية منها: "الضياء اللاّمع في شرح جمع الجوامع" ذكر فيه أقوال المالكية، و "البيان والتّكميل في شرح مختصر خليل" و "مختصر نوازل البرزلي".[4]

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 326، محمّد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد، ص 58، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 464-468، فهرست الرّصاع، ص 81، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج3، ص 368.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 369-340، محمّد بن خوجة، معالم التوحيد، ص 58، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج1، ص 88-89.

[3] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 372، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج4، ص 102، التنبكتي، نيل الإبتهاج ص 117.

[4] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 373، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج2، ص 165-166.

ثانيا: العلومُ اللّسانيّةُ: "وأركانها الأربعة تتمثّل في اللّغة والبيان والنّحو والأدب"[1]

1. علمُ اللُّغة:

نَشأَ هذا العلمُ بعد ظهورِ اللّحنِ وفساد الألسنِ بملابسةِ العَجمِ ومُخالطتهم فاِستدعى ذلك وضع المعاجم لحفظ الموضوعات اللّغوية كان أوَّلها مُعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ثمّ توالت المعاجم اللّغوية من بعده في المشرق والمغرب[2] ومن علماء اللّغة في العهد الحفصي مُحمد بن الحسين الذي اِشتغل حاجبًا لأبي زكريا مُؤسس الدّولة الحفصية، ووزيرًا لابنهِ المستنصر، من تآليفهِ في هذا الفنِ: "تَرتيبُ المُحكمِ" وهو قلبٌ لمعجمِ "المُحكم" لإبن سيده الأندلسي جاعلاً ترتيبه على معجم الصِّحاح للجوهري، كما نجد أحمد بن يوسف اللّبي نزيل تونس له: "تحفة المجد الصّريح في شرح كتاب الفصيح" ألَّفه على طريقة كتاب الفَصيح لثعلب.[3]

2. النّحــو:

هو: "معرفة كيفية التّركيب بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من كلام العرب"[4] ومن نُحاة العصر الحفصي نزيل تونس ابن عصفور الإشبيلي الذي لقيَ ترحابًا منقطعَ النّظير من طرفِ سُلطانها أبو زكريا فأوكل إليه تعليم اِبنه المستنصر، وأسند إليه مهمة التّدريس في جامع الزّيتونة وفي المدرسة الشّماعية، فدرّسَ لطلابه كتاب سبويه، وكتاب الجمل للزجاجي، والإيضاح لأبي علي الفارسي، كما درّس لهم مُصنفيه: "المقرب في الصّناعة النّحوية" و "الممتع في الصّناعة الصّرفية"[5] كما نجد محمد القيسي الصّفاقسي صاحب كتاب: "المجيد في إعراب القرآن المجيد"[6]، ومن أعلامهِ شيخ ابن

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 367.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 380-381.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج9، ص 132.

[4] السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 125.

[5] شوقي ضيف، مرجع سابق، ص 184.

[6] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 299، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج4، ص 133.

خلدون في العربية الحصائري له: "شرح مستوفي على كتاب تسهيل الفوائد لابن مالك[1] ولابن القصار "شرح شواهد المقرب لابن عصفور"[2] وللّغوي أحمد بن يوسف اللّبي العديد من التآليف النحوية، منها: "وشي الحلل في شرح أبيات الجمل" و "بغية الآمال في النطق بجميع مستقبلات الأفعال" و "الإعلام بحدود قواعد الكلام عن الإسم والفعل والحرف".[3]

3. البَيَان:

وهو مُتعلقٌ بالألفاظِ وما تُفيده، ويُقصد بها الدّلالة عليه من المَعاني[4] ومن أعلامِ البيانِ في العهد الحفصي التيفاشي القفصي صَاحبُ كتابِ: "البديع"[5] وهو من الكُتب الضائعة، قال عنه ابن أبي الأصبع المصري "جمع فيه ما لم يجمع غيره، ولولا مواضع نقلها كما وَجدها ولم ينعم النظر فيها فإنتقد عليه ما إنتقد على غيره، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه"[6] ومن أعلامهِ كذلك نزيل تونس حَازم القرطاجني صَاحب كتاب: "التَّجنيس" وهو من الكتبِ المفقودةِ كسابقهِ كما لهُ في هذا الفن كتاب "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".[7]

4. الأدبُ:

هو: "الإجادة في فني المنثور والمنظوم"[8]

النّثر: شهدَ النّثرُ الفنيُّ في الفترة الحفصيّة حضور كثيرٍ من الأعلامِ، ففي التّرسل الدِّيواني برزَ نزيل تونس ابن الآبار الذي ولاّهُ السّلطان أبو زكريا الحفصي خطة الإنشاء بعد وفاة

---

[1] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج2، ص 148.

[2] نفسه، ج4، ص 86.

[3] أحمد الطويلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، دط 1996، ص 517.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 373.

[5] أحمد الطويلي، المرجع نفسه، ص 518، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج1، ص 207.

[6] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص 207.

[7] أحمد الطويلي، نفسه، ص 518.

[8] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 376.

كاتبه محمد بن الجلاء البجائي، لكن سُرعان ما عزل عنها لسوءِ خُلقهِ وإقدامه على كتابة العلامة في كتبٍ لم يُؤمر بالتَّعليمِ فيها[1]، وعُيّنَ بعدهُ أحمد الغساني فكتب له ولابنه المستنصر الذي قرّبه وأجلَّه، فجُمعت له خطة العلامة والإنشاء[2]، ومن الكُتّاب البارزين عبد الله التجاني الذي عيّن كاتبًا لأبي زكريا اللحياني، كمَا تولى رئاسة ديوان الإنشاء سنة 717هـ.[3]

أمَّا الرّسائل الإخوانية فبرعَ فيها العديد من الكُتّاب كأحمد الغساني، فكانت له العديد من الرَّسائل إلى أصدقائهِ، وعبدُ الله التجاني دوّن في رحلتهِ العديد من المراسلاتِ مع أفراد أسرتهِ وأصدقائهِ، كما كان لعبد الرحمان بن خلدون عدّة رسائل إخوانية مع كبار أدباء عصره كابن الخطيب، وابن زمرك والحسن البني الغرناطي.

أمَّا الخطابة الدّينيّة فازدهرَت في العهد الحفصي وبرزَ فيها العديد من الخطباء كابن عَرفة وتلميذيه ابن ناجي ومحمد الرَصّاع الذي تولى الإمامة والخطابة بجامع الزَّيتونة بعد مرض محمد ابن القاضي عمر القلشاني الحفيد.[4]

وفي أدبِ الرَّحلات برزَ عبد الله التجاني (680-760هـ) التي تميَّزت رحلته بكونها رحلة داخلية، ولم يكتفِ في الرِّحلة ذكر المُدن التي يصلُ إليها، وإنَّما يذكرُ تاريخَها وأهمّ الأحداث التي جَرت بها وأهمَّ شخصياتِها، كما ذكرَ مَجموعةً من الوثائقِ التَّاريخيَّةِ والأشعارِ التي لم يذكُرها غيره"، بالإضافةِ إلى طائفة من الرّسائلِ الإخوانيةِ.[5]

---

[1] الزّركشي، تاريخ الدّولتين، ص 28.

[2] ابن قنفد، الفارسية، ص 116-124.

[3] علي إبراهيم الكردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا 2013، ص 41.

[4] الطّويلي، مرجع سابق، ص 471، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج2، ص 359.

[5] ينظر: علي إبراهيم الكردي، المرجع السّابق، ص 41-42.

والمُلاحظُ أنَّ النّثر الفني في هذه الفترة رغم بروزِ العديدِ من الأعلامِ، وظهور الكثير من المُصنفات الأدبيَّة إلاّ أنّهُ شهدَ تراجُعًا وتقهقرًا نتيجةَ المبالغةِ في التّكلفِوالإفراطِ في استخدام البديعِ ممَّا اِنعكسَ على أسلوب كِتابتهم التي غَابت عَنها الأصالةُ والإبتكارُ.

الشعرُ: بخلافِ النّثر الفني شهدَ الشعرُ في هذه الفترة اِزدهارًا كبيرًا، وذلك راجعٌ لعدّةِ عواملَ من بينها توافد العديد من الشعراء الأندلسيين، واِهتمام السَّلاطين بالشعر فبعضهم كان ناظمًا مُجيدا كالخليفة أبي زكريا الذي عُدَّ من العلماءِ والشعراءِ، ولهُ في ذلك شعرٌ بليغٌ، من ذلكَ ما كتبه للغساني صاحب ديوان إنشائه صُحبة خُوخٍ أرسلَه إليهِ:

بَعثــتُ بِهــا إليــكَ بنــاتُ أيــكٍ ... غَــذاها فِــي الثَّــرى دُر القطــارِ

لــــهُ لَونــــانِ مُخضــــرٌ عَظــــيمٌ ... وآخــــرُ قَــــانئيٌ كالجلنــــارِ

ولــم تنظُــرْ أبــا العبَّــاس حُســنًا ... يَروقُــكَ كاِخضــرَار فِــي اِحمــرارِ

كَمِثــلِ الخَــدِّ أحْجَمــهُ التَّلاقِــي ... فَصِــرْنَا وَردَهُ أســد العطــارِ[1]

ولأبي زكريا مَلكةٌ ذوقيّة فكانَ يَحكمُ على شعرِ الشُعراء في بلاطهِ، من ذلكَ اِحتكامُ ابن عَمرُو ابن عَربية وابن الآبار والكُومي بعد عَرضهم قَصائدَ يَمدحُونه فيها، فأجابهم بأبياتٍ شعريةٍ بيَّنَ أفضلية شعر أبي عمرو على البقيَّةِ وفي هذا يقولُ:

ألاَ إنَّ مِضْــمارَ القــريضِ لممتــدّ ... بــهِ شــعراء الغَــربِ أربعــةٌ لُــدُ

فأمَّــا المجلــي فهُــو شَــاعر جَمــة ... أتَــى أولاً والنّــاس كلّهــم بعــدُ

وأمّــا المصــلي فهــو حبــر قضــاعة ... بآدابــهِ تزهــى الخلافــةُ والمجــدُ

وأمّــا المســلي فالمعــاوي إنَّــه ... أتَــى ثالثًــا لكــن يلــين ويَشــتدّ

---

[1] ابن الشّماع، الأدلة البينة النورانية، ص 55.

ويَعــدهُم الكُــومي أقبــلَ تاليًــا وكـمْ جـاءَ سـباقًا مسـومه النّهـد

هُم عُلمـاء النَّـاسِ مَـا عنـهم غِنـى وهُـم شُـعراء الملـكِ مَـا مِـنهم بُـدُّ[1]

كما عُرف اِبنه المُستنصر إجادته الشعر، من ذلكَ قوله:

مَـالي عَليْـكَ سِـوى الـدُّموعُ مُعِينُ إنْ كُنـت تَغْـدِرُ فِـي الـهَوى وتَخُـونُ

مـن مُنْجـدي غيـر الـدُّموع وإنَّهـا لمغيثَــةٌ مَهْمَــا اِســتغاثَ حَــزِينُ

الله يعلـــمُ أنَّ مـــا حمَّلتنـــي صَــعبٌ ولكِــنْ رِضــاكَ يَهُــونُ[2]

كَما كانَ مُجيدًا لفنِ الإجازةِ، وتتمثَّلُ في نظم صَدرٍ من البيت ومُطالبة شاعر آخرَ بنظم العَجُز، يُحكى أنَّه عَرض مرَّة أجناده يوم عيدٍ، وكانَ بينهم شاب جميلُ الوجهِ من بني النّعمان، فسألهُ السّلطان عن اِسمهِ فخجلَ واحمرَّ وجهُه فزادَه جَمالاً فقالَ في ذلك المُستنصر:

كَلَّمتُـــهُ فَكَلَمـــتْ صَـــفْحةُ خَـــدِّهِ

وطلبَ من الحضور إتمام شطره فعجزوا، فقال:

فَتفتَّحـــتْ فيهَـــا شَـــقَائِقُ جَـــدِّهِ

ويقصد بذلك جدّه النّعمان.[3]

كما عُرف عن السّلطان أبي فارس نظمه للشعر من ذلك قوله:

مَواطِنُنَــا فِــي دَهْــرِهِنّ عَجائِــبُ وأزْمَانُنَــا لَــمْ تَعْــدُهُنَّ الغَرائِــبُ

---

[1] محمد النيفر، عنوان الأريب، ج1، ص 257.

[2] المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص 323.

[3] المقري، نفح الطيب، ج2، ص 323.

مَـواطِنُ لَـمْ تَحْـكِ التَّـواريخُ مِثْلَهَـا ولا حَـدَّثَتْ عَنْهَـا اللّيَـالِي الـذَّوَاهِبُ[1]

ويبرزَ في هذا العصرِ مَجموعةٌ من الشعراءِ نَظمُوا في مُختلف الأغراض من ذلك قصيدة حازم القرطاجني يمدح أبا زكريا ويعدّد فضائله على المُسلمينَ من أبياتِها:

مُنى النّفس تدني منكم والنَّوى تقصى فَكَمْ ذَا يُطِيعُ الـدَّهرُ فيكم وكَم يَعْصِي

يُقـرّب فـي حَـالِ التَّنَـائِي مَـزارَكُم فَيـدنُو وينَـأى بالخيـالِ وبالشَّـخصِ

وكَمْ رُمتُ أحْصِي من نواكم فلمْ أطِق خطوبًا خَطايا الـدَّهر فيهنَّ لا أُحْصِي

أرادت وحيـدًا فـي الملـوكِ فَلـمْ تَجـد كَيَحي ابن عبد الواحدِ بن أبي حَفص

لآلِ أبـي حَفـصٍ مَـآثر لَـمْ تَكُـنْ لِتُحْصَى بطولِ البَحثِ عَنْهَا ولا الفَحْصِ

بِـهِ أصْـبَحَ المهـديُ قَـد شُـدّ أزرهُ كَـمْ شُـدَّ أزرُ المَصـطفَى بـأبِي حَفْـصِ

وكَـمْ فِئَـة ضَـلَّتْ هَـديت إلـيهم هَـوادِيَ خيـل ذلّلـت كـلَّ مُسـتَعصِ

عَسَـى اللهُ أنْ يَنْتَـاشَ أنْدلُسًـا بِهَـا ويَأخُـذَ غيّهـا للهُـدى أخْـذَ مُقْـتصِّ

فَيُضـحِي بِهَـا شـرقُ الجزيـرة مُشـرِقًا وتَطلُـع أنـوارُ البشـائِرِ فِـي حمـصِ

أمِيـرَ الهُـدَى مَـن يَـدنُو مِنْـكَ فإنَّـهُ بقربِكَ من صرفِ الحوادثِ قَدْ أُقْصِيَ

إليكم سرت بـي أينـقٌ خُمصُ السَّرى تَجُـوبُ الفـلا أنضـاؤُها أيُّمـا خمـصِ[2]

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ص 115.

[2] القرطاجني، أبو الحسن حازم، قصائد ومقطعات، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدّار التونسية للنشر، تونس، 1972 ص 146.

ومن ذلكَ مَدحُ أبي تميم الحِميري المُستنصر بعد تَغلبهِ على الأعرابِ من بني رياح ومُدافعًا عن سِياستهِ فيقولُ:

وهَـامَ جُنَـاةٍ أبرَزُوهَـا عَلَـى القَنَـا فَثِـق بِنَجَـاةٍ عِنْـدَها ونجـاحِ

فَيَا حُسْنَ مَا قَرّتْ بِهِ أعْينُ الوَرَى رُؤوسُ رِيَـاحٍ فِـي رُؤوسِ رِمَـاحِ

فَهَـذي دِمَـاءُ المَـارِقِينَ مُباحَـةٌ وهَـذَا دمـاءُ الإسـلامِ غَيـرُ مُبَـاحِ

بِمُسْتَنصِـرٍ يَرْمِـي العِـدَى بِكتائِـبٍ تَعُـمُّ نَـوَاحِي أرضِـهِم بِنُـوَاحِ[1]

ومن نماذجِ الرِّثاء رثاءُ عمرُو عثمان بن عتيق المعروف بِابن عربية وفاة أبي زكريا ومهنئًا المُستنصر بالخلافةِ:

يَلـذُ زمـانٌ للفتَـى ثُـمّ يوقـع ويضـر هَـذا الـدَّهر ثَمـة ينفـع

بـابن طوائـد الإمامَـةِ مغـرب فَلقَـد جَـلا شَـمس الخِلافـة مطلـع

فأضـاءَ بـالمرحومِ ذلكـم الثَّـرى وأنَـارَ بالمَنصُـور ذَلـك المرتـع

بَسَـطُوا لِسـان الـذِّكر فـيمن بَـايعُوا وثَنَـوا عنـان الصَّـبرِ فـيمَن ودعُـوا

وَرأوا جَـلال مُحمّـد فتباشـرُوا وتَـذكرُوا يَحـى الرّضـى فَتفجعُـوا[2]

ومن نماذج الهجاء، هجو ابن أبي الحواجب قاضٍ بالمهدية ذبح قردًا لإذايته، فقالَ فيهِ:

غَرَائِـبُ الـدَّهْرِ قَـدْ كَثُـرْنَ وَلا أَغْـرَبَ مِـنْ حُكْـمِ ذَابِـحِ القِـرَدَه

---

[1] ابن قنقد، الفارسية، ص 130.

[2] ابن الشّماع، الأدلة البينة النورانية، ص 62.

أحَـــلَّ ذَبْـــحَ القُـــرُودِ مُحْتَسِـــبًا وحَـــرَّمَ الفَضْـــلَ بِئْسَـــمَا اعْتَمَـــدَه[1]

وكان للغزلِ حُضورٌ في الشعر الحَفصي من ذلك قصيدة حازم القرطاجني:

يَـا ضِـبْيَةَ العَفَـرِ الحـالي مُؤالفُـه مَـنْ قلَّـدَ الحَلْـيَ آرامًـا وغِزْلانًـا

ويَـا شَـقِيقةَ بَـدْرِ الـتَّمِّ لَـو أَمِنَـتْ كَمَـا أَمِنَـتْ بُـدُورُ الـتّمِّ نُقْصَـانَا

حَاشَـا لِلَحظِـكِ أنْ يُعْـزَى إلـى رشَـأ إذا تَلفَّـت نَحْـوَ السِّـربِ وسِـنَانَا

ولا بْتِسَـامِكِ أن يُعْـزَى إلـى زَهَـرٍ إذَا غَـدَا بِسـقِيطِ الطَّـلِ رَيَّانَـا

لَيـتَ العُيـونَ التـي تَرنُـو فَتَسْـحَرُنَا كَانَـتْ كَمَـا نَحْـنُ نَهْـوَاهُنَّ تَهْوانَـا

يَا عَاذِلي فِي الهَوى أقْصِر فَلستُ أَرَى مُقصِّرًا فِـي الهَـوى عَـنْ شَـأْوِ غَيلانَـا

وإنَّـا بنـي الحـب لا نُصْـغِي إلـى عَـذَل ولا نُمِيـلُ إلـى العَـذَّالِ آذَانَـا

ظبـيٌ غَـدَا يَرْتَعِـي حَـبَّ القُلُـوبِ وَلاَ يَرْعَـى عَـرَارًا بِمُومـاةٍ وظيّانَـا[2]

فالقرطاجني صوَّر مَحبُوبته تصويرًا جميلاً مشبِّها إيّاها بالرّيم والغزلان فهي كالبدر اِكتمالا واِبتسامتها كالزّهر نضارة، مُتمنيًا لو تبادله تلك العيون التي سحرته حبّه وهواه.

ومن الأغراضِ الشعرية التي اِنتشرت في تلكَ الفترة الوَصف، فكانَ للطبيعةِ الخلابةِ والبساتين والرِّياض التي أنشأها الحفصيونَ مُحركًا قويًّا لقرائحِ الشعراءِ، فهذا اِبن الآبار يصفُ حدائقَ في قصرِ أبي فهر الذي بناه المُستنصر بتونس، وقد أقِيمت مَأدبة فيه وكان ابن الآبار حاضرًا فأنشدَ قصيدةً روعةً في الجمالِ واصفًا ما رآه، وهذه أبياتٌ منها:

---

[1] أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، تح: حسن حسني عبد الوهاب، الدّار العربية للكتاب، ليبيا تونس، دط، 1981، ص 370.

[2] حازم القرطاجني، ديوان حارم القرطاجني، تح: عثمان العكّاك، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د س ن، د ط، ص 117.

وَرَوْضٌ نَضِيرٌ جَادَهُ الجُودُ والنَّدَى فَلَيسَ يُبَالِي بَعْدَما صَنعَ العَهْدُ

نَمَتْ صُعُدًا في جِدَّةٍ غُرفاتُهُ عَلَى عَمَدٍ مِمَّا اِسْتَجَادَ لَهَا الجَدُّ

تُخَيِّلنَ قَامَاتٍ وَهُنَّ عَقَائِلُ سِوَى أَنَّهَا لا نَاطِقَاتُ ولا مُلْدُ

قُدُودٌ كَسَاهَا ضَافيَ الحُسْنَ عُرْبُهَا وأَمْعَنَ فِي تَنْعِيمِهَا النَّحْتُ والقَدُّ

تُذَكِّرُ جَنَاتَ الخُلُودِ حَدَائِقٌ زَوَاهِر لا الزَّهْرَاء مِنْهَا ولا الخُلْدُ

فَأَسْحُارُهَا تُهدِي لَهَا الطِّيْبَ مَنْبِجٌ وآصَالُهَا تَهْدِي الصَّبَا نَحْوَهَا نَجْدُ

أَنَافَ على شُمِّ القُصُورِ فَلَمْ تَزَلْ تَنَهَّدُ وَجْدًا للقُصَورِ وتَنْهَدُّ

وحُفَّ بِأعْنَابٍ ونَخْلٍ نَواعِمٍ تَكَادُ فُروعًا بالنّواسِمِ تَنْقَدُّ

مِنَ البَاسِقَاتِ السَّابِقَاتِ بِحَملِهَا إذَا تُعسِرُ الأشْجَار كَانَ لَهَا وَجْدُ

عَلَيْهَا مَنَ القِنْوانِ عِقْدٌ ودِمْلِجٌ وإنْ لَمْ يكُنْ جَيدٌ لَدَيْها ولا عَضْدُ

فَتِلْكَ عُرُوشُ اليَاسَمِين وزَهْرُهُ كَزُهْرِ النُّجومِ وَسَطَ أفْلاكِهَا تَبْدُو

وذَاكَ نَضِيْدُ الطَّلعِ والطَّلْحِ قَدْ جَلا مَحَاسِنَهُ للأعينِ اليَنْعُ والنَّضْدُ

ولاحَ لنَا خُوخٌ كَمَا خَجِلَ الخَدُّ ويَانع رُمَّان كَمَا كَعِبَ النَّهْدُ

وجَوْزٌ لَهُ مُبْيِضٌّ لُبّ وإنْ ضَفَا عَلَى مَتْنِهِ جَونٌ مِنْ القِشرِ مُسْوَدُّ[1]

وحازم القرطاجني أعجبهُ زهرُ شجرِ اللّوزِ فوصفهُ قائلاً:

---

[1] اِبن الآبار، الذّيوان، تح: عبد السلام الهرّاس، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1999، ص 158-159.

لا نُـورُ يَعْـدِلُ نَـورَ اللَّـوزِ فِـي أَنَـقٍ وَبَهْجَـةٍ عِنْـدَ ذِي عَـدْلٍ وانْصَـافِ

نِظَـامُ زَهْـرٍ يظَـلّ الـدّرَ مُنْتَشِـرًا عَليـهِ مِـنْ كُـلِّ هَـامي القطـر وكَـافِ

بَيِّنًـا تَـرَى، وَهِـي أصـداف لـدرحَيًا بِـيضٍ غَدَتْ دُرَرًا فِـي خِضْـرِ أصْدَاف[1]

ولم يكتفِ الشعراءُ في العهد الحفصي بوصفِ الطّبيعةِ الجميلةِ والأشجارِ والثِّمارِ والمياهِ بل تجدهم يصفُونَ مُدنهم أيضًا، من ذلك وصف ابن الفكون مدينة بجاية قائلاً:

دع العِـــراقَ وبَغـــدَادَ وشَـــامَهَا فالنَّاصِـــريةُ مَـــا إنْ مِثلَهَـــا بَلَـــدُ

بَـــرٌ وبَحـــرٌ وَمَـــوجٌ للعيـــونِ بِـــهِ مَسَـــارِحٌ بَـــانَ عَنْهَـــا الهَـــمُ والنَكَـــدُ

حَيـثُ الهَـوى والهـواءُ الطَلَـقُ مُجْتَمِـعٌ حَيْـثُ الغِنَـى والمنَـى وَالمَعيشَـةُ الرَّغْـدُ

والنَّهـــرُ كَالصِّـــلِّ والجَنـــاتُ مُشْـــرِفَةٌ والنَّهـــرُ والبحـــرُ كَـــالمرآةِ وَهُـــوَ يَـــدُ

فَحَيثُمَـــا نَظَـــرْتَ رَاقَـــتْ وكُـــلُّ نَـــوا حِـــي الـــدَّارِ للفِكْـــرِ للأَبْصَـــارِ تَتَقِـــدُ

أن تنظـــر البـــر فالأزْهَـــارُ يَانِعَـــةٌ أو تَنْظُـــرَ البحـــرَ فَـــالأمواجُ تَطّـــردُ

يَـا طَالبًـا وَصـفهَا إنْ كُنْـتَ ذَا نَصَـفٍ قُـلْ جَنَـةُ الخُلْـدِ فِيهَـا الأهْـلُ والوَلَـدُ[2]

---

[1] أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1986 ص 76.

[2] الغبريني، عنوان الدّراية، ص 334-335.

ثالثا:التّاريخ

يُعرّفه ابن خلدون على أنّه الإخبار على أحوال الماضين من الأمَمِ[1]، والفترة الحفصيّة شهدت بروزَ العديد من المُؤرخين من أشهرهم:

- **البياسي (573-653هـ): وهو أندلسي الأصل، استقرَ بتونس عُرِفَ بإجادتِه مُختلف العلوم وكثرة مُصنفاته بعضها في التَّاريخ، مثل: "الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام" اِبتدأه بمقتلِ عُمر بن الخطاب رضي الله عنه وخَتمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد، وهذا الكتاب جَمعه الأمير الحفصي أبو زكريا عبد الواحد، كما لهُ تاريخ ذيّل به على تاريخ ابن حيان إلى عصره.[2]**
- **ابن الشباط (618-684هـ): مولده بتوزر، وهو من الأعلام البارزين في العهد الحفصي لغزارة معارفهِ ومُصنفاته، من مُؤلفاته التَّاريخية: "العقد الفريد في تاريخ الجريد" و "أنيس الفريد في حيلة أهل الجريد".[3]**
- **ابن رزين التجيبي (626-692هـ): مُرسي الأصل اِستقر بتونس، أخذ العلمَ عن ابن الآبار وابن الجلاب وابن برطلة وغيرهم، كان فقيهًا وكاتبًا بليغًا، مؤرخًا من مؤلفاته التَّاريخية: "الأخبار التونسية في الأخبار الفرنسية"، "الدّرر الثّمينة في خبر القل وفتح قسنطينة".[4]**
- **عبد الرّحمان بن محمد الأنصاري المَعرُوف بالدَّباغ (605-699هـ): كان فقيهًا محدثًا راوية أخذ العلم عما يقارب ثمانين شيخًا، قال عنه العبدري صاحب الرّحلة: "كان ذا**

---

[1] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 215.

[2] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج1، ص 127-128، ابن سعيد، المُغرب في حلى المَغرب، ج2، تح: شوقي ضيف دار المعارف، ط4، ص 73.

[3] محمّد النيفر، عنوان الأريب، ج1، ص 260، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين، ج3، ص 142.

[4] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج2، ص 348-349.

سمت وهيئة وسكون ظاهر، محبا لأهل العلم" من مُصنفاته التاريخية: "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان".[1]

- الغبريني: وهو من غبرى إحدى قبائل المغرب، ولد ببجاية وتَولى قضاءَها، له كتابٌ مشهورٌ في التَّاريخ "عُنوان الدِّراية فيمن عُرف من علماءِ المئةِ السَّابعة ببجاية"[2] والكتاب يُعدّ من المصادرِ التَّاريخية الهَامّة عن الحياة العلمية ببجاية في القرن السَّابع الهجري، حيثُ ترجمَ للعديدِ من الأعلام البارزينَ في شتَّى العلومِ ممَّن عرفتهم الحَاضرة، أو توافدُوا عليها من المغرب الأوسط والأقصى وتونس والأندلس.
- عبد الرّحمان بن خلدون: إختلفَ كثيرٌ من الباحثينَ في الدّولة التي يَنتسِبُ إليها بحكمِ أصولهِ اليمنيةِ، وهجرة أجدادهِ إلى الأندلس، ثُمَّ إنتقال أسرتهِ إلى تونس، كما عُرِف عنهُ كثرة التّرحالِ والإشتغالِ عندَ مُختلف الملوكِ والأمراءِ بدايةً من كتابة العلامةِ السّلطانية لأبي إسحاق الحفصي، ثمَّ كاتبًا للسّلطان أبي عنان المريني ثمَّ إنتقاله إلى غَرناطة ليعود إلى بجاية ويشتغلَ حاجبًا لأميرهِ أبي عبد الله الحفصي، ليستقرَّ بعدها رفقة أسرته بتلمسانَ، ويُكلّف ببعض المهام من طَرف سلطانها، ليقرِّر بعدها السَّفر إلى الحجاز والذَّهاب إلى القاهرة وبها إستقرَّ مُمْتَهِنًا التَّدريس بجامع الأزهر ثمّ بالمدرسة الظاهرية بعد الإنتهاء من بنائها، كمَا تولى منصب قاضي المالكية سنة 786هـ، وظل يتولى هذا المنصب ويُعزل منه إلى غاية وفاته بقليل.[3]

ومَا جَعلنا نَميلُ إلى تَصنيفِه ضِمنَ مُؤرخي الدَّولة الحفصيّة دونَ غيرها مولده بتونس وتلقي تَعليمه الأوَّل بها قبل أن ينتقلَ إلى أقطارٍ أخرى، من أشهر مُصنفاته كتابه

---

[1] قاسم محفوظ، شجرة النّور، ج1، ص 276-276، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 241، محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين ج2، ص 289.

[2] خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1995 ، ص 90.

[3] ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح: محمد بن تاويت التطواني، معهد مولاي الحسن للبحوث، المغرب ص 64، ينظر: محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج2، ص 211-217.

التَّاريخي: "العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" شرعَ في تأليفهِ بقلعة ابن سلامة بالغرب الجزائري ثمَّ إنتقل إلى تونس لينتفعَ بمكتباتها في توثيق وتصحيح وتنقيح كتابه المذكور.[1]

- **ابن قُنفد القَسنطيني (ت 810): أخذَ العلمَ عن كبار علماء المغرب كأبي عمران مُوسى العبدوسي والحافظ القباب وابن مرزوق الجد وغيرهم، لهُ العديد من المُصنفات في فنونٍ مُختلفةٍ، منها الكتاب الذي وضعه في تاريخ الدَّولة الحفصيَّة "الفارسية في مبادئ الدَّولة الحفصيّة"[2]**
- **ابن الشَّماع (ت 873هـ): هو محمد بن أحمد بن محمد المرجاني الهناتي صاحب الكتاب التَّاريخي المعروف "الأدلة البينة النّورانية على مفاخر الدّولة الحفصيّة"[3]**
- **الزّركشي (820-833هـ): هو محمد بن أحمد بن اللؤلؤ، أخذ العلم عن أحمد القلشاني، وأحمد القسنطيني، وأبو البركات محمد بن عصفور وغيرهم، ويعدُّ الزّركشي آخر مؤرخي العهد الحفصي، من أشهر كتبه: "تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصيّة"[4]**

والكتاب هو تاريخ مجملٌ للمغرب العربي من القرنِ السَّادس إلى التَّاسع الهجريين.

---

[1] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج2، ص 215-216.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 109، أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرّباط، المغرب، 1973 ، ص 155.

[3] محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج3، ص 210.

[4] نفسه، ص 413-414.

المبحث الثّاني: الدّولة الزّيانية

أ- عوامل إزدهار الحياة العلمية والفكرية والثّقافية في الدّولة الزّيانية:

1. المساجدُ:

أدّت المساجدُ دورًا كبيرًا في إزدهار الحياة الدّينيّة والأدبية بتلمسان، فكانت مَساجدُها مَكانًا للوعظِ والإرشاد والإفتاءِ، كما كانت مَكانًا لتنظيم المُناظرات العلميَّة وإقراء البلاغاتِ الرّسمية لدولة بني زيان، ومن مساجدِها:

- **مَسجدُ أقادير: وهو أقدمُ مساجد تلمسان يعودُ تاريخ تأسيسه إلى زمنِ إدريس الأوَّل سنة 174هـ/790م، لكنّ الجامع إختفت مَعالمه، وبقيت مئذنته التي بناها الأمير الزّياني يغمُراسن بن زيان إلى اليوم شاهدةً على الطّابع المعماري الجميل المميز للمآذن بلاد المغرب الإسلامي.[1]**
- **الجَامعُ الكبير: وهذا الجامع ترجعُ فترة بنائِه إلى المرابطينَ، فأُسِّس في عهد علي بن يُوسف بن تاشفين حسب الكتابة الموجودة بقاعدة القبة أمام المحراب.[2]**

وعَرفَ الجامع عدَّة تعديلاتٍ وزياداتٍ في عمارتهِ الأولى، ففي عهد المُوحدين تمَّ إضافةُ بَابَيْن على جَانبي مِحراب المَسجد، وفي العَهد الزّياني بعدما أصبحت تلمسان حَاضرة الدّولة تزايدَ عَددُ المصلينَ بهِ ما جَعلَ الأمير يغمُراسن يُضيف بلاطتين إلى المجنبة الغربية، كمَا أقام له مئذنة بحكم إفتقاره لها منذ تأسيسه، وفي عهد أبي حمو موسى الثاني أُضيفت للمسجد خِزانة كتبٍ سنة 760. كما أُضيفت خِزانةٌ أخرى في عهد إبنه الأمير أبو زيّان.[3]

---

[1] عبد المالك موساوي، فن الزّخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان (المساجد والمدارس)، دار السّبيل، الجزائر، ط1 2011، ص 10.

[2] رشيد بورييبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع: 26، ص 172.

[3] عبد المالك موساوي، نفسه، ص 24-25.

- **مَسجدُ سيدي أبي الحسن التنسي: تمَّ بناء المَسجد من طرفِ الأمير الزّياني أبو عامر إبراهيم ابن السّلطان أبي يحيى يغمُراسن سنة 696هـ، ولم يحمل المسجد اِسم مؤسسه، ولكن أخذ اِسم أحد كبار العلماء بتلمسان وهو أبو الحسن بن يخلف التَّنسي وتمَّ تحويله في الفترة الفرنسيِّة إلى مَخزنٍ ليصبحَ بعد الاستقلال مَتحفًا.[1]**
- **مَسجدُ سيدي إبراهيم: شُيِّد في عهد السّلطان حَمُو مُوسى الزّياني بجانبِ المجموعةِ البنائيةِ المكونة من المدرسة والزّاوية والضريح، وعُرفت هذه المجموعة بالمدرسة اليعقوبية.[2]**
- **مَسجدُ سيدي بومدين: بُني المسجدُ في فترة التَّواجد المريني بتلمسان من طرف السّلطان أبي الحسن، وكان قريبًا من ضريح الشّيخ الصُّوفي أبي مدين[3]، وكان المسجد غايةً في الجمالِ وصفهُ ابن مرزوق صَاحب المُسند "اشتمل على الوضع الغريب، وهو أنّ سقفه كلّها أشكال منضبطة بخواتم وصناعات نجارة كل جهة تخالف الأخرى في الوضع، رقمت على نحو ما يرقم عليه أشكال النجارة، فلا يختلج في النّفس شك، ولا يعرض لها وهم، إنّها أشكال منجوزة، منقوشة، وهي كلّها مبنية أحكام بالآجر والفضة، واِشتمل على المنبر العجيب الشكل، المؤلف من الصندل، والعاج والابنوس المذهب"[4].**

---

[1] رشيد بورييبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع: 26، ص 175.

[2] نفسه، ص 176.

[3] نفسه، ص 178.

[4] ابن مرزوق، المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 403-404.

- مَسجدُ سيدي الحلوي: يَعود بناءُ هذا المسجدِ إلى عهد السّلطان المريني أبي عنان سنة 754هـ، وبُنيَ المَسجدُ إكرامًا للشّيخ الشوذي الإشبيلي[1] والمسجد من السواري والسَّقف، والقبة أمام المحراب.[2]

2. المَدارسُ:

عَمِل أمراء وسَلاطينُ بني زيّان على تشييد المؤسّسات التَّربوية والتّعليميَّة والمدارس العُليا على نمط المدارسِ النّظاميَّة بالمشرق إلاّ أنَّ ظُهورها بتلمسان تأخرَ حتى مطلع القرن الثّامن هجري، وكانت المدارسُ المُشيّدة تضمُّ جنَاحًا خاصًا لإيواءِ الطلبةِ الغُرباء والفقراء ومَكتباتٌ تتضمَّن كتبًا لفائدةِ المعلمينَ والطلبةِ، وكانت تَعتمدُ في تموينِها على الأوقافِ بالدَّرجةِ الأولى ثمَّ إعانات السّلاطينِ والعلماءِ والأمراءِ.[3]

- مدرسةُ اِبن الإمام: وهي أوَّلُ مدرسةٍ زيانيّةٍ، أمرَ ببنائِها أبُو حمُو مُوسى الأوّل إجلالاً للعالِمَيْن الكبيرين أبو زيد وأبو موسى اِبنا الإمام فأكرمهما ببناء مدرسة حملت اِسمهُما وعيَّنهما على رأس إدارة التّعليمِ والتّدريسِ بهَا.[4]
- المدرسةُ التّاشفنية: شيَّدَ هذه المدرسة السّلطان أبو تاشفين بن أبي حَمُو مُوسى الأوّل بجانب الجامعِ الأعظمِ وممّن دَرّس بها عالمُ المغرب الإسلامي في وقتهِ أبو موسى عَمران المشدالي[5] وكانت هذه المدرسةُ من بدائعِ الدُّنيا حسبَ الأبياتِ التي أوردَها المَقري:

انظُـــرْ بِعينـــكَ بَهجتِـــي وَسَـــنائِي ... وبَـــدِيعَ إتْقَـــانِي وحُسْـــنَ بِنَـــائِي

---

[1] عبد المالك موساوي، مرجع سابق، ص 180.

[2] ينظر: رشيد بورويبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع:26، ص 180-181.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج1، ص 141.

[4] محمد عبد الله التنسي، مصدر سابق، ص 139.

[5] نفسه، ص 141-142.

وبَـدِيعَ شَـكلِي واعْتَبِـرْ فِيمَـا تَـرَى مِـن نَشـأَتِي بَـلْ مِـن تَـدَفُّقِ مَـائِي

جِســـمٌ لَطِيـــفٌ ذَائِـــبٌ سَـــيلانُه صَـــافٍ كَـــذَوْبِ الفِضَّـــةِ البَيضَـــاءِ

قَـدَ حَـفَّ بِـي أزْهارُوَشْـيٍ نمقـت فَغَـدت كَمِثْـلِ الـرَّوضِ غِـبَّ سَـماءِ[1]

اِستمرَت المدرسةُ التَّاشفينيةُ في تأديةِ وظيفتها التّعليميَّة إلى غايةِ سنة 1876 عندمَا قامَت السُّلطات الفرنسيَّة بتهديمِها بحجَّة توسيع طُرق المدينة.[2]

- المدرسةُ اليعقوبيةُ: بُنيت في عهد أبي حمو مُوسى الثَّاني بالقربِ من ضَريح والده أبي يعقوب، وقامَ بتدشينِها في شهرِ صَفر سنة 765هـ في يومٍ مشهودٍ.[3]

وأوقفَ عليها الأوقافَ، ورتّبَ عليها الجرايات، وعَيّنَ الإمام الشَّريف التلمساني مُدرسًا بِهَا.[4]

وتُعدُّ هذه المدرسةُ من أجملِ مدارسِ تلمسان وَصفَها صَاحب البُستان: "مدرسةٌ مليحةُ البناءِ، واسعةُ الفناءِ؛ بُنيت بضروبٍ من الصّناعاتِ، ووُضعت في أبدعِ الموضوعاتِ؛ سمكها بالأصبغة مَرموق، وبِساطُ أرضِها بالزليجِ مرسُوم، وجنانها بالصّناعةِ الحباسية مُوشاة، وزليجُ أزهارها من أبدعِ الشيات، غُرس بإزائِها بَستنتين تتبعها، ونُقل لها أصنافُ المشمومات التي تروق حَضرة أفنانه، صُنع فيها صهريجًا مُستطيلا؛ وعلى طَرفيه

---

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1968، ص 47.

[2] عبد المالك موساوي، مرجع سابق، ص 72.

[3] زكريا بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2، تقديم وتحقيق وتعليق: بوزياني الدراجي، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص 136.

[4] التّنسي، مصدر سابق، ص 180.

من الرُّخام حصتان يطردان مسيلا، فيالهَا من بنية ما أبهجَها"[1] لكن هذه المدرسة اِندثرت ولم يصلْ إلينا إلاّ وَصفُها.[2]

- **مدرسةُ العُباد: وهي مِن إنشاءِ السّلطان أبو الحسن بقرية العباد بتلمسان[3]، وقد ذكرهَا النّميري في رحلتهِ قائلاً عنها: "وتتّصل بهذه الزّاوية من جهة الجوف مدرسة متعدّدة البيوت، رفيعةُ السّماواتِ، بديعةُ النّعوتِ، وبها أبوابٌ تشرع إلى ديار كاملة المنافعِ حسنة المقاطعِ"[4]**
- **مدرسةُ سيدي الحَلوي: أنشأها السّلطان المَريني أبو عنان سنة 754هـ، وكانت بجوارِ الولي الصَّالح الشّوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي[5] وحظيت المدرسة بالعناية من طرف أمراءِ بني زيان بعد اِسترجاع دَولتهم من المرنيينَ فشهدت عدَّة تزييناتٍ على أبوابها وجدرانِها فأصبحت بذلكَ آيةً في الفنِّ المعماري.[6]**

3. عنايةُ وتشجيعُ الأمراء للعلم والعلماءِ:

كانَ لأمراءِ وسلاطينِ بني زيّان نزعةٌعقليةٌ وثقافيةٌ جعلتهم يُشجعُونَ العلماءَ والأدباءَ ويستقبلونَهُم من مُختلفِ الحواضِر المغربيّةِ والأقطارِ الإسلاميِّة وخاصّةً الأندلس فنشطَت العلوم والمُناظرات، والتّعمق في البحثِ والإقبال على دراسةِ المُؤلفات المُختلفة[7] فكانَ سُلطانها الأوَّل يغمُراسن كثيرًا ما يُجالسُ الصّلحاء ويكثر من زيارتهم، ويبحثُ عن

---

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، تح: بوزياني الدّراجي، مؤسسة بوزياني الدّراجي للنّشر والتوزيع الجزائر، 2013، ص 336.

[2] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1974، ص 183.

[3] ينظر: محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصّحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص 406.

[4] ابن حاج النميري، فيض العباب، دراسة وإعداد، محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990 ص 488.

[5] عبد العزيز فيلالي، تلمسان العهد الزّياني، ج1، ص 144.

[6] مختار حساني، تاريخ الدّولة الزّيانية، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 277.

[7] عبد العزيز فلالي، تلمسان في العهد الزّياني (دراسة سياسية، عمرانية، اِجتماعية، ثقافية)، ص 319.

العلماءَ ويسعى لإستقدامِهم كمَا فعلَ مع العالم الجليل إبراهيم بن خلف التنسي[1] كما عُرف عن أبي حَمو مُوسى الأول إقباله على تشجيعِ العلومِ والعلماءِ[2]، وكانَ السُّلطان أبو حمو مُوسى الثّاني شديد العناية بالعلم وأهلهِ، مقرضًا للشعر مُحبًا للشعراء، أديبًا مُتفننًا من آثاره: كتاب سمّاه: "نظم السلوك في سياسة الملوك"[3]

كمَا سَاهمَ أمراءُ بني مَرين في فترة تواجدهِم بالمغربِ الأوسط في العمل على إنتشارِ التَّعليم فشيّدُوا العَديدَ من المدارسِ والمَساجدِ والزّوايَا، وعَمِلُوا على تَعيين أشهرِ العُلماء بالمدارسِ، وأشهر الخُطباءِ والفقهاءِ بالمساجدِ.[4]

4. المَكتباتُ:

اِهتمَّ سلاطينُ وأمراءُ بني زيَّان بإنشاءِ المكتباتِ وتزويدها بمختلفِ الكُتبِ تَسهيلاً على طلبةِ العلمِ، ومِن أهمِّ المكتبات التي عُرفَت في تلك الفترة، المَكتبة التي أنشأها أبو حمُو مُوسى الزّياني بالجامع الكبير بتلمسان سنة 760هـ.[5]

ولتزال الخشبة المثبَّتة فوقَ باب المكتبة مع النّص المكتوب عليها: "أمرَ بعملِ هذه الخزانةِ المباركةِ السُّلطان أبو حمُو مُوسى الأمراء الرَّاشدين أيّدَ اللهُ أمره وأعزّ نصره، ونفعه بما وصلَ ونوى وجعلهُ من أهلِ التَّقوى، وكانَ الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة علم سبعمائة وستين 760هـ"[6]

---

[1] عبد الله التنسي، مصدر سابق، ص 126.

[2] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزّياني، مرجع سابق، ص 59.

[3] أحمد المقري، أزهار الرّياض، ج1، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة، ص 249.

[4] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي،ج5، مطبعة مدبولي، مصر، ط1، 1994، ج5، ص 184.

[5] عبد المالك موساوي، مرجع سابق، ص 25.

[6] الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان، ج1، ديوان المطبوعات لجامعية، الجزائر، 2011، ص 89.

وكانت المكتبةُ تزخرُ بالكتبِ المُختلفة في شتَّى العلوم والفنون، ولم تفقد تلك الكتب إلاّ حوالي سنة 1850م.[1]

كمَا أنشأ اِبنه أبو زيّان بن أبي حَمُو الثّاني سنة 796هـ خزانة بمقدمة الجامع الأعظم (الكبير) بتلمسان وأوقفَ عليها أوقافًا لإعانتها وكتبًا منها المَصحف الشّريف الذي خطّه بيده، ونسخة من صحيح البخاري، ونُسخًا من كتاب الشّفاء لأبي الفضل عياض[2] وتمّ نقل هذه المكتبة إلى المدرسة الإسلاميّة العربيّة سنة 1905م ثمّ إلى ثانوية الحكيم بن الزرجب زمن الثّورة التّحريريّة.[3]

5. توافدُ الأندلسيين على تلمسان:

مِن عَواملِ ازدهارِ الحَركةِ الثّقافيَّةِ بتلمسانَ اتصالُها بالأندلسيينَ المُهاجرين خاصّةً بعد استلاءِ الإسبان على غَرناطة وألميريَة فما كانَ من المسلمينَ إلاّ أن يهجرُوا الأندلس، فنزحَ منهم عددٌ كبيرٌ إلى المغربِ الأوسطِ وانتشرُوا في حواضِره، منها مدينة تلمسان التي كانتعلى صلةٍ وثيقةٍ بالأندلسِ من قبل، فَحملُوا إليها عُلومَهم وفُنونَهم، فنظموا حلقات تعليم بالمدارسِ والمَساجدِ وخاصّةً المَسجد الجَامع الذي كان قبل هذه الآونة زيادة على وظيفته الدّينيّة مَركزًا من مَراكزِ الثَّقافةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ منذ العهد المُرابطي، وبعد نزوح الأندلسيين أصبحَ معْلمَةً للتَّدريس لايقلُ أهميَّةً عن جَامعي الزّيتونة بتونس والقرويين بالمغرب الأقصى فبرزَ عددٌ كبيرٌ من العلماءِ في الأصولِ والتّفسيرِ والتّوحيد والعلوم اللّسانيّة والرّياضية.[4]

6. الورّاقةُ: ازدهرَت في تلمسان الزّيانيّة الورّاقة فنُسِخَت المَصاحف والكُتب المُتنوعة مَوضُوعًا ومَكانةً، وكان لهذا الازدهار بروز فن الخط والتّجليد والتوريق والتزويق فانكبَّ

---

[1] نفسه، ص 89.

[2] محمد عبد الله التنسي، مصدر سابق، ص 210-211.

[3] الحاج محمد بن رمضان شاوش، مرجع سابق، ص 183.

[4] محمّد الطمار، تلمسان عبر العصور،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،2007، ص 125.

النّاس على اقتناء مُختلف المُصنفات أو نَسخها، على المدارس والمساجد والزّوايا، فكان لأبي عبد الله محمد بن مزروق دكان بتلمسان يبيعُ فيه السِّلع وينسخُ فيه المَصاحف وكان للخطيب ابن مرزوق خطٌ رائقٌ ويحسنُ الخطين المغربي والمشرقي كما اشتهرَ العلامة مُحمد السنوسي بنسخ الكتب فكتب نحو ثلاثين كتابًا بخطه.[1]

كما نسخَ السّلطان أبو حمُّو الزّياني الثّاني بيدهِ نسخةً من صحيح البُخاري والمصحف الشّريف وكتاب الشفا للقاضي عياضوحبسها بالمكتبة التي أسَّسها بالجامع الكبير بتلمسان.[2]

- الرّحلةُ في طلبِ العلمِ: انكبَّ الدّارسُونَ في تلمسانَ على العلمِ وعلى الاستزادة منه ولقاء كبار الشّيوخ المشهورين عن طريقِ رحلاتهِم المُختلفة على الحواضرِ الإسلاميَّة فانتقلوا إلى شيوخ الزّيتونة بالقيروان، والقرويين بفاس، وبجاية والإسكندرية والجامع الأزهر ومراكز التَّعليم بمكةَ والمدينة المنورة فحصلوا علمًا وافرًا وألَّفوا مُصنفات قيّمة انتفع بها أهل زمانهم ومن جاء بعدهم.[3]

ب- أشهرُ علماء الفترةِ الزّيانيّةِ ومُصنفاتهم:

أوّلاً: العلومُ الدّينيّة

1. التَّفسيرُ: حَظِي علمُ التّفسيرِ بإهتمامِ الكثيرِ من العلماءِ في الفترة الزّيانيّةِ، فكانت لهم مُشاركة فيه، ومن أبرزهم:

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج 2، ص 337-338.

[2] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ص: 337.

[3] نفسه، ص 337.

- **أبُو عثمان سَعيد بن مُحمد العُقباني (720-811هـ): أخذ العلم عن اِبني الإمام وعبد الله الآبلي[1] تولى قضاء بجاية زمن أبي عنان كما ولي قضاء تلمسان من مُصنفاته في علم التَّفسير: "تفسير سورة الفتح"[2]**

  كما له تفسير على سورة الأنعام.[3]

- **ابن مَرزُوق الحَفيد (ت 842هـ): أخذَ العلمَ عن العديد من العلماءِ كسعيد العقباني والولي الصَّالح أبي إسحاق المصمُودي وعن أبيه وعمه وابن عَرفه بتونس والمكُودي بفاس والحافظ أبي الفضل العِراقي والفيرُوز أبادي بمصرَ مِن مُصنفاتهِ في التَّفسير: "تفسير سورة الإخلاص"[4]**

- **ابن زَاغُو (782-845هـ): هو أحمد بن محمد بن عبد الرّحمان، أخذ العلمَ عن إمام المغرب الإسلاميِّ في وقتهِ سعيد العقباني والمفسِّر ابن يحيى الشَّريف، وممّن أخذَ عنه يحيى بن إدريس المَازُوني صاحب النَّوازل وأبو الحسن القلصادي صَاحب الرِّحلة الذي قال عنه: "أعلم النّاسِ في وقتهِ في التّفسير، وأفصحهم في التّعبيرِ، وبه يُضرب المثل في الزُّهدِ والعبادةِ. وعند كلامه تقفُ الفتيا في الأذكار والإرادة، مُقبلٌ على الآخرةِ مُعرضٌ عن الدُّنيا، عار عن زخرفتِها، إلاّ ما يتخذه من ثوبٍ حَسن أو هيئةٍ فيها جمالٌ. أكرمهُ المولى بتلاوةِ القرآنِ، وشَرّفهُ بملازمةِ قراءةِ العلمِ والتَّصنيفِ والتَّدريسِ والتَّأليفِ" مِن مُصنفاته في علم التَّفسير، تفسير الفاتحة وهو غاية في الحسن والفوائد.[5]**

- **عبد الرّحمان الثّعالبي (786-875هـ): هو عبد الرّحمان بن محمد بن مخلوف الثّعالبي من شيوخه المُحدّث عبد الواحد الغرياني وأبو القاسم العبدوسي، وممّن أخذ**

---

[1] ابن مريم، البستان في ذكر أولياء تلمسان، تح: ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزئر، 1908، ص 106.

[2] الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص 154

[3] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 190.

[4] التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 505-507.

[5] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 118-119، ابن مريم، البستان، ص 42، القلصادي، ص 103.

عنه ابن مرزوق الكفيف والشّيخ السنوسي وابن سلامة البسكري وعبد الكريم المغيلي وغيرهم من مُصنفاته في التَّفسير: "تفسير اِختصر فيه تفسير ابن عطية مضيفًا له فوائد كثيرة، كما لهُ: "تفسير الجواهر الحِسان" وهو غايةٌ في الحسنِ، ولهُ: "الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز" كمَا لهُ مشاركةٌ في علمِ القراءاتِ من خلال شرح منظومة ابن بري في قراءة نافع.[1]

- مُحمد السّنوسي (ت 895هـ): يعدّ من أكبر علماء تلمسان وزهادها، أخذ العلم عن أئمة كمحمد بن العباس، وأبو عبد الله الجلاب وأبركان، عُرف بكثرة تصانيفه بعضها في التفسير ففسّر القرآن الكريم إلى غاية قوله تعالى: {وأولئك هم المخلفون} كما له تفسير لسورة {ص} وما بعدها.[2]
- عبد الكَريم المَغيلي (ت 910هـ): من شيوخه أبو زيد الثّعالبي والشّيخ السّنوسي وممّن أخذ عنه الجبار الفجيجي، قال عنه صاحب البُستان: "فهو أحد أذكياء العالم وأفراد العلياء الذين أوفوا بسطة في العلم والتّقدم والنّسبة في الدّين، المشهور بمحبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وبعض أعدائه" من مُصنفاته في علم التّفسير: "البدر المنير في علوم التفسير" كما له تفسير لسورة الفاتحة.[3]
- الخَزْرَجي (ت 911هـ): هو محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمان بن أبي العيش الخزرجي من أصل أندلسي من كدينة إشبيلية، أخذ العلم عن علماء تلمسان كعبد الرحمان التجيبي وأبي عبد الله الحق، عُرف ببراعته في مختلف العلوم منها التفسير فألف تفسيرًا للكتاب العزيز.[4]

---

[1] قاسم مخلوف، شجره النّور، ص 382، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 259-260.

[2] قاسم مخلوف، شجره النّور، ص 384، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 572.

[3] قاسم مخلوف، نفسه، ص 395، ابن مريم، ص 253-255.

[4] ابن خلدون زكرياء، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،ج1، ص29.

2. الحديث:

يُعدُّ علم الحديثِ المَصدر الثّاني للتّشريع الإسلامي، فهو أوّل ما ينظر فيه الطالب ويعتني به العالم بعد القرآنِ الكريمِ، لأنَّه الكاشف لمرادِ اللهِ بما يتضمنهُ من شرحٍ وتفصيلٍ[1] وعلماء تلمسان كغيرهم من المسلمينَ اِهتموا بهذا العلمِ تَدريسًا وتأليفًا فكانت لهم العديدُ من المُصنفاتِ الحِسان منها: "شرح صَحيح بُخاري" لمحمد بن مرزوق الجدّ[2] ولمحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ) شرح مُسمّى: "المتجر الرّبيع والمسعى الرّجيح والمرحب الفسيح والوجه الصّبيح والخلق السّميح في شرح الجامع الصّحيح" كما له رجزان في علم الحديث، الكبير موسوم "الرّوضة" جمع فيه بين ألفيتي ابن ليون والعراقي، وله: "أنوار الدّراري في مكررات البُخاري"[3] ولعبد الرّحمان الثّعالبي (ت 875هـ) كتابُ الأربعين حديثًا في الوعظِ والرقائقِ[4]، ولمحمد السّنوسي مُختصر الأبي على مسلم في جزأين، وله شرحٌ بديعٌ على البُخاري وشرح مُشكلات البُخاري ومُختصر الزركشي على البخاري[5] وكان عبد الكريم المغيلي مشاركة في علم الحديث من خلال كتابه: "مفتاح النظر في علم الحديث"[6]

3. الفـقـهُ:

تعتبرُ الفترة الزّيانيّةُ عصرَ الفقهاء، حيث نبغَ العديد من الأعلامِ تَدريسًا أو تَصنيفًا من بينهم:

---

[1] محمّد عادل عبد العزيز، مرجع سابق، ص 87.

[2] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 119.

[3] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 214.

[4] نفسه، ص 282.

[5] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 571.

[6] نفسه، ص 578.

- **أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الأنصاري المعروف بالتلمساني (ت 699هـ): ولد بتلمسان ثم اِنتقلَ مع أبيهِ إلى الأندلس وسَكنَ مَدينة مَالقة وبها أخذَ العلمَ، ثمّ اِنتقلَ إلى سَبتة وبها مات[1] ألَّف في الفقه منظومتَه المشهورة المَعروفة بالتلمسانيةِ.[2]**
- **أبو مُوسى عَمران المَشدالي (ت 745هـ): وهُو من كبارِ الفُقهاء قَدِم مِن زواوة إلى تلمسان أيَّامَ السُّلطان أبي تاشفين، وهُو أعرفُ النَّاسِ بمذهبِ الإمامِ مالك في عصرهِ لهُ العديد من الفتاوى نقلَ الوَنشريسي الكثيرَ منها في معيارهِ.[3]**
- **مُحمد بن مرزُوق الخطيب (ت 781هـ): هو شمس الدّين المشهور بالجدّ وبالخطيب نشأ بتلمسان ثمّ اِنتقل إلى بجاية ثمّ القاهرة وبعدها عاد إلى تلمسان وولي الخطابة بمسجد العباد، ومن مصنفاته الفقهية: "عُمدة الأحكام" و "شرح الأحكام" و "شرحُ الاحكام الصُّغرى لعبد الحق" ولهُ شرح فرعي ابن الحاجب سَمّاه: "إزالةُ الحَاجب لفروع ابن الحاجبِ"[4]**
- **ابن زاغُو (782-845هـ): كان مُتبحرًا في مُختلف العلومِ الدِّينيَّة ولهُ مشاركةٌ قيّمةٌ فيها، ومن مُصنفاته الفقهيَّة: شرحُ التلمسانية في الفرائضِ، كمَا لهُ عدَّةُ فتاوى نُقِل بَعضُها في المَازُونية.[5]**
- **أبو زكريا يحيى بن مُوسى المَقيلي المَازُوني (ت 883هـ): أخذ العلم عن ابن مَرزُوق الحفيد والعُقباني وابن زاغُو ومحمد بن العباس، ألَّف نوازله المشهورة، التي أخذ بعضها الونشريسي في المعيار.[6]**

---

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص 63.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 290.

[3] زكريا بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 72، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 316.

[4] ابن مريم، البستان، ص 184، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 455.

[5] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 119.

[6] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 383، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 637.

- **مُحمد السّنوسي (ت 895هـ): وهو من أكبر علماء تلمسان قال عنه تلميذه الملالي: "كان مُحقِّقًا متقنًا حافظًا يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضرُه بين عينيه قلَّ أنْ ترى مثله حافظًا، ما رأيته قط مشتغلاً بما لا يعنيه بل إمّا ذاكرًا أو قارئا للقرآن أو مشتغلاً بمطالعةٍ أو نحوه" من مُصنفاته الفقهية: تعليق على فرعي ابن الحاجب.[1]**
- **مُحمد بن زكري التلمساني (ت 899هـ): أخذَ علمهُ من أعلامِ تلمسان كابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغُو، ألَّف في مسائل القضاء والفتيا، نقلَ الونشريسي الكثير منها.[2]**
- **عبد الكريم المغيلي (ت 910هـ): من مُصنفاته الفقهية: "مغني النَّبيل" كما له شرحُ البُيوع، وله تأليفٌ في المنهيات.[3]**
- **الوَنْشَرِيسي (ت 914هـ): يعدُّ حاملَ لواءِ مذهبِ الإمامِ مالك في القرنِ التَّاسع تتلمذَ عن شيوخ تلمسان كقاسم العقباني وولده سالم العقباني، وعبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف وغيرهم، لهُ العديد من التآليفِ الفقهيةِ منها: "المعيارُ المعرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" وله تعليق على ابن الحاجب الفرعي، ولهُ "القواعدُ في الفقهِ" و "الفروقُ في مسائلِ الفقهِ"[4]**

4. السّيرةُ النّبويةُ والعقيدةُ:

لم يقتصر اِهتمامُ علماء بني زيّان على التّفسير والحديث والفقه، بل نجدهم يعتنون بالسّيرة النّبوية والعقيدة فألفوا فيهما العديد من المُصنفات، منها كتاب: "إظهار صدق المودّة" لابن مرزوق الحفيد، وهو كتاب في السّيرة شرح به بردة المديح وله في العقيدة

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 385، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص341.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ص 386، ابن مريم، البستان، ص 41.

[3] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 578.

[4] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 135، ابن مريم، البستان، ص 54.

كتاب: "عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد"[1] ومحمد السّنوسي ألَّف في العقيدة كتابا سمّاه: "عقيدة التّوحيد"[2] كما نجد لعبد الرّحمان الثّعالبي حضور في السّيرة النّبويّة من خلال مؤلفه: "الأنوار في آيات النّبي المختار" تحدّث فيه عن سيرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم وعن غزواته.[3]

ثانيًا: العلومُ اللّسانيّة

1. النّحو:

اِعتنى به أهل تلمسان سواءً في مراحلِ التَّعليم المُختلفة، أو من حيث التأليف وممَّن برزَ في تدريسهِ محمد الشّريف إمام مسجد الخراطين بتلمسان، فكان يدرِّس التّسهيل لِابن مالك وبعض المرادي والجمل للزّجاجي[4] والشّيخ محمد بن عمر الفتوح التلمساني كان يقرئ ألفية ابن مالك بمدرسة أبي عنان[5] وكذلك محمد بن محمد بن العباس التلمساني الشّهير بأبي عبد الله له مرويات وأبحاث في النّحو[6] أمّا من حيث التأليف نجد ابن المرزوق الحفيد (ت 842هـ) له أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك وله المعراج إلى اِستمطار فوائد الأستاذ ابن مالك اِنتهى فيه إلى باب اِسم الإشارة، كما له مجلد في شرح شواهد شراحها إلى باب كان وأخواتها[7] ومحمد السنوسي له مُصنف: "شرح المرشدة والدر المنظوم" وهو شرح للأجرومية، كما ساهم العلامة عبد الرحمان الثعالبي في هذا العلم من خلال كتابه "تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن"[8] وعبد الكريم المغيلي له كتاب: "مُختصر تلخيص المفتاح وشرحه"[9]

---

[1] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 213-215.

[2] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 571.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص 69.

[4] القلصادي، رحلة القلصادي، ص 99-100.

[5] ابن مريم، البستان، ص 282.

[6] ابن مريم، البستان، ص 259.

[7] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 215.

[8] نفسه، ص 282.

[9] التنبكي، نيل الإبتهاج، ص 578.

2. الأدبُ:

أ- النثرُ: شهدَ النّثرُ الزّيانيُّ تراجعًا شأنه شأن النّثر الحفصي وما وصلنا يكاد ينحصر في الرّسائل والخطب والوصايا والكتب التّاريخية والأدبيّة، وهذا راجع لضياعِ الأغراضِ النّثريةِ الأخرى، ففي التَّرسل الدّيواني برز العديدُ من الأعلام كابن خطاب (ت 636هـ) أصله من الأندلس، إشتغل في ديوان الرّسائل بغرناطة[1] ثمّ إنتقل إلى تلمسان وكان من أوائل الكتّاب عند قيام الدَّولة الزّيانيّة فكتب عند سلطانها يغمُراسن بن زيّان[2] فكانت رسائله نموذجًا يُحتذى بها في كتابه، كما نجدُ ابن خَميس (ت 708هـ) الذي يعدُّ من فحولِ الشعراءِ عارفًا بأسرارِ العربيَّة وغريبها إشتغل بالكتابةِ عند السُّلطان أبي عثمان بن يغمراسن.[3]

وأيضًا ابن هدية القرشي (ت 737هـ) وكان مُلمًا بالوثائقِ، كتبَ عند الملوك الأوائل من بني يغمراسن[4] كما نجدُ العديدَ من الكتّابِ إشتغلُوا في البلاط الزّياني كيحيى بن خلدون، وعلي بن مسعود الخزاعي المُلقب بذي الوزارتين، وأبو عبد الله بن مدورة، ومحمد الصّالح بن شقرون، وميمون السّنوسي وغيرهم.[5]

وفي التّرسل الإخواني برز ابن خطاب، ومحمد بن خَميس، وابن هدية، وابن مَرزُوق الخطيب، ويحيى بن خلدُون، ورسائلهم ضاعَت لعدمِ تدوينها من طرفِ المؤرخينَ والأدباء.[6]

---

[1] ينظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج2، ص 456.

[2] زكريا بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 79-80.

[3] بوزياني الدّراجي، أدباء وشعراء تلمسان، ج2، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص 359.

[4] زكريا بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص 51-52.

[5] عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 457.

[6] نفسه، ص 460.

أمّا فنُّ الوصايا فأبرزُ من يمثلهُ أبو حمُو مُوسى الزّياني من خلال كتابه: "واسطة السّلوك في سياسة الملوك" ألّفه لِابنه ولي عهده وضمّنه نصائح حكيمة وسياسة عملية تمكنه من تسيير شؤون الدولة تسييرًا راشدًا مُقسمًا الكتاب إلى أربعة أبواب:

- الباب الأوّل: تضمّن نصائح عامة ينبغي على الملك مراعاتها كالعدلِ، ملازمة التَّقوى، حفظ المال، العناية بالجيوش.
- الباب الثّاني: ويعدّ أهمّ قسم في الكتاب لِإشتماله على قواعد الملك وأركانه.
- الباب الثّالث: تَضمّن ذكر الأوصاف المحمودة التي يستقيم بها المُلك، وتتمثَّلُ في الشَّجاعةِ والكرمِ والحلمِ والعفوِ.
- الباب الرّابع: وهو بمثابة دراسة نفسية لأحوال النَّاس.[1]

ب- الشعر: عَرفَ الشعرُ في الفترة الزِّيانيَّة اِزدهارًا كبيرًا بفضلِ الحركةِ الفكريَّة والأدبيَّة التي شهدتها الإمارة، فبرزَ العديدُ من الشعراء اِرتقى نَظمهم إلى مُستوى الأدبيَّة، كما ظهرت العديد من الموضوعات الجديدة كالقصة الشعرية، والتَّصوف الفلسفي، والمدائح النّبويّة والمولديات لتضاف إلى الموضوعات المعروفة.

واِمتازَت هذه الفترة أيضا بنبوغ الفقهاء والكتَّاب والأطباء والوزراء والسَّلاطين في فن المنظوم، فهذا السّلطان أبو حَمُو مُوسى الثَّاني له أشعار في أغراض مُختلفة ومن هذه القصائد مولديته الميمية التي أنشدها بمناسبة المولد سنة 760هـ، من أبياتها قوله:

نَـــامَ الأحبَـــابُ وَلـــمْ تَـــنَمْ عَيْنِـــي بِمُصـــارعةِ النَّـــدمِ

والـــدَّمعُ تَحَـــدَّرَ كالـــدِّيمِ جُـــرحَ الخَـــدَّين فَـــوَا أَلَمِـــي

وَزَجـــرْتُ الـــنَّفسَ فَمَـــا ازْدَجَـــرتْ ونَهيـــتُ القَلْـــبَ فَلَـــمْ يَـــرم

---

[1] ينظر: عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزّياني حياته وآثاره ، ص 197 إلى 201.

ونَـــذِيرُ الشَّـــيبِ لَقَـــدْ وَافَـــي وحُلُـــولُ الشَّـــيبِ مِـــنَ الهَـــرَمِ

والعُمْـــرُ تَـــوَلى مُنْصَـــرِمًا آهٍ للعمـــــــرِ المُنْصَـــــــرِمِ

وكَـــذَا الأيَـــامُ لَهَـــا عِبَـــرٌ ولَيَـــالِي الـــدَّهرِ كَمَـــا الحلـــمِ

والـــــدَّارُ تَغُـــــرُّ بِسَـــــاكِنِهَا ويـــحَ المغـــرُورِ بِهَـــا الـــنَّهم

يَـــا نَفـــسُ خُـــدِعْتِ بِزُخرفِهَـــا كَـــمْ ذَا تغتـــرُ بِهَـــا وَكَـــم

يَـــا رب ذُنُـــوبِي قَـــدْ عَظُمَـــتْ فَـــامْنُنْ بِـــالعفوِ لِمُجْتَـــرِم

فَـــالعَفوُ إلهـــي مِنْـــكَ وإنَّ الـــذَّنبَ وحقـــكَ مـــنِ شـــيَمي

شَـــأنُ المملـــوك الـــذَّنب وشَـــأن المَـــولى العَفـــو عَـــنِ الخَـــدمِ

إنّـــي بِـــذُنوبِي مُعتـــرِفٌ والخَـــوفُ أشَـــدُّ الأَلَـــمِ

يَـــا رَب إذَا لَـــم تَعصـــمني مَـــالي بِـــذُنوبِي مِـــن عِصَـــمِ

كَـــمْ أَجْنِـــي الـــذَّنبَ وتمهلنـــي وتُقابِـــلُ ذَلـــكَ بِـــالنَّعم

ولكَـــمْ أعْصِـــيكَ وتَسْـــتُرنِي يَـــا ذَا الأفضـــالِ وذَا الكَـــرَمِ

مَـــا زلـــت بِفَضـــلكَ تَرحمنِـــي وتَجـــودُ عَلَـــيَّ عَلَـــى القَـــدم

والعبـــــدُ بِبابِـــــكَ مُلتَـــــزِمٌ وبِغيـــرِ جنابـــك لَـــم يحـــم

يـــا رب أنِلنِـــي مِنـــكَ رضـــى فَرِضَـــاكَ الفـــوزُ لمُغتَـــنِمِ

أدْعُـــــوكَ إلهـــــي مُعْتَـــــذِرًا فِـــي ضَـــوءِ الصُّـــبحِ وفِـــي الظُّلَـــمِ[1]

ومن الأغراض الشعرية التي عرفت حُضورًا كَبيرًا في الفترة الزِّيانيَّة المدح، فنجد الشعراء يكثرون من مدح بني زيَّان وملوكهم، ومن أمثلة ذلك قصيدة التلالسي التي مدح فيها بني زيَّان، ومن أبياتها قوله:

وعَبْـــدُ الـــوَادِ سَـــادَاتٌ كِـــرَام بِهُـــم مَـــا شـــئت مـــن بَطـــل جَـــواد

وأُقْسِـــمُ لَـــيسَ فِـــي الـــدُّنيَا جَمِيعًـــا سِـــــوَاهُم للسُّـــــروجِ والجيـــــادِ

فَكَـــمْ مِـــن كُرْبَـــةٍ بِهِـــمْ تَجَلَّـــتْ شَـــدَا بِمـــديحِهم فِـــي النَّـــاسِ شَـــاد

بَنِـــي زيـــانٍ عَـــادَ المُلْـــكُ فِـــيكُم بِحَـــــوْلِ اللهِ قَهـــــارُ العِبَـــــاد

فَعِيْشُـــــوا مَـــــا دَعَـــــا للهِ دَاعٍ بِخيـــرٍ مَـــا حَـــدَى بالرَّكـــبِ حَـــاد

أنَيلُونَـــــا مِـــــنَ النُّعمَـــــا فَإنَّـــــا أنَـــاسٌ شَـــأْنُنَا حِفْـــظُ الـــوِدَاد

فَكَـــمْ مِـــن نِعمـــةٍ لكُـــم عَلينَـــا وَكَمْلَكُـــمْ عَلينَـــا مِـــنْ أيـــاد

فَلازِلنَـــــا رَعيـــــتَكُم وأنْـــــتُم أئِمَتُنَـــا إلـــى يـــومِ التَّنَـــادِ[2]

كذلك نجد محمد بن يوسف القيسي يمدح سلطانها أبو حمو فيقول:

مَلِـــكٌ يَسُـــودُ بِرأيِـــهِ كُـــلَّ الـــوَرَى فَكَأنَّـــــهُ رُوحٌ وهُـــــمْ جُثْمَانُـــــهُ

مَلِـــكٌ أعـــادَ المُلْـــكَ بَعـــدَ دُثـــوُرِهِ لـــوْلاهُ لَـــمْ تَثْبُـــتْ لَهُـــمْ أَرْكَانُـــهُ

---

[1] أبو حمو موسى الثاني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، مطبعة تونس، 1279، ص 10.

[2] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيّان، ج2، تح: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنّشروالتّوزيع الجزائر،2011ص 113.

مَلِــكٌ وَحِيــدٌ فِــي المَعَــالِي مَالَــهُ ... إلاّ المكَــــارِمَ والتُّقَـــــى خِلانُـــــهُ

مَهْمَــا يَجِــدْ فالغَيْــثُ دونَ عَطَائِــهِ ... مَــــا إنْ يُعــــارضْ جُــــودَه هَتَّانُـــهُ

فــالجودُ ينفــعُ فِــي الجُــودِ دَوَامُــهُ ... والغيــــثُ لـــــيسَ بنـــافعٍ إدمانُـــهُ

مَلِــكٌ تَخَــافُ الأَسْــدُ سُــطْوَتَهُ إذَا ... حَمِـــي الـــوَطيسُ وَضَــمَّهُ مَيْدَانُـــهُ

خَــفَّ النَّهــارُ بليــلِ نَقْــعٍ أَغْبَــرِ ... وَبــدَتْ كَمِثْــلِ نُجُومِــهِ حِرْصَــانُهُ

تَلْقَــى الخَليفَــةَ عِنْــدَ ذَاكَ بَاسِــمًا ... يُفْنِـــي الطُّغَـــاةَ ضِـــرَابُهُ وَطِعَانُـــهُ

وحُسَـــامُهُ يَنْهَـــلُ بالـــدَّمِ كلَّمَـــا ... أضْـــحَى يُضَـــاحِكُ دُرّهُ عِقْيَانُـــهُ

فَكَأَنَّـــــهُ رَوضُ تفـــــتَّحَ زَهْـــــرُهُ ... وَدَمُ العِـــــدَى خَـــــدّهِ نُعْمَانُـــــهُ

سَـيْفٌ شُـعَاعُ الشَّـمسِ دُونَ فِرَنْـدِهِ ... مَهْمَـــا تبـــدّى سَـــاطِعًا لمعَانُـــهُ

أمِنَـــتْ تِلمِسَـــانٌ مَخَاوِفَهَـــا بِـــهِ ... فلَقَـــدْ حَمَاهَـــا سَـــيْفُهُ وَسِـــنَانُهُ

مَلِـــكٌ سَـــعِيدٌ لا يُعَانِـــدُ مُلْكَـــهُ ... إلاَّ شَـــقِّيٌ قَـــدْ دَنَـــا خُسْـــرَانُهُ

ملـــكٌ تقـــرُّ لَـــهُ المُلُـــوكُ بأنَّـــهُ ... مَـــوْلاَهُم الأَسْـــنَى وَهُـــمْ عُبْدَانـــهُ[3]

مُتَـــوكِلاً أبـــدًا عَلَـــى مَـــوْلاهُ فِـــي ... عَلْيَـــاهُ وافَـــقَ سِـــرُّهُ وإعلانُـــهُ

حَكَمَـــتْ لَـــهُ الكُتُـــبُ القديمـــةُ أنَّـــهُ ... سَيُشِـــيدُ مُلكًـــا شَـــامِخًا بُنْيَانُـــه

مِـنْ نَحْـوِ أرضِ الـزَّابِ يُقبِـلُ طَالبًـا ... ثَـــأرًا ومِـــنْ أنْصَـــارِهِ عُرْبَانُـــهُ

---

[3] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيّان، ج2، ص 244-245.

فَيمهِّـــد الـــدُّنيا ويَمـــتَهِنِ العِـــدَى وجَميـــعُ ذَلـــكَ قَـــدْ بَـــدا بُرهانُـــهُ

أدْنَـــى الـــبلاد إليـــه عَـــزمُ صَـــادق فـــالنّجح مَوقُـــوفٌ عَليـــهِ ضَـــمَانُهُ

وإليـــكَ يَـــا خَيـــرَ المُلـــوكِ قَصِـــيدةٌ كالسَّـــــلكِ فَصَّـــــلَ دُرّهُ مُرجَانُـــــهُ

مِـــن نَـــاظِم سَـــحَرَ البَيـــانَ بَـــدائعًا لَكِـــنْ يُقَصِّـــرُ عَـــنْ حَـــلاكَ بيانُـــهُ

لا يســـتوي حُـــرُّ الكَـــلامِ وعَبْـــدِهِ يومًـــــا ولا حصـــــباؤهُ مُرجانُـــــهُ

لا زَالَ مَولانَا أبُو حَمُو حِمًى للمُلْـــــكِ دَامَ مُؤيـــــدًا سُـــــلْطَانُهُ[1]

وكانت الطَّبيعة الخلابة التي تتميَّز بها تلمسان دَافعًا قويًّا لتحريك قرائح الشعراء فهذا ابن خَميس يصفُ تلمسان مُبديًا إعجابه ببساتينِها وسَواقِيها، فَيقول:

تلمســانُ جادتــك السَّــحاب الــدَّوالح وأرســـتْ بواديـــكِ الرّيـــاحُ اللَّـــواقحُ

وســح علــى ســاحاتِ بــابِ جيادهَــا مُلِـــثٌّ يُصـــافي تربهـــا ويُصـــافحُ

لســـاقيةِ الرُّومـــيِّ عِنْـــدِي مَزيّـــةٌ وإنْ رغَمَـتْ تلـكَ الرَّواسـي الرَّواشِـحُ

فكـمْ لِـي عَليهَـا مِـن غُـدُوٍّ وَرَوْحَـةٍ تُســاعدُنِي فيهَــا المُنــى والمَنَــائِحُ

فَطَـرْفُ عَلـى تِلـكَ البَسـاتينِ سَـارِحٌ وطَـرْفٌ عَلـى تِلـكَ الميـادينِ جَـامِحُ

تُحَارِبُهَـــا الأذْهَـــانُ وهِـــي ثَوَاقِـــبُ وتَهْفُـو بِهَـا الأفْكَـارُ وهِـي رَواجِـحُ

---

[1] مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيّان،ج2، ص 248 إلى152.

ظِبـــاءٌ مغانيهـــا عَـــواطٍ عَواطِـــفٌ وطَيـــرٌ مَجانيهـــا شـــوادٍ صَـــوادحُ[1]

وفي الرِّثاء برعَ العديد من الشعراء كابن خَميس، والسّلطان أبو حَمُو مُوسى الثّاني ففي إحدى قَصائده عبَّر عن اِنشغالِ بالهِ لفقدان والده الرَّاحل فيقول:

قَدْ كانَ لِي فِي الدُّنى أبٌ يُساعدنِي فصارَ تحتَ الثَّرَى فِي لَحدِه اِكتنفَا

مَـددتُ فِـي ظـل نعمـاه يَـدي زَمنًـا ونِلـتُ مِـن رفـده فِـي دَهـره اِلتحفَـا

يَسُـرُّهُ إنْ رآنـي سِـرتُ فـي تـرفٍ ويَسـتزيدُ علـى الأعـداءِ بـي صَـلفَا

وإنْ عَرَانِـي مَـا أخْشَـاهُ مِـن دنـفٍ بَكَـى وَرقَّ وأضْـحىَ يشـتكِي لَهَفَـا[2]

وفي الغَزل برعَ العديد من الشعراء كابن أبي حَجلة والعَفيف التلمساني المشهور بالشَّاب الظَريف والحَوضي الذي له قصيدة طَنانة في ذلكَ، من أبياتِها قَوله:

أرَذَاذُ المُـــزْنِ مِـــنْ عَينِـــي نَـــزَلْ أمْ دُمُـــوعُ الشَّـــوقِ إذَا رَقَّ الغَـــزَلْ

أبعيْنِـــــي دمعـــــه وكافـــــة أم شـــعيبٌ للنَّـــوى منهـــا اِنتـــزل

لا بَكَـــتْ عَينِـــي ولا أبْقَـــى البُكـــا ضـــوءها عـــن فعلِهَـــا إنْ لَـــمْ تَـــزَلْ

دَعْ عـــذولي اللّـــوم إنّـــي شـــائقٌ رقّ طبعـــي دُونَ صُـــنعي فـــي الأزلْ

أو يَنسَـــى العهـــدَ قلـــبٌ دنـــف والهَـــوَى قبـــل النَّـــوى عنـــهُ نَـــزلْ

لا تَلُمنِـــي دُونَ علـــمٍ عَـــاذِلي بِسَـــمعي صَـــمَمٌ عَمَّـــن عَـــذلْ

---

[1] عبد الوهاب منصور، المنتخب النّفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، ط1 1365هـ، ص 85-86.

[2] عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزّياني حياته وآثاره، ص 218.

إنَّ فـــي نـــارِ هَـــواكم جَنتِـــي لَـوْ عملـت الحبـل مـنكم يتصـلْ

أمَّنُـــوا روعـــةَ قلبـــي باللِّقَـــا فإنتظـار الوعـدِ قـرب إنْ حَصَـلْ[1]

عَبَّر الشاعر عن حُزنهِ وكآبتهِ بسببِ الجفاء الذي لقيَهُ من طرف هذه المرأة. مُتمنيًا تَجدُد حبل الوصال بينهما.

كما إنتشر في الفترة الزّيانيَّة فن الموشحات، وهو من الألوانِ الأدبيَّةِ التي إستحدثَها أهلُ الأندلس أواخِرَ القرن الثَّالث الهجري، رغبةً منهم في التَّحرر من نظم القصيدة العربيَّة التَّقليديَّة، وإستجابةً لحاجة فنيَّة ونتيجة لظروف ميّزت حياتهم اليومية، والموشحات حسب ابن سناء الملك هي: "كلامٌ منظوم على وَزن مَخصوص، وهو يتألف في الأكثرِ من ستةِ أقفالٍ وخمسة أبياتٍ ويقال له التَّام، وفي الأقلِ من الخمسة أقفال وخمسة أبياتٍ ويُقال له الأقرع، فالتَّام مَا إبتدئ فيه بالأقفالِ، والأقرع ما إبتدئ بالأبيات"[2] ومن أعلامِ التَّوشيح، نجدُ عبد الله محمد التلالسي، يقول إحدى مُوشحاته:

سـخي أيـا مُقلتـي وأنْهلـي بِـدَمْعِكِ الواكِـفِ المنْهِـلِ

عَلَـى شَـبابي الـذي قـدْ ولّـى

آهٍ لَقَـــدْ بَـــانَ وَاضْـــمَحَلاَّ

فَهَلْ لِقَلْبِي الشَّجِي أَنْ يُسَلَّى

مَا فـي الـذي نَـالَني مَا يُسْأَلُ فَقَـدُ الشَّـبَابِ وَفَقْـدُ الأهْـلِ

بَـانَ الحَبيـبُ ووَفَـى الشَّـيْبَ

---

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 80.

[2] ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تح: جودة الركابي، دمشق، سوريا، 1949، ص 25.

فكَيـفَ يَسْـلُو بهـذَا القَلْـبِ

تُـرى لمَـا قَـدْ دَهَـاني طِـب

مَـالي وحَـقَّ الهَـوَى مِـنْ مثلِ لا فـي انْتِحَـابِي ولاَ فـي شَـكْلِ

تَرْكِـي لِـذِكْرِ الصَّبَا أَوْلَـى لـي

ومَدْحُ مُوسَى الرِّضَى أَسْمَالِي

مـن خصَّبالفضـل والأفْضَـالِ

شَـــهْمٌ جـــوادٌ كثيـــرُ البَـــذْلِ بهِ اعْتِصَامُ الوَرَى فـي المَحْلِ

بـــه تلمســـانُ ذاتُ الحُسْـــنِ

فيمَا اشتهَتْ مِنْ مُنَـى وأمـن

بغـــدادُ شَـــوْقًا لَهَـــا تُغَنِـــي

أجْـزَتْ لَنَـا مِـنْ دِيَـارِ الخِّـلَّ ريـحُ الصِّـبَا عَـافِرَاتُ الـذَّيْلِ

يَـا أيُّهَـا المَلِـكُ المَنْصُـور

يَـا مَـن لَـهُ الأَمْـرُ وَالتـأميرُ

بنّصْـرِكُمْ قَـدْ جَـرَى المَقْـدُورُ

فـي مَـدْحِكُمْ يـا زكِـيَّ الأصْـلِ يَـدِي تَخُـطُّ وقَلبِـي يُملِـي[1]

ثالثًا:التّاريخ

برز العديد من المؤرخين في الفترة الزّيانية، الكثير منهم وثّق تاريخها منهم:

- **ابن هدية القرشي (ت 736هـ): نشأ وتعلم بتلمسان وولي قضاءها، وكتب الرّسائل عند ملوكها الأوائل، فكان اِشتغل مُستشارًا لأبي تاشفين عبد الرّحمان وكاتبا لسرّه، من مُصنفاته التّاريخيّة كتابُه المسمّى: "تاريخ تلمسان"[2]**
- **الخزاعي التلمساني (ت 781هـ): أصلهُ من الأندلس اِنتقل مع أبيهِ إلى تلمسان فاِشتغلَ والده كاتبًا عند مُلوك وأمراء تلمسان، من مُؤلفات الحسن الخزاعي: "تخريج الدّلالات السّمعية على ما كان في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الحرف والضائع والعمالات الشّرعية" وهو من أنفس الكتب في هذا الموضوع.[3]**
- **مُحمد ابن مرزوق (ت 781هـ): يعتبرُ آيةً في فنون العلم والأدب والسّياسة، فهو من أبرز أعلام القرن الثّامن الهجري، كان غزير التأليف في مُختلف العلوم، منها مؤلفه التّاريخي النّفيس الذي يُؤرخ لفترة حكم السّلطان المريني أبي الحسن، والمسمّى: "المسند الصحيح الحسن في محاسن ومآثر مولانا أبي الحسن"[4]**
- **زكريا بن خلدون شقيق المؤرخ الأشهر عبد الرّحمان: مولده ونشأته بتونس اِنتقل إلى فاس صُحبة أخيه ثمّ إلى تلمسان وعمل كاتبًا لأبي حَمُو موسى، من مُؤلفاته: "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" ذكر فيه نشأة الدّولة الزّيانيّة إلى غاية عصره.[5]**

---

[1] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، ج2، ص 100-101.

[2] عادل نويهض، مرجع سابق، ص 336.

[3] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، ص 113-114.

[4] نفسه، ص 215.

[5] خير الدّين الزّركلي، الأعلام، ج8، ص 166، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ص 124.

- **عبدُ الرّحمان الثّعالبي (ت 875هـ): عُرف بتبحرهِ في مُختلف العلومِ، وغزارة تأليفه من مُصنفاته التَّاريخية كتابهُ المُسمّى: "جامع الهمم في أخبار الأمم" والكتاب في مجلدين ضخمين.[1]**
- **مُحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التّنسي (ت 899هـ): وهو من أكبر علماء تلمسان ومُحققيها أخذَ العلمَ عن اِبن مَرزُوق الحفيد، وقاسم العُقباني وإبراهيم التازي وغيرهم من مُؤلفاته كتابه التَّاريخي الرَّائق المسمّى: "نظم الدر والعقيان في دولة آل زيّان"[2]**
- **ابن صَعد (ت 901هـ): ويعدُّ من كِبار عُلماء تلمسان وفُقهائها، من مُؤلفاته "النَّجم الثّاقب فيما لأولياء الله من المناقب" كما له: "روضة النّسرين في مناقب الأربعة المتأخرين، وهم الهواري وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بمن الحسن الغماري، قالَ عنهُ مُحمد العربي الغَرناطي:**

إذَا جئـــــــــتَ لتلمســـــــــانَ فَقُـــلْ لِصـــــنديدهَا ابـــن صـــعدِ

عِلمُـــــكَ فَـــــاقَ كـــــلَّ علـــــمٍ مَجـــــدُكَ فَـــــاقَ كُـــــلَّ مَجـــــدِ[3]

ومِنَ الكُتب التَّاريخيَّة الهامّة التي أرّخت للفترة الزّيانيّة في ظل حكم سلطانها أبي حَمُو مُوسى الثّاني كتاب "زهر البستان في دولة بني زيان" وهو لمؤلف مجهول يبدو من عمق إطلاعه، ودقة وصفه لما يجري داخل البلاط الزّياني أنَّه اِشتغل به.[4]

---

[1] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر، ج2، ص 282.

[2] ابن مريم، البستان، ص 248-249.

[3] ابن مريم، البستان، ص 251-152.

[4] ينظر: مقدمة التّحقيق بوزياني الدّراجي لكتاب زهر البستان في دولة بني زيّان، ص 7.

المبحث الثَّالث: الدّولة المرينيّة

أ- عواملُ ازدهاردولة بني مرين:

1. المَساجدُ:

اِهتمَّ المرينيونَ بالعمرانِ وخاصةً الدّيني فشيّدُوا العديدَ من المساجدِ والجوامعِ الصّغيرةِ سواءً في عاصمتهم فَاس أو في الحَواضِر الأخرى، حتى تكونَ هذه المنشآت الدّينيّة مكانًا للعبادة ومصارح لنشرِ العلمِ ومن أهمِّ المساجد المرينيَّة:

- الجامعُ الكبير بفاس: أمرَ ببنائهِ أمير المُسلمين أبي يوسف بن عبد الحق عندما أتمَّ بناء سور فاس، وتمَّ الانتهاء من تشييده سنة 677 هـ[1]

وكان المسجد على مقربة من القصر الملكي[2]وأوّل خطيب خطب به المُحدّث أبوعبد الله محمد بن أبي زرع (ت 679 هـ)، عُلقت الثريا الكبرى بالجامع وكان وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً كما بُنيت المقصورة في السّنةِ نفسِها.[3]

- مسجدُ الصَّفاريين ومسجد حلق النّعام: بناهُما السّلطان أبو الحسن بفاس وتميَّز كل واحد منهما بالكبرِ والضّخامةِ وارتفاع صَومعتهما.[4]
- مسجدُ مَقبرة زكلو: وكانَمن أكبرِالمَساجدِ بسبتة بعدَ المَسجد الجامع كانَ لهُ صومعةً عجيبةً وهو من بناء الفقيه مُحمد العزفي صاحب سبتة.[5]

---

[1] مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينيّة، ص 187.

[2] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التّطبيقية بالمغرب الأقصى، الهلال العربيّة للطباعة والنّشر الرّباط، المغرب، ط1، 1993، ج4، ص 267.

[3] مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينيّة، ص 187.

[4] ابن مرزوق، المسند الصّحيح، ص 401.

[5] محمّد بن القاسم الأنصاري السّبتي، اختصار عما كان بثغر سبتة من سي الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2 1983 الرّباط، المغرب، ص 32.

- **جامعُ المنصور: تمَّ بناؤُه في مدينة مَراكش عاصمة المُوحدين السَّابقة، تميّز الجامع بمساحتهِ الكبيرةِ وروعةِ إحكامهِ وجمالهِ، كما عُرف بصومتهِ التي لاتُضاهيها صومعة أخرى في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها.[1]**
- **جامعُ تازا: بناهُ السّلطان المريني أبو يعقوب سنة 693 هـ[2] وهذا المسجد بُنِيَ بدايةً في عصرِ الموحدينَ، لكن السّلطانَ المذكور هُو مَن أجرى عليهِ التَّعديلات الكُبرى.[3]**
- **مَسجدُ الشرابليين: يقعُ المَسجد بفاس، وتاريخ بنائهِ يرجعُ إلى القرنِ السَّابع الهجري وهو من بناء أحد السّلاطين المرينين غير معروفٍ على وجه التَّحديد.[4]**
- **الجامعُ الكبير برباط الفتح: ويُعرف باسم آخر كذلك وهو جامعُ الخرازين، والخرازُون هم صَانِعو الأحذية، وقَد استمدَّ الجامع اسمَه الأخير من وقوعهِ عند ملتقى شارع باب شالةبسُوقِ الأحذيةِ.[5]**

كمَا شيّدَ المرينيون العديدَ من المساجدِ الأخرى بفاس كَمسجدِ لالاغَريبة، والزهرة والوراقين وأبي الحسن[6] وجامع الحَمراء، ومسجد العباسيين.[7]

بالإضافةِ إلى هذه المَساجد شيّدُوا كذلك العديد من المساجد الأخرى بتلمسان عندما اخضعُوها لملكهم فشيّدَ أبو الحَسن جامع القَصبة، والجامع الكبير ومَسجد هُنين[8]، كمَا

---

[1] ابن مرزوق: " المسند الصّحيح"، ص 401.

[2] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تر: كارل يوحن تورنبرغ دار الطباعة المدرسية، أوسبالة، 1933، ص 280.

[3] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج 4، ص 129.

[4] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج 4، ص161.

[5] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج 4، ص 164.

[6] بوتورنو، فاس في عصر بني مرين، ص 46.

[7] ينظر محمد المنوني، ورقات من حضارة المرينيين،مطبعة النّجاح الجديدة،الدّارالبيضاء، المغرب، ط3، 2000،ص 52.

[8] ينظر: ابن مرزوق، المسند الصّحيح، ص 402-403.

شيَّد أبو يعقوب يُوسف مسجد المنصورة سنة 702 هـ والسّلطان أبو عنان مَسجد سيدي الحلوي سنة 754 هـ.[1]

2. الزَّوايا:

نظرًا لأهميةِ الزَّوايا قديمًا في نشر العلم واستقبال المُسافرين فقد شيَّد مُلوك بني مرين العديدَ من الزَّوايا مِنها:

- **زاويةُ سلا: بناهَا السّلطان أبو الحَسن داخل سور المدينة تميّزت بحسن تخطيطها،تمَّ الانتهاء من بنائِها سَنة 739 هـ.[2]**
- **زاويةُ أبي عبد الله اليابوري: وكانت بحاضرة سَلا[3] وهي عجيبة الشَّكل حسنة التّخطيطِ وهي مبنيةٌ من الحجر والأجور خشية النّارِ.[4]**
- **زاويةُ القورجة وزاوي باب المشورين: وهُما من بناء السّلطان أبي الحَسن.[5]**
- **زاويةُ النّساك: بَناها السّلطان أبو عَنان، وكانت بمثابة دار للضّيافة ينزل فيها الرَّحالة والمسافرون، وكانت تَشتمل على حديقةٍ جميلةٍ وغرفٍ عديدةٍ وقاعة للصّلاة.[6]**
- **الزَّاويةُ الكُبرى: وهي من بناء السّلطان أبي عنان، وكانت معدّة للغرباء، تميّزت بجمال بنائها وحسن زَخرفتها وروعة صَومعتها التي تعدُّ من أبدعِ الصَّوامع بسبتة.[7]**

---

[1] ينظر: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج 4، ص134-156.

[2] عبد المنعم محمّد حسين، مدينة سلا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1993، ص 68.

[3] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ص 153.

[4] عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج 4، ص 267.

[5] أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني، الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون، المغرب، 1952، ص 14.

[6] عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العهد الإسلامي، ص 68.

[7] محمّد عبد القاسم الأنصاري السّبتي، إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سَني الآثار، ص 32.

3. المدارسُ المرينيّة:

- **مدرسةُ الحلفاويين (الصّفارين): أمرَ ببنائها أبو يُوسف سنة 675 هـ[1] وهي أولى المدارس المنشأة بفاس[2]وكانت المدرسة تتوفر على خزانة كتب مهمة، كما خصصتلها أوقاف كَثيرة لسدِّ حاجاتها من طلاب ومجالس علمية[3].**
- **مدرسةُ العطارين: أمرَ ببنائِها السّلطان أبو سَعيد وكانت بإزاء جامع القَرويين، فبُنيت على يدِ الشَّيخ قاسم المزوار، وَوقفَ السّلطان على بنائها رفقة الفقهاء والصّلحاء حتى أسِّست فكانت آيةً من الدّهرِ لم يُبن مثلها، كما رتب فيها الفقهاء لدراسة العلم وخدمةً يقومون بأمرها وأجرى على الكلِّ المرتبات واشترى الأملاك ووقفها عليها[4] وسميّت المدرسة بالعطارين لأنَّها تُقابل سوق العطارين[5] وتعدُّ المدرسة على حسب ما جاء في كتاب جامع القَرووين متخصصة لدراسة الفقه والنحو.**
- **مدرسةُ فاس الجديدة: أمرَ ببنائها السّلطان أبو سَعيد سنة 720 هـ بحضرة فاس الجديدة فبنيت على أتقن بناءٍ، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليها المرتبات.[6]**
- **المدرسةُ المصباحية: أنشأهَا الأمير أبي الحَسن، وتقعُ جَوفي جامع القرويين سميت بهذا الاسم نسبةً إلى مصباح الذي ولي التّدريس فيها.[7]**

---

[1] الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص 81.

[2] المصدر نفسه، ص 280.

[3] عبد الهادي التّازي، جامع القرويين، ج2، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط2، 2000، ص357.

[4] ابن زرع، الأنيس المطرب، ص 281.

[5] عبد الهادي التّازي، جامع القرويين، ج2، ص 538.

[6] ابن مرزوق، المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، ص 406.

[7] السّلاوي النّاصري، الاستسقا، ج3، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1997، ص 206.

- **المدرسةُ البوعنانية:بناهَا السّلطان أبو عنان بفاس، ذكرَ الحَسن الوزان أنَّها تمتاز بروعةٍ فائقةٍ سعةً وجمالاً،يرى فيها الناظر بركة فاخرة من رخام، ويخترق هذه المدرسة جدول ماء يسيل في قنة صَغيرة، مغطاة أرضها وحواشيها بالرخام والزليج.[1]**
- **مدرسةُ الصَّهريج: أنشأها الأمير أبو الحسن بعدوة الأندلس بفاس[2]، سميَّت بمدرسة الصَّهريج لوجود صهريج مستطيل وسط فنائها وهي تساوي في مساحتها مدرسة فاس الجديدة[3] وكان بناؤها سنة 721 هـ.**

فَجاءَت على أكملِ الهيئات وأعجبها وبنَى حَولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم، وأوقف عليها أوقافًا كثيرةً.[4]

- **مدرسةُ الطالعة بسَلا:بناها السّلطان أبو الحَسن، وكانت على هيئة بديعة كما أوقفعليها عدَّةأوقاف.[5]**

وبنى بها السّلطان أبو يوسف أيضا مدرسة الشهود ويقال لها مدرسة القاضي لتدريس القاضي أبي الحسن بن عطية الونشريسي بها[6]

كما أنشأ المرينيون مَدارس أخرى كثيرة وخاصة في عهد أبي الحسن كمدرسة تازى ومكناسة وطنجة وسبتة وآسفي وأزمور وأغمات ومراكش.[7]

---

[1] الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج1، ص 225-226.

[2] ابن مرزوق، المسند الصّحيح، ص 405.

[3] عبد الهادي التّازي، جامع القرويين، ج2، ص 362.

[4] السّلاوي النّاصري، الإستسقا، ج3، ص 112.

[5] السّلاوي النّاصري، الاستسقا، ج3، ص 175.

[6] محمّد بن غازي العثماني، الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون، ص 14، د ط، 1952.

[7] ابن مرزوق، المسند الصّحيح، ص 406.

4. تشجيعُ سلاطين بني مرين للعلم والعلماء:

اِهتم سلاطين مرين بالحياة الثَّقافية والعلميَّة لشغفهم بالعلم وأهله فعملوا على تقريب العلماء والأدباء وإقامة المجالس العلمية للمناظرة ومحاورة الشعراء.

فهذا السّلطان أبو يوسف كان بعد صلاة الصّبح يقرأ كتب السّير والقصص وفتوح الشّام ويناقش الحاضرين، وكان في رمضانَ يجالسُ العلماء ويذاكرهم في فنون العلم[1] وكان ابنه مالك عبد الواحد مقربًا للعلماء والفقهاء محبًا للأدب والتَّاريخ، عارفًا بأنساب بني مرين وسائر قبائل زناتة وأيامهم وحُروبهم.[2]

كما عُرف عن السّلطان أبي الحَسن حبّه لأهل العلم ومصاحبتهم فكان يُجالسهم ويُشاورهم في مجلسه ويسعى لجلبهم من سائر البلاد لحضرته فيجعلهم من خواص أهل مجلسه، ويجري عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرًا وسفرًا ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر الفقيه النّحوي المفتي أبو عبد الله الرّندي حافظ مذهب مالك وأحد أئمة العربيَّة، والإمام القاضي الخطيب الجزولي وحيد عصره ونادرة وقته، والفقيه أبو محمد عبد المهيمن إمام اللّغة والأدب وعلوم اللّسان[3]، أمّا السّلطان أبو عنان فكان حافظًا للقرآن الكريمِعارفًا بناسخهِ ومنسوخهِ مُلمًا بالمنطقِ وأصولؤ الدِّينِ، مُجيدًا للشعر شَغوفًا ببناء المدارس والزَّوايا.[4]

5. المكتباتُ:

المكتبات من الصُّروح العلميَّة التي ساهمت في ازدهار الحركة الثَّقافية للدّولة المرينيّة بفضل ما احتوتهُ من تراثٍ عربيٍّ إسلاميٍّ ضخم وُضع بين يدي طلبة العلم.

---

[1] محمّد المنوني، مرجع سابق، ص 235.

[2] مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية، ص 139.

[3] ابن مرزوق، المسند الصّحيح، ص 260-261-262-264.

[4] النّاصري، الإستسقا، ص 205-206.

فأوّل سلاطين بني مَرين يعقوب بن عبد الحق زوَّد المدرسة التي أنشأها والمعروفة باسم مدرسة الصّفاريين مجموعة فريدة من الكتب، هذه الكتب هي التي طلبها السّلطان يعقوب بن عبد الحق من سانشو ملك قشتالة أن يرسلها إلى المغرب، بعد أنْ تمَّ توقيع الصّلح بينهما في أثناء عبوره الرّابع إلى الأندلس سنة 674 هـ[1]، بلغ عددها ثلاثة عشر حملاً فيها العديد من المَصاحف والتَّفاسير كتفسير ابن عطية والثعلبي، ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار، ومن كتب الأصول والفروع واللّغة العربيّة وغيرها.[2] كما صنع أبو عنان خزانةً بالقرب من جامعِ القرويينَ وزوَّدها بمختلف أنواعِ الكُتبِ كعلوم الأديانِ والأبدانِ والأذهانِ واللّسانِ وغيرها من العلومِ على اختلافِها وفي شتَّى ضُروبها وأجناسها وقامَ بوقفها وعين لها قيِّما لضبط ومناولة ما فيها، وأجرى له على ذلك جراية كما أنشأ خزانة المَصاحف قبلة صدر جامع القرويين وذلك تسهيلاً على النَّاس لتلاوة القرآن الكريم، فأعدَّ فيها جملة كثيرة من المَصاحف الحَسنة الخطوط البهيَّة الجميلة وتركها لمن أراد القراءة فيها بعد أنْ كتبَ على كل جزء منهابخط يدهوتوقيفها مدى الأعوام.[3]

6. هجرةُ الأندلسيين:

تعدُّ هجرة الأندلسيينَ إلى المغرب الأقصى من العواملِ التي ساهمت في إزدهار الحياة الثَّقافية والعلميَّة في الفترة المرينيّة نظرًا لتأثيرهم الكبير في مُختلف جوانب الحياة حتى ذهب بعض الدَّارسين إلى اِعتبار الحضارة المرينيّة حضارة أندلسية.

---

[1] محمّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنّشر والتّوزيع الكويت، ط 2 1997، ص 349.

[2] النّاصري، الاستسقا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، ص 64.

[3] علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، ص76.

ففي الميدان الثّقافي أدّت بعض الشّخصيات دورًا بارزًا في المجتمع المريني بحكم مكانتها ومركزها الإجتماعي كابن الخطيب الذي إحتفى به المغاربة بعد هجرته كسفير أو لاجئ فانكبوا على الإستفادة منه، أو ابن عاشر الذي تهافت النَّاس عليه طلبًا لنصحه ودعواته والتَّبرك منه.

أمّا في الميدان الإداري إشتغل العديد منهم في البلاط المريني ككُتَّاب على غرار ابن جزي ناسح رحلة ابن بطوطة، وأبو القاسم ابن يحيى الغساني البرجي وغيرهما[1]

كما امتدّ تأثير الأندلسيين إلى الغناء والعادات والتَّقاليد[2] والعمران فكان حكام بني مرين يعتمدون عليهم في تشييد قصورهم ودورهم الفاخرة.[3]

ب-أشهرُ علماءِ بني مَرين ومُصنفاتِهم:

أولا: العلومُ الدّينيّةُ

1. التّفسيرُ والعلوم المتّصلة به:

عرفت علوم القرآن إزدهارًا كبيرًا في الفترة المرينيّة، وهذا راجعٌ لإهتمام العلماء والسّلاطين به، ومن أبرز أعلامه:

- **ابن المرحل (604-699هـ): هو أبو الحكم مالك بن عبد الرّحمان السّبتي، مولده بالأندلس بمدينة مَالقة، عُرِف بغزارة التَّأليف في مُختلف العلوم، منها علم التَّفسير من خلال كتابه: "نظم غريب القرآن لابن عزيز"[4]**
- **ابن البناء الأزدي (654-721هـ): هو أحمد بن مُحمد بن عثمان الأزدي أبو العباس المراكشي كان أبوه بناءً لكن لم يمنعه ذلك من التّفرغ لطلب العلم فكان غزير التّصنيف**

---

[1] محمّد بن أحمد بن شقرون، مظاهر الثقافة المغربية، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، 1985، ص 37.

[2] نفسه، ص 38.

[3] نفسه، ص 42.

[4] قاسم مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 290، علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 328.

في مُختلف العلوم والفنون منها مُصنفاته في علم التَّفسير، كتفسير الباء من البسملة وجزء صغير على سورتي: "إنا أعطيناك الكوثر" و "العصر" وله "ملاك التأويل"[1]

كما شهدت هذه الفترة إزدهار علم القراءات فكثرت المُصنفات فيه منها: "مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن"[2] و "فرائد المعاني في شرح حرز الأماني" لإبن آجروم وهو من أنفس كتب شرح الشطابية[3] ولأحمد بن سليمان نزيل فاس وعالمها كتاب: "الإختلاف الكبير بين الأئمة الثّلاثة: الداني، مكي بن أبي طالب، ابن شريح" كما له مُختصر عليه سمَّاه: "ترتيب الأداء، وبيان الجمع بين الروايات في الإقراء"[4] وعلم التجويد حظي بدوره بنصيب من التَّصنيف، فألّف أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفي بسبتة 788هـ كتاب: "البستان في تجويد القرآن"[5]

2. الحديثُ:

عَرفَ علمُ الحديثِ نَشاطًا كَبيرًا في بداية العصر المَريني، وهذا راجع لإستمرارية ملامح النّهضة الحديثية الموحدية، وسيرانها إلى صدر الدّولة المرينية بالإضافة إلى رحلات العلماءِ إلى حواضر المَغرب والمَشرق العربي ولقائهم كبار المحدثين بمصر والشّام والحرمين الشّريفين[6] فبرزَ العديد من الأعلامِ كمحمد بن عبد الرّحمان التيمي الذي كانَ يروي الحديث بأسانيدهِ ومُتونهِ ويستظهر مطولاته[7] ولعبد الرّحمان الكرطوسي الفاسي: "تلخيص التهذيب لإبن بشير وحذف أسانيده الصحاح الثّلاث (البخاري، الترمذي، مسلم)[8]

---

[1] الزّركلي، الأعلام، ج1، ص 222 ، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 86-87.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 309.

[3] سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990 ، ص 61.

[4] نفسه، ص 62.

[5] نفسه، ص 64-65.

[6] محمّد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 282.

[7] محمّد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 343.

[8] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 317.

وكانَ ابن رَشيد صَاحب الرّحلة مُشاركًا في علم الحديث من خلال مُصنفه: "ترجمان التراجم في إبداء وجه مناسبة تراجم صحيح البخاري" و "الأسند الأبين في السّند المعنعن" و"المحاكمة بين البخاري ومسلم"[1].

3. الفقهُ:

لقيَ علم الفقهِ في العصر المريني تقدمًا كبيرًا، فنبغَ العديد من الفقهاء وكثرت المُؤلفات في مُختلف فروعهِ، وهذا راجع إلى الحريَّة التي لقيها الفقهاء في الخطابة والإفتاء[2]، ومن أشهر فقهاء هذه الفترة:

- **علي بن عبد الحق الزرويلي (ت 719هـ): أخذَ العلمَ عن الفقيه راشد الوليدي وعن صهره علي بن سليمان وعن أبي عمران الجورائي، اِشتغلَ قاضيًا لمدينة تازة ثمَّ مدينة فاس ومدرّسًا بأحد مَساجدها، وهو أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفُتيا بالمغرب قيّدت عنه تقاييد على التهذيب، كما له فتاوى قيَّدهَا عنه تلامذته.[3]**
- **عبد الرّحمان بن عفان الجَزُولي (ت 744هـ): أخذَ العلمَ عن أبي راشد الوليدي وأبي زيد الرجراجي، كان أعلم النّاس بمذهب مَالك، وهو شيخ المُدونة، كان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيهٍ معظمهم يستظهر المُدونة.[4]**
- **مُوسى بن محمد بن معطي العبدوسي (ت 776هـ): أخذَ عن أئمةٍ كعبد العزيز القوري وعبد الرّحمان الجزُولي، كان آيةً في معرفة المُدونة، كان مجلسه يحضره الفقهاء والصّلحاء والمدرسون وحفَّاظ المدونة، قال عنه ابن خطيب القسنطيني: "مجلسه بفاس**

---

[1] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 290.

[2] محمّد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 343.

[3] قاسم مخلوف، شجرة النور، ج1، ص 309، الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 472.

[4] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 314، الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 401.

أعظم المجالس، يحضره الفقهاء والمدرسون والصّلحاء، وحفّاظ المدونة، يحضره من نَسَخَها بيد الطلبة نحو أربعين، وله إدلال عجيب في إقراء التهذيب"[1]

- **أبو العَباس أحمد بن قَاسم بن عبد الرّحمان الشّهير بالقَبقاب (ت 779هـ): كانَ إمامًا فقيهًا نبيهًا جيّد التّنظر، سَديد الفَهم ولي الفتوى بفاس، من تآليفه الفقهيَّة: "شرح أحكام النَّظر" لابن القطان، وله: "شرح بُيوع الجماعة" كمَا لهُ فتاوى مشهورة نَقلَ بعضها البَرزلي في ديوانهِ.[2]**
- **مُحمد بن سَعيد الرّعيني (ت 779هـ): أخذَ عن جماعة كالجزُولي وأبي الحَسن المزدغي وابن البنا، عُرِف عن الرَّعيني غزارته في التَّأليف، فقيل أنَّ لهُ مئة وخمسين كتابًا بخط يدهِ.[3]**
- **أحمد بن سَعيد المَكناسِي (ت 870هـ): كانَ خطيب جامع القرويين بمدينة فاس بعد الفقيه العَبدوسي، اِشتغل مُدرسًا بالمدرسة المتوكلية المعروفة بمدرسة أبي عنان، من مُصنفاته الفقهيَّة: "نظم مسائل ابن جماعة في البُيوع"[4]**
- **علي بن قَاسم بن مُحمد التجيبي (ت 912هـ): اِشتهر بالزقاق، وهو من أهلِ فاس كانَ مُلمًّا بفنون عديدةٍ كالنحو والأصول والتَّفسير والحديث، من مُصنفاته الفقهيَّة: "المنتخب إلى قواعد المذهب"[5].**

---

[1] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 338، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 604.

[2] قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 338–339، الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 123.

[3] الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 235–236، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 340.

[4] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 128، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 381.

[5]علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 476–477، التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 343.

ثانيًا: العلومُ اللّسانيّةُ

1. النَّحو:

شَهدت الفترة المرينيّة إزدهارًا في الدّراسات النَّحوية، وهذا راجع لإهتمام السّلاطين باللّغة العربيّة، حيث جعلوها لغة الدّولة وشجعُوا مُختلف شرائح المجتمع على تعلّمها، وكان لإرتباط العلوم الدّينيّة باللّغة العربيّة دورًا هامًا في الإقبال عليها بداية من المراحل التّعليميَّة الأولى التي تكون عادة في الكتاتيب، ومن أبرز أعلامه في هذه الفترة:

- **ابن هانئ السّبتي (ت 733هـ): هو أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي له: "شرح التّسهيل لابن مالك" وصفه ابن الخطيب بأنه "أبدع فيه وتنافس فيه النّاس"[1]**
- **ابن آجروم: هو مُحمد بن محمد بن داوود بن آجروم الصَّنهاجي، صاحب مقدمة النَّحو، وهي مقدمة مشهورة إنتفع النَّاس بها إنتفاعًا عظيمًا.[2]**
- **المَكُودي (ت 807هـ): هو أبو زيد الفاسي، أخذ العلمَ عن إبن مَرزُوق الحفيد وعبد الرّحمان بن عطية والكاواني وغيرهم، من مُصنفاته النَّحوية: شرح مُختصر على الألفية، وله شرح الأجرومية، ونظم المعرب من الألفاظ، كما له رجز في التّصريف يقارب أربعمائة بيت.[3]**
- **عبدُ العزيز عبد الواحد اللمطي المَيموني (ت 880هـ): من مدينة مَكناس، من مُصنفاته النَّحوية ألفيته التي ضاهى بها ألفية ابن مالك في النّحو.[4]**
- **مُحمد بن محمد بن أبي القاسم الشَّريف (ت 988هـ): من مدينة سَجلماسة كان خطيبًا فقيهًا له مشاركة في النَّحو من خلال التقييد الذي وضعه على ألفية ابن مالك.[5]**

---

[1] إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج2، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، 2000 ، ص 148.

[2] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 221، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 312.

[3] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 250، قاسم مخلوف، شجرة النّور، ج1، ص 359.

[4] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 453.

[5] نفسه، ج1، ص 325.

- **أحمد بن قاسم القدومي (ت 992هـ): وهو أندلسي الأصل فاسي المنشأ، كان أستاذًا نحويا، لهُ تقييد على ألفية إبن مالك سمّاه: "الهادي إلى حل ألفاظ المرادي" وهي تقارب أربع مجلدات.[1]**

2. البلاغةُ:

اِهتمَّ الكثير من الأعلام بالبلاغةِ في الفترة المرينيّة، فألفوا العديد من المُصنفات منها: "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" لأبي محمد القاسم السجلماسي جامعًا فيه بين البديع والبيان والفلسفة[2] ولابن البناء المريع لرائد التَّسجيع" و "الترصيع"[3] كما كانت لابن البناء المراكشي مُساهمة في البلاغة من خلال مُصنفه: "الرَّوض المريع في صناعة البديع" جمع فيه بين البيان وقواعد المنطق"[4]

3. الأدبُ:

النـثـر: اِزدهرَت الكتابة الفنيَّة في الفترة المرينيّة، فبرزَ العديد من الأعلامِ، ففي مجال الرَّسائل الدّيوانية برع عبد المُهيمن الحضرمي صَاحب القلم الأعلى بفاس على عهد أبي الحسن[5] كذلك نجد القاضي أبي عبد الله الفشتالي المشهور بتآليفه في الوثائق[6] وفي الإخوانيات برعَ أحمد بن شعيب الجَزنائي[7] وابن هانئ السّبتي الذي تميّز نثره بالجودة حتى

---

[1] نفسه، ج1، ص 135.

[2] محمّد المنوني، مرجع سابق، ص 320.

[3] الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 290.

[4] محمد بن عبد العزيز الدّباغ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، مكتبة الأمة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1992، ص 48-49.

[5] الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 444-445.

[6] الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 234-235.

[7] ينظر: محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، دار الثقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1 1983، ص 425.

كادَت ألفاظه تفيض عن معانيه[1] وابن شبرين الذي قال عنه تلميذه ابن الخطيب: "... وله الأدب الذي تحلت بقلائده اللبات والنحور وقصرت عن جواهره البحور"[2] ومن الفنون النثريّة التي شهدها العصر المريني فن المقامات، منها مقامة الإفتخار بين العشر الجوار" لعبد المهيمن الحضرمي[3] وعرفت الخطابة هي الأخرى إزدهارًا فكان السّلاطين يُمارسونها من ذلك خطبة السّلطان أبي يعقوب يوسف المريني إلى جنوده في إحدى غزواته بالأندلس[4] وبرعَ فيها أيضا الكاتب الفقيه عبد الله ابن أبي مدين العثماني (ت750هـ)[5] من نماذج خطبه خطبته الوَعيظة التي قال فيها: "عباد الله: نجَا المخفّون فخفّفوا الأثقال لتلحقوا، وفاز المتقون فإن شأتم الفوز فالله فاتّقوا، وتوافق السّعداء على الجادّة فإيّاهم فرافقوا، وسابق النّجباءُ إلى العبادة فسارعُوا إليها وسَابقوا ووصل المشمّرون، فماذا ينتظر المُقصرون، "هل ينظرون إلاّ السّاعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون" أخرج الإمام أحمد في الزّهد والحاكم في المستدرك والبهيقي عن اِبن عباس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لرجلٍ وهُو يعظه "اغتنم خَمسًا قبل خمسٍ، شَبابك قبل هَرَمِك، وصِحَّتك قبلَ سَقمِك، وغِنَاك قبل فَقْرِك وفَراغَك قَبل شُغْلِكَ وحَياتك قبلَ مَوتِك" ...."[6]

واِشتهرَ في الرَّحلات ابن رشيد السَّبتي صَاحب "ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة" حيث توجه إلى الشرق 683هـ وجالس العديد من العلماء في المغرب والمشرق مُعرفًا بهم ما جعلَ رحلته مَصدرًا للتّعرف على

---

[1] عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، ج5، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، 1994، ص 10.

[2] محمد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي، ج2، ص 458.

[3] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج2، ددن، دت، دب، ط2، ص 491.

[4] محمّد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 355.

[5] الجرنائي، جذوة الإقتباس، ج2، ص 438.

[6] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج2، ص 355-356.

الكثير من الأعلام في زمانهِ[1] كذلك العبدري صَاحب "الرِّحلة المغربية" فهذه الرِّحلة تعدّ وثيقة مهمّة لأواخرِ القرن السَّابع الهجري، فعرّفنا صَاحبها على الكثير من العلماء ووصفَ لنا الكثير من المدن ذاكرًا المستوى الثَّقافي السَّائد بها، بالإضافة إلى ذكره أهمّ الكتب المشهورة في تلك الفترة، وطُرق التّدريس السّائدة[2] ولعلّ من أشهر الرّحالة المغاربة ابن بطوطة (ت 779هـ) التي تميَّزت رحلته بزيارة العديد البلدان والمناطق في إفريقيا وآسيا وأوروبا ذاكرًا عادات وتقاليد أهلها وأنماط عُمرانها ومناخها ومن لقيه من الملوك والوجهاء والعلماء.[3]

الشعرُ: حظي الشعراءُ بمكانةٍ مَرموقةٍ في الفترة المَرينيّة، وهذا راجعٌ لتشجيع وتقريب السّلاطينِ لهم، فالكثير أُسندت لهم أرقى المناصب على غرار أبو القاسم رضوان البرجي الذي تولى في عهد أبي عنان وظيفة الإنشاء كما أوكلت إلى بعضهم مهمة الرَدّ على الرّسائل الشعرية[4]، فكان إنتاج هذه الفترة غزيرًا في مُختلف الأغراض الشعرية، ومن نماذج ذلك مَلحمة عَبد العَزيز الملزوزي البَارعة التي ذكر فيها غَزوات يعقوب المنصور المريني بالأندلس وغزوات بَنيهِ وقبائل بني مرين والعرب، ومن أبياتِها:

ولَـــمْ يُعلـــمْ جِهَـــادٌ للأعَـــادِي ... بِهـــاذي الأرضِ يُحتَســـبُ اِحتِسَـــابَا

إلـــى أن فـــتّح الرحمـــان فيـــه ... ليعقـــوب بـــن عبـــد الحـــق بابـــا

لمَولانَـــا أميـــرِ العَـــدلِ مُلْـــك ... بِـــه اِنْسَـــلبَتْ يَـــدُ الكفـــرِ اِنْسِـــلابَا

ولـــمْ نَـــرَ قَبْلَـــهُ فِـــي العَصـــرِ مَلكًـــا ... أرَانَـــا فِـــي العِـــدَا العجَـــبَ العُجابَـــا

---

[1] محمّد بن تاويت، مرجع سابق، ص 385-386.

[2] يُنظر: العبدري، رحلة العبدري، ص 18.

[3] ينظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج2، ص 156.

[4] محمّد عيسى الحريري، مرجع سابق، ص 350.

فهنّـــأه الإلاهُ السَّـــعْدَ فيـــهِ ونِيَّـــةَ صِـــدقِه بـــرّاً أثابَـــا

دَعَـــا للهَ دعـــوةَ مُطمَـــئِنٍ لِمـــولاه دُعَـــاءً مُسْـــتجابَا

فَلبَّـــى اللهُ دَعوتَـــهُ وسَـــنّى لَـــه الحُســـنَى وجنَّبَـــهُ الصّـــعابَا

فَجـــازَ البَحْـــرَ مُجتهِـــدًا مِـــرارًا يَقـــودُ إلـــى العِـــدا الخَيْـــلَ العِرابـــا

فَـــأَلبسَ مُلْكَهـــم ذلاً وصَـــارت بـــهِ الأمـــلاك تَرتَهِـــبْ اِرتهابَـــا

أبعـــدَ جَـــوازِ أرْض ألبِـــرْت فَخـــرٌ تَزِيـــدُ بـــهِ مَنَـــالاً واعتِجَابَـــا

هُـــوَ القُطـــبُ الـــذي دَارت عَليـــهِ نُجُـــومُ السَّـــعد لا تَخشَـــى اِضـــطرابَا

أبُـــو يَعُقـــوبَ مَولانَـــا المُرجَّـــى لِـــدَفْعِ الخَطْـــب أنْ أرسَـــى ونَابَـــا[1]

وكانَت الفُتوحات التي قامَ بها سلاطين بني مرين في بداية إنشاء دولتِهم من المُناسبات السّارة التي تَستدعِي التّهنئة، من ذلك تَهنئة مالك بن المُرحل المنصور المريني عندما فتحَ مدينة مَراكش:

فَـــتحٌ تَبسَّـــمتْ الأكـــوانُ عنـــهُ فمَـــا رأيـــت أملـــحَ مَبْســـمًا وفَمَـــا

فـــتحٌ كمَـــا فـــتحَ البســـتانُ زَهرتَـــه ورجّـــع الطَّيـــرُ فِـــي أفنانـــه نَغَمـــا

فتحٌ كمَا اِنشقَّ صبحٌ فِي قميصِ دُجًى وطـــرَّفَ البَـــرقُ فـــي أردانِـــه علَمـــا

الحمـــدُ للهِ هَـــذا مَـــا وَعِـــدْتَ بـــهِ يَـــا خيرَ مَـــن وَلِـــيَ الـــدُّنيا ومَـــن حكمَـــا

بفـــتحِ مَـــرَّاكُش عَـــمَّ السّـــرورُ فمَـــا يُكابِـــدُ الغـــمَّ إلا قلـــبُ مَـــن ظَلَمَـــا

---

[1] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ددن، دت، دب، ط2، ص 653-654.

حَبَابِهـــا اللهُ مولانـــا الأميـــرَ كمَـــا حبَـــا أبـــاهُ فأسْـــنَى فتحُهـــا لَهُمـــا

فلـــمْ يَـزل سَـعدُه المـألوفُ مُتّصـلاً بســـعدِ والـــدِه المنصـــور مُنتظمـــا

فدولـــةُ الـــدّين والـــدّنيا قـــد اِختلفَـــتْ فِـــي الفـتحِ والنّصـرِ والتأييـدِ بينهمَـا

بُشـــراكَ يـــا مالـــكَ الـــدُّنيا وحَافظهَـــا فأنـــتَ أفضـــلُ مَـــن آوى وَمَـــن رَحِمـــا

إنّـــا نَسَـــخْنَا مَعاليـــكَ التـــي رَأَفـــتْ فلـــمْ نَـــرَ البـــأسَ فيهـــا بُـــزَّ للكُرمَـــا

لله منـــــكَ مَليـــــكٌ لا نظيـــــرَ لـــــهُ لـــولاكَ كـــانَ وجـــودُ الـــدّينِ قَـــد عُـــدِمَا

مَلـــكٌ بصـــيرٌ بـــأدواءِ الأمـــورِ لـــهُ رَأيٌ نَجـــيحٌ وطِـــبٌّ يُـــذهبُ الألمَـــا

عـدلُ الحكومـةِ مَاضِـي العَـزْمِ معتـدل كَـالرِّيحِ يُمضـي بعَـدْلٍ كُلَّمَـا عزَمَـا

سَـيفٌ وسَـيْبٌ وَعَـدْلُ بعـد مَقْـدُرَةٍ وبَطْشَـــةٌ وأنـــاةٌ تَجْمَـــع الحِكمَـــا

إنْ غَـابَ عنـكَ فـإنَّ الأذْنَ شَـاهِدةٌ وإن تُشـاهده لـمِ يَنطِـقْ وقَـد فهِمَـا[1]

كَمَا شَاعَت في الفترة المرينيّة المَدائحُ النّبويّة، من ذلك قصيدة مالك بن المُرحل المنظومة على حُروف المُعجم، من أبياتِها:

(ألـــفٌ) أجَـــلُّ الأنبيـــاءِ نبيـــئ بضـيائهِ شَـمسُ النّهـارِ تُضـيئ

وبـــه يؤمـــل مُحْسِـــنٌ ومُسِـــيئ فَضـلاً مِـن اللهِ العظـيمِ عَظِيمـا

صَلُّوا عليـهِ وسَلّموا تسليمَا

---

[1] عبد الله الكنون، النبوغ المغربي، ج3، ص 824-825-826.

(بَـاءٌ) بَـدا فـي أُفـقِ مكـةَ كوبًـا ثـمَّ اعتلَـى فجلـى سـناه الغَيْهَبَـا

حتَـى أنَـارَ الـدَّهرُ منـه وأخصـبا إذ كان فيضُ الخير منه عميما

صَلُّوا عليـهِ وسَلّموا تسليمَا

(تَـاءٌ) تبيـت الهـدى لمـا أتَـى فَنفى الشَّريكَ عن القديمِ وأثبتَا

أحَدِيّـة مَـن حـادَ عَنهـا قَـد عتَـا وتَـلا كلامًـا للكـريمِ كَريمَـا

صَلّوا عَليـهِ وسَلّموا تسليمَا

(ثَاءٌ) ثَوى في الأرض منه حديثٌ فـي كـلّ أفـق طيبُـه مبثـوث

داعٍ بـأنواع الهـدى مبعـوث يتلـو نُجومًـا أو يهـزّ نجومـا

صَلّوا عليـهِ وسَلّموا تسليمَا

(جـيمٌ) جـلا بِسِـرَاجه الوهّـاج ما جنّ من ليل الظلامِ الدّاجي

وسَـقَى القلـوب بمائـه الثجّـاجِ فأصـارها بعـدَ الغُمـومِ غَميمَـا

صَلّوا عليـهِ وسَلّموا تسليمَا

(حَاءٌ) حمَى دينَ الهُدى بصفائح وسـما بشـمّ كالجبـالِ أراجـحِ

مِـن كـلِّ أزهـري هاشِـمِي واضـح لـولا نـداه غـدا النبـات هشـيما

صَلّوا عَليهِ وسَلّموا تسليمَا[1]

يُواصلُ ابن المُرحل قَصيدته مُرتبةً على حروفِ المعجمِ إلى آخر حَرف (الياء)، مع الإبقاءِ على اللازمة بعدَ كلِّ بيتين.

وفي الغَزل برعَ العَديد مِنَ الشعراء كأبي العَباس بن أبي عزفة وأحمد بن شعيب الجَزنائي وابن الوَنان صَاحب الشَمقمية التي بلغت 275 بيت ضمنها أعراضًا مُتنوعة من بينها الغَزل، كقولهِ:

مَا عُذرُ مَن يَشكُو الجَوَى لِمَن جَفَا ... وهُوَ لِدمْعِ عينهِ لَمْ يُرِق

آهٍ علَى ذِكرِ لَيالٍ سَلفتْ ... لِي مَعهَا كالبارقِ المؤتلفِ

فِي مَعْهَد كُنَّا بهِ كَنَخْلَتَي ... حُلْوانَ فِي وَصل بِلا تَفرُّقِ

أزمانَ كَانَ السَّعدُ لِي مُسَاعِدًا ... ومُقْلَةُ الرَّقيبِ ذات بخَق

واليَوم قَدْ صَارَ سَلام عزّة ... يُقنِعُ من لُبْنى إذا لَمْ نَلتَقِ[2]

في الأبياتِ السَّابقة عبَّر الشاعرُ عن شدَّة ألمه لبُعده عن مَحبوبته، مُتمنيا عودة أيام الوصال.

وفي الوَصف نجد لأبي القاسم الشَّريف السَّبتي العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية من ذلك وصف سفينة تجوب عرض البحر:

وَغَرِيبَةُ الإنشَاءِ سِرنَا فَوقَهَا ... والبَحرُ يَسْكُنُ تَارةً ويَمُوجُ

---

[1] عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسّياسة، مركز التّراث الثّقافي المغربي، الدّار البيضاء المغرب، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ج2، ص 1000-1001.

[2] عبد الله كنون، ذكريات مشاهير المغرب في العلم والأدب والسياسة، ج2، ص 1345.

عِجْنَـــا نـــوُم بهَـــا مَعاهِـــد طالمَـــا كَرمـــت فَعـــاجَ الأنُـــس حيـــثُ تَعـــوجُ

وامتـــدَّ مِـــن شَـــمسِ الأصـــيلِ أمامنَـــا نُـــورٌ لَـــهُ مَـــرأى هُنـــاكَ بَهـــيجُ

فَكـــأنَّ مـــاءَ البحـــرِ ذَائـــبُ فِضَـــةٍ قَـــدْ سَـــالَ فِيـــهِ مِـــن النضـــارِ خَـــايجُ[1]

وصفَ الشاعرُ السَّفينةَ بالغريبة الإنشاء، وأنّهم ركبوا على مَتنها والبحر يَسكن تارةً ويموجُ أخرى، وعندَ الأصيلِ أضْفَت أشعة الشَّمس المُنبعثة على سطح الماء مَنظرًا جميلاً جعلَ الماء في صفائه يبدو كأنَّه فِضة.

كما اِنتشرت المُوشحات في هذه الفترة من ذلك مُوشحة ابن زاكور في الرّبيع قائلاً:

جَـــلَّ صَـــنِيع البَـــــــــدِيع الفاعِـلِ المُختـار

حلّـــى الرَّبيـــع البَـــــــــدِيع بحِلْيَـــةِ النـــوّار

ســـــرّ بَـــديع لِـــي مُـــذِيع ســـرائرَ الأزْهَـــار

الـــرَّوض راضْ وهُـــــو راضٍ غصـون أشْـجارِه

شِـــفَا المِـــراضْ فـــي مِـــراض جُفُـــون أنْـــواره

صَـــحَّ العَليـــل مِـــن عَليـــل نَسـيمه المِعْطَـار

إذ فـــي مِيـــل النَّخِيـــــــل مِن غُصنِه أسْرَار

وفِـــي مَسِـــيل سَلْسَـــــــبِيل مِيَاهِـــه اِسْـتعبار

فِعْلُـــه مَـــاض عِنْـــد قَـــاض أفْكَـــــارِ زُوّاره

---

[1] محمّد بن تاويت، مرجع سابق، ص 435.

إذ لا اعْتِـــرَاض	فِـــي اقْتِـــرَاض	نُفُـــودِ أزْهَـــاره
ولا جُنَـــــــاح	فِـــي مُبَـــاح	ألحـــان وَرْشَـــانه
وهَـــل يُتَـــاح	اِرْتِيَـــــــاح	إلاّ بِرَيْحَانِـــــه
تَـــروِي الرِّيَـــاح	عَـــن صَـــحاح	آثـــار نَيســـانِه
مَـن فـي الرِّيَـاض	والحِيَـــــــاض	أجـــلّ أوْطَـــارهْ
فيـــه تُـــرَاض	عَـــن تَـــرَاض	بَنَـــاتُ أفكـــارِه[1]

ثالثًا: التّاريخُ والجغرافيا

اِهتمَّ المُؤرخون في الفترة المرينيّة بتدوينِ تاريخ الدّولة وأمجَادِها وسيرة سَلاطينها مِن أبرزهم:

- **ابن أبي زَرع (ت 741هـ): اِختلفَ العديد من المُؤرخين والباحثينَ في اِسمه وفي نسب "الأنيس المُطرب بروض القِرطاس" إليهِ، ويعدُّ هذا الكتاب مَصدرًا تاريخيًّا هامًّا في تاريخ المغرب الأقصى مُبتدئا بدولة الأدَارسة وُصولاً إلى السَّلاطين الأوائل لبني مَرين.[2]**
- **إسماعيلُ ين يُوسف ابن الأحمر: أصلهُ من الأندلس، سَكن مَدينة فاس له العديد من المُؤلفات، منها: "حَديقةُالنسرين في أخبارِ بني مَرين" و "رَوضة النسرين" كمَا لهُ تأليفٌ في أعيان مدينة فاس.[3]**

---

[1] عبد الله كنون، ذكريات مشاهير المغرب في العلم والأدب والسّياسة، ج2، ص 1298-1299.

[2] إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج2، ص 150.

[3] علي الجزنائي، جذوة الإقتباس، ج1، ص 166.

- **مُحمد بن أحمد بن علي تقي الدِّين الفاسي (ت 842هـ): ألَّفَ العديد من الكُتب التّاريخيَّة، مِنها: "شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام" وقام بإختصاره عدّة مرات، كما له: "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"[1]**
- **ابن غازي (ت 919هـ): وُلد بمكناسة الزَّيتون، وإستقرّ بفاس، له مُصنفات عديدة في مُختلف العُلوم، منها: "الروض الهَتون في أخبار مَكناسة الزَّيتون" ذكر فيه أخبار مَكناس وعُلماءَها.[2]**
- **أبُو فَارس عبد العزيز بن مُحمد الفَشتالي (ت 950هـ): كانَ أديبًا مُتفننًا وشاعرًا مُجيدًا، له مُصنف في التّاريخ، مَوسوم " تاريخ الدّولة المنصورية"[3]**

وفي الجُغرافيا نجدُ ابن فَضل الله العمري صَاحب "مَسالك الأبصار" الذي يعدُّ مَوسوعةً كُبرى في الجغرافيا، كمَا إشتملَ على التَّاريخ والأدب والإجتماع ومُختلف العلوم الطَّبيعيَّة، مُقسِمًا الكتاب إلى قسمين قسمٌ تحدَّث فيه عن المسالك ثمَّ الممالك، والقسم الثَّاني خصصهُ لسكان الأرض من إنسانٍ، حيوانٍ، نباتٍ، معادنٍ.[4]

بروز هذا الكمّ الهائل من الأعلام في الإمارات المغربية الثّلاث (الحفصية، الزّيانية المرينيّة) راجع لعدّةِ أسبابٍ سَبق ذِكرُها كالصّروح العلميّة المشيّدة، وتشجيع السّلاطين والأمراء للعلم والعلماء، والتّبادل الثّقافي بين الأقطار الثّلاثة من خلال الرّحلة في طلب العلم، هؤلاء الأعلام الكثير منهم كان بارزا في جميع العلوم والفنون، فعلى سبيل المثال لا الحصر محمّد السّنوسي الذي ألّف في التّفسير والحديث والعقيدة والفقه والنّحو وغيرها.

---

[1] التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 518.

[2] إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصالحين بفاس، ج2، تح: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، د ت ، ص 82-83.

[3] قاسم مخلوف، شجرة النّور الزكية، ج1، ص 331.

[4] محمّد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص 543.

كما تميّزت هذه الفترة بكثرة الفقهاء والمصنفات الفقهيّة وبروز البيوتات العلميّة ففي الإمارة الحفصيّة برز بيت ابن قنفد، وبيت ابن سيد النّاس، وبيت المشدالي وغيرها من البيوت، وفي عهد الإمارة الزّيانية برز بيت أولاد الإمام، وبيت العقباني، وبيت المرازقة وبيت ابن زاغو، وبيت ابن هدية....

وفي الحقبة المرينية برز بيت الحضرمي، وبيت الفشتالي، وبيت ابن رشيد السبتي، وبيت الجزولي وغيرهم.

الفصل الثّاني

الرّسائل وموضوعاتها في الإمارات المغربيّة

شَهِدَ فنُّ التَّرسلِ في الإمارات المغربية-الحفصيّة، الزّيانيّة، المرينيّة-حُضورًا مميّزا يدلُّ على اِزدهار مُختلف الفنونِ النَّثريَّة رغم الصِّراعات الكثيرة بين الدّويلات الثّلاث، أو حتى الفتن التي تقع بين الفينة والأخرى داخل الإمارة نفسها طَمعًا في السلطة. رسائل هذه الفترة لم يأفل بريقها وحَافظت على المكانة التي كانت تقوم بها في بلاد المغرب الإسلامي في العهد المُوحدي، ولولا ضياع قسم كبير منها لرأينا بديعَ ما جادَت به قرائح كتَّاب الرّسائل في الإمارات الثّلاث في أغراض شتّى.

وبعدمَا تَتبعنَا رَسائل هذه الفترة لم نَجدْ كتابًا بعينهِ يَجمعها، وإنَّما هي مَبثوثة في ثَنايَا الكتب المُختلفة التي اِستطاعت حفظ المُراسلات الرَّسمية للإمارات الثّلاث، ومن هذه الكتب صُبح الأعشى في صناعةِالإنشا للقلقشندي الذي اِحتفظ ببعض مُراسلات سلاطين بني حفص وبني زيّان وبني مرين مع المماليك بمصر، وفصلُ الخطاب في ترسيل ابن خطَّاب الذي ليزال مخطوطًا في خزانات المغرب الأقصى، وكتابُ العبر لابن خلدون، ونفحُ الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب للمقري، وكتابُ الذخيرة السنية اِحتفظ ببعض مراسلات بني مرين، كما كان لكتب الرَّحلات نصيبٌ في ذلك فاِبن حاج في كتابه فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السّعيدة إلى قسنطينة والزاب ذكر بعض مُراسلات السّلطان المريني أبي عنان.

أما الرَّسائل الإخوانية فهي كسابقتها موجودة في تصانيف مُختلفة كنثيرِ الجُمان لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، وفصل الخطاب لأبي بكر بن خطاب، ونفح الطّيب للمقري، والتّعريف باِبن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا لعبد الرّحمان بن خلدون وكتب الرَّحلات كرحلة التِّجاني.

ولا تخلُو الرَّسائل الدّينيّة والسّلطانية ورسائل الموضوعات العامة من الميزة السَّابقة ومن الكتب التي نَقلتْهَا أزهار الرِّياض ونفح الطّيب للمقري، والتّعريف باِبن خلدون

ورحلته، ورفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة لأبي القاسم مُحمد الشَّريف السّبتي، والمعيار للونشريسي، وتاج الدِّين لعبد الكريم المَغيلي.

هذه الأنواع بعد التَّعمق في دراستِها قَسمناها بدورها حسبَ الموضوعات المهمَّة التي تناولتها، وهذا ما سنبيّنه في فصلنا المَوسوم، رَسائل الإمارات المغربية وموضوعاتها المُختلفة.

مَفهومُ الرِّسالة:

1. لغــةً: جاءَ في مُعجم العين للخليل رسل: الرّسل الذي فيه اِسترسال ولين، والتَّرسل في الأمرِ والمنطقِ كالتّمهلِ والتّوقُّرِوالتّثبت، والرّسول بمعنى الرّسالة.[1]

وجاءَ في لسانِ العَرب: رَاسله مُراسلة فهو مُراسل ورَسيل والرّسْل والرَّسْلَةُ: الرّفق والتَّؤدة والترّسل كالرّسل، والتّرسُّل في القراءةِ والتّرسيل واحد، قالَ: وهو التَّحقيق بِلا عَجلة وترسَّل في قراءتهِ: اِتَّأد فيهَا، يُقال: ترسَّل الرَّجُل في كلامهِ ومشيهِ إذا لم يَعجل، وهُو والتَرّسل سَواء.[2]

والرَّسَّلْ من الرَّسْل في الأمورِ والمنطقِ كالتّمهِل والتّوقُّر والتَّثبتِ وجَمعُ الرِّسالة الرَّسائل.[3]

ويُعرِّفها اِبن جَعفر بقولهِ: والتَّرسل: من ترسّلت أترسّل تَرسُّلا وأنا مُترسِّل. كمَا يُقالُ تَوقفت أتوقفُ توقفًا وأنا مُتوقف، ولا يقالُ ذلكَ إلاّ لمن يكون فعله في الرَّسائل قد تكرَّر، كَما لا يقالُ تكسَّر إلاّ لمن تردّد عليه الفعل في الكسر، ويقالُ لمن فعلَ ذلك مرَّةً واحدةً أرسلَ يُرسل إرسالاً وهو مُرسل، والاسم الرِّسالة. أو رَاسل يُراسل مُراسلة فهو مُراسِل وذلك

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص 117، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1 2003، ص117.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج3، تح: هاشم محمد الشاذلي وآخرون، دار المعارف، ص1643.

[3] نفسه، ص 1644.

إذا كان هو ومن يُراسله قَد اِشتركا في المُراسلة، وأصل الإشتقاق في ذلك أنّه كلام يُراسل به مَنْ بَعُدَ أو غابَ، فأشتق له اِسم التَّرسل، والرِّسالة من ذلك.[4]

2. اِصطلاحًا: يأخذُ التّرسل معنى كتابة الإنشاءيذكر القلقشندي في صُبح الأعشى أنَّها كلّ مَا رجعَ من صِناعة الكتابة إلى تأليف الكلامِ وترتيبِ المَعاني: من المُكاتبات والولاياتِ والمسامحاتِ والاطلاقاتِ ومناشيرِ الاقطاعاتِ والهُدَنِ والأماناتِ والأيمانِ وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونَحوها.[5]

وممَّا ينبغي الإشارةُ إليهِ أنَّ مَدلول الرِّسالة غير ثابتٍ لتغيُّره من عصرٍ لآخر، فقد أُطلق في الجاهلية على ما يُنقل مُشافهةً، وبقيَ على هذا الحال حَتى مطلع العهد النَّبوي ثُمَّ تطوّر أواخر العهد الرّاشدي ولم يقتصر على التّبليغ الشّفهي، وأصبح يُرادف مصطلح كتاب، حتّى أُتّخذ مصطلح الرّسالة للدّلالة على النَّص المدون الذي يبعثه المُرسل إلى المُرسَل إليه.[6]

أنواع الرَّسائل:

تعدَّدت أنواعُ الرَّسائل من كاتبٍ لآخرَ حسب طبيعة المواضيع التي تطرَّق إليها فبعضهم يزيد والآخر ينقص، وسنحاول ذكر أهمّ الأنواع السَّائدة في الإمارات الثّلاث.

1-الرَّسائل الدّيوانية: عَرَّفها مَحمود رزق سَليم بقوله: "هي الرَّسائل الرَّسمية التي يكتبُها مُنشؤا الدِّيوان في الأمور العُليا للدّولة".[7]

---

[4] ابن جعفر، نقد النثر، تح: طه حسين بك وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية ببولاق، 1941،ص108.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر،1922، ص54.

[6] ينظر: قاسم عزام بهئه، الفنون البديعية في الرّسائل الإخوانية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان ع:24، ص107-108.

[7] محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، دار الكتاب العربي مصر،1957، ص 30.

أمَّا عبدُ العزيزِ عَتيق فيعتبرُها مَا صَدرَ عن ديوانِ الخَليفةِ أو الأميرِ يُوجهُها إلى وُلاتهِ وعمالهِ وقادة جُيوشه، بل وإلى أعدائهِ أحيانًا مُنذرًا مُتوعدًا.[8]

أمَّا أنيس المَقدسي فيرى أنَّ الرَّسائلَ الدّيوانية تتناول عادةً ما يصدرُ عن الدّيوان السّلطاني أو الأميري من أوامر وأحكام.[9]

2-الرَّسائل الإخوانية: وهي ما يُرسلها الكَاتبُ إلى بعضِ أصدقائهِ أو خلصائهِ. أو مَن يُريد أنْ يخطبَ مَودتَه.[10]

أمّا القَلقشندي فيعرّفها بقوله: "وهي جَمعُ إخوانيّة، نسبةً إلى الإخوان، جمع أخ والمُراد المكاتبات الدَّائرة بين الأصدقاء"[11] وهو يجعلها على سبعة عشر نوعًا تتمثّلُ في: التّهاني، التّعازي، التّهادي والملاطفة، خِطبة النّساء، الإسترضاء والإستعطاف والإعتذار الشّكوى، استماحة الحوائج، الشّكر، العتاب، العيادة، والسّؤال عن حال المريض، الذّم، في الأخبار، في المداعبة.[12]

3-الرَّسائل الدّينيَّة الوعظيّة: هي مَا أرسله كبار رِجال الدّين والوُعاظ والزّهاد إلى الخلفاءِ والأمراءِ، والأصدقاءِ أحيانًا لوعظِهم وتوجيهِهم الوجهة الدّينيَّة التي يريدون، وإظهار رأي الدّين في المُشكلات التي أمامهم.[13]

4-الرَّسائلُ العامّةُ: وهي رَسائل تُكتب في شتى المَجالاتِ التي لا علاقةَ لها بشؤونِ الدّولةِ ولا تَصدرُ باسم الخُلفاء أو الوُلاة.[14]

---

[8] عبد العزيز عتيق، في النّقد الأدبي، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط2، 1972، ص222.

[9] أنيس المقدسي، تطور الأساليب النّثرية في الأدب العربي، ج1، منشورات الدّائرة العربيّة، 1935، ص335.

[10] عبد العزيز عتيق، في النّقد الأدبي، ص 223.

[11] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 126.

[12] ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص126.

[13] حسين نصّار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، 2002، ص105.

[14] عبد العزيز عتيق، في النّقد الأدبي، ص 222.

المبحثُ الأوَّل: الرّسائل الحفصيَّة ومَوضُوعاتها

أولا: الرَّسائل الدّيوانية

1. رَسائلُ الجِهادِ:

يُعدُّ الجِهادُ من الأحداثِ الكُبرى التي يُعلنُ عنها السّلطان إذا تمَّ التّعدي على ثغرٍ من ثُغورِ أهل الإسلامِ، أو تمَّ الخُروج عن الطّاعة وإعلان العِصيان في قطر من الأقطارِ التّابعةِ لهُ، فحينئذٍ يدعُو إلى الجِهادِ، ومُقارعة الأعداءِ، وحفظ النّظامِ.[15]

ومِنْ نَماذج هذه الرَّسائل ما كتبهُ السُّلطان الحَفصي أبو العباس إلى الظاهر برقوق سُلطان المَماليك بمصر، هذه الرّسالة صَنّفناها ضِمن هذا الغَرض من الرَّسائل الدّيوانية لأنَّها تَحدَّثت بإسهابٍ عن جهادِ أبي العباس معَ النَّصارى، اِبتدأت الرِّسالةُ بذكرِ المُرسِلِ–السُّلطان الحَفصي–والمُرسَل إليه الظاهر برقوق مُبديًا لهُ عبارات الإحترام والتَّقدير والمودّة، فيقول: "إلى أخينا الذي لم نزل نُشاهِدُ من إخائهِ الكَريمِ في ذات الرَّبِّ الرّحيم، قبلة صَفاء لم تُغيّرها يدُ بعادٍ ولا اِنتزاح، ونُثابر من حفظ عَهده والقيام بحقِّ ودّه على ما يؤكده مَعرفة الخُلوص من لدن تَعارف الأرواح، ونُبادر لما يبعث القلوب على الإئتلاف".[16]

ويذكرُ السُّلطان الحَفصي في الرِّسالةِ ولاءهم للمُوحدين وتَمسكهم بشعاراتِهم "والرضا عن الإمام المهدي القائم بهذه الدَّعوة المُوحديّة قيام من خَلصَت لله نياته، وصدقت في ذاته دعواته، وصمّمت لإظهار دينه القَويم عَزَماته، وصلة الدّعاء لهذا المقام الأحمدي المتوكّل الفاروقي".[17]

ومِمَّا جاءَ فيها تَهنئة الظاهر برقوق بعد عَودتهِ للحُكم، فيقول: "ولمَّا جاءنا بنصركم البشير، وطلع من ثنيّة الهناء بأكمام السّرور إلينا يُشير، هززنا له أعطاف الإرتياح

---

[15] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 246.

[16] نفسه،ص، 79.

[17] نفسه، ص 81.

وتلقينا منه وارد التَّهاني والأفراحّ، حمدنا الله لكم على ما منّ به الفوز والنّجاح، ورأينا أنَّ تهنئتكم به من فروضنا المؤكدة، وعهودنا المجددّة".[18]

كمَا بيَّن السُّلطان الحَفصي تعيين السَّفير الذي حمل الرّسالة، فيقول: "فاِقتضى نظرنا الجميل أنْ عيّنا له شيخ دولتنا المستشار، وعمَلَنا الذي في مهمّاتها إليه يُشار فلان، وقد كانَت منذ أعوام يتطارح علينا أن نخلّى للحجّ سبيله، ونبلِّغه من ذلك مأموله ويدُ الضّنّة لا تسمَحُ به طرفة عين، ونفسُ الإغتباط لا تُجيب فيه دواعي البين، إلى تعيّن من تهنئتكم الكريمة ما عيّنه وسهَّل شأنه علينا وهوّنه، فوجّهناه والله تعالى يُسعِدُ وِجْهَتَه ويجعَلُ حَجَته لقبول الأعمال حُجّته".[19]

كمَا ذكرَ السُّلطان الحَفصي خبر وُصول كِتاب الظاهر برقوق وما فيه من سحرٍ وبلاغةٍ تأسرُ الألباب فيقول: "وصَلَ إلينا كتابكم الكريم، تعرِفُ النّواظر في وجوهِ بشائرِه نظرة النَّعيم، فاِطّلعنا منه على مَا رَاق العيونَ وَصفًا ونعتا، وعَبرَ للخُلوص سبيلاً لا ترى القلوبُ فيها عِوجًا ولا أمتًا، ولله هو من كتاب كتَبَ من البيان كَتائِب، واِستأثر بفلك الإجادة فأحرز به سعادة الكَاتب، فَقسمًا بالقلمِ ومَا سَطَّر! والحِبْرِ وما حَبّر! لو رآه عبدُ الحَميدِ لتركه غير حميد، أو بَصَر به لبيد لأعاده في مقامٍ بليدٍ، ولو قصَّ على قسٍّ إيادٍ فصاحتُه لنزّله عن منبرِ خِطابته بعكاظ، أو سحبَ على سَحبَانِ وئل ذيلَ بلاغته لأراه كيفَ يتولّد السَّحر الحلال بين المعاني الرائقة والألفاظ".[20]

كذلك يذكر السُّلطان الحَفصي خبرَ الإنتصار على أعداءِ الدِّين القَراصنة المُعتدين على الحَجيج والتُّجار بجزيرة غُودش فيذكر "وذلك أنّا من حين صَدر مِن عدُوِّ الملَّة في الجزيرة مَا صدر، حسَبَ ما جَرَّه مَحتوم القدر، لمْ نَزل نُبيحُ لأساطيلنا المنصورة

---

[18] القلقشندي، صبح الأعشى،ج8، ص 82.

[19] نفسه، ص 82.

[20] نفسه، ص 83.

حَرَمَهُوحِمَاه، ونَطْرقُ الغارةِ الشعواءِ بلادَهُ وقُراه، ونكتسِحُ بأيدي الإستلاب ما جمعت بها يداه إلى أن ذاقوا من ذلك وبال أمرهم وتعرَّفوا عاقبة مكرهم".[21]

كذلك يسرد السُّلطان الحَفصي للظاهرِ بَرقوق ما جَرى في المعركةِ فيذكر: "فأرسَلنا عليهم من أسطولِنا المَنصور غربانًا نَعَقَتْ عليهم بالمنونِ، وعَرَّفتِ المُسلمين بَركة هذا الطَّائر المَيمون ... فسارت تحت أجنحةِ النّجاحِ إليها، وتَحوم إلى رمت مخالب مراسيها عليها"[22] ويذكر في آخر الرّسالة أنَّ هذا النّصر هو نصر المماليك والمسلمين "فعرّفناكم بهذا الفتح لتأخذوا بحظّكم من شكر الله عليه، وتتوجّهوا في مثله بصالح أدعيتكم إليه وهُو سُبحانه وتَعالى يُطلعنا ويُطلعكم على ما يسُرُّ النّفوس ويُهنّيها"[23]

2. رسائلُ المُعاهدات:

عَقدَت الإمارةُ الحفصيّة منذ نشأتِها العديد من المُعاهدات سواءً مع جيرانها أو المماليك النّصرانية لتنظيم علاقاتها، فرغم العَداء مع الممالك النّصرانية، إلاّ أنَّ هذا لم يَمنع من عقد اِتفاقيات تَعاون وَصداقة معها، ومن نماذجِ هذه الرَّسائل مُعاهدة الصّلح التي أبرمَها أبُو يَحيى زكريا بن اللَّحياني مع جاقمو ملك أراغُون سنة 712هـ، افتتحت الرِّسالة بالبسملة والصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ذَاكِرًا طَرَفي الخطاب، مُؤكدًا رغبةَ بني حفص إبقاءَ علاقة الودّ والمحبة مع صَاحب مَملكة أراغُون، فيقول: "فإنا كتبناه إليكم مقررين لصفاءِ ودادنا وخلوصِ مَحبتنا واِعتقادنا"[24] كمَا نصَّت على اِلتزامه بالصّلح المُبرم مع ابن عمّه صاحب ميُروقة واِستعداده توفير فنادق لتجار مَيُروقة وقبوله إرسال قنصل يحكم بينهم وفي هذا يقول: "صَاحب مَيُروقة وجّه إلينا رسولاً من قبله في شأن الصّلح، فعقدناه وأبرمناه، لعلمنا أنَّ الحال منه ومنكم واحدة، وأنَّ نيتكم له في جميع ما يفعله مساعدة. وطلب منا في صلحه أن يكون لمن يصل من ميروقة فندق لسكانهم

---

[21] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 83.

[22] نفسه، ص 84.

[23] نفسه، ص 84.

[24] محمّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد: 36، ص 88.

وقنصل يحكم بينهم، فأجبناه لذلك بعدَ أنْ ذكرَ لنا رسوله أنَّه تحدَّث معكم في هذا"[25] كمَا بيَّنَ في الرِّسالة الإلتزام بالصُّلحِ الذي أبرمَه ابن عَمِّه قبله، فيقول: "والصّلح الذي كنتم عقدتموه قبل هذا على يدِنا مع ابن عَمّنا، وجدتموه بعد ذلكَ جدير منكم أن تثبتوه وتمكنوه وتريدوا على ما عقدتم فيه، لأنَّنا باقون عليه"[26] كمَا نصَّت الرِّسالةُ رغبةَ بني حَفصٍ في منعِ القراصنةِ من النَّصارى الإغارة على موانئِها، فيقول: "وقد اِتصل بنا أنَّ النِّداء شاع ببلادكم بأنَّ من أحبّ القطع على بلاد المُسلمين. ما عدا بلاد الأندلس فليخرج. فعجبنا من كونكم لم تستثنوا بلادنا مع ما بيننا من صلح المعقود، وبقاء مدّة من أمده المحدود"[27] وجاء في الرِّسالة أيضًا أنَّه سيرسلُ أحد قادتِه برناط دفنس شارحًا ما عجزت الرِّسالة إبلاغه وتوضيحه، فيقول: "وقد أمر عبدنا وقائدنا برناط دفنس أن يشرحَ لكم ما لم نشرحه في كتابِنا هذا، فصدقوه بحول الله فيما يكتبهّ، واسمعوا منه ما يقوله"[28] واِختتم الرِّسالة بذكر تاريخ إرسالها.

القارئُ المُتمعن لهاتهِ الرِّسالة يَلحظُ مَدى الضّعف الذي أصَابَ الإمارة الحفصيَّة في تلك الفترة ما جَعلهم يُبالغُون في تودّدِهم ومُهادنتِهم ويقومون بعدّةِ تنازلاتٍ أملاً في شراءِ السِّلمِ مع الممالك النَّصارنيةِ.

ومن أمثلةِ هذا النَّوع من الرَّسائل ما كتبهُ أبو عبد الله مُحمد الحَسن سُلطان تُونس إلى الإمبراطور شَارلكان في صفر 942هـ/1535م، ونصَّت الرِّسالة على تسليم سُلطان تُونس قَصبة بُونة لشرلكان "فلمّا بلغت عمارة السّيد الإنبلادور المذكور فرَّ جميع من كانَ ببلدةِ بُونة من أهلِ البلد والتُرك، وصارَ البلدُ المذكورُ في حوزةِ من وجه لها السُّلطان الإنبلادور المذكور على ما سبق بين السّلطانيين المذكورين من العقد المذكور قبل هذا صارَ البلد المذكور على ذمة الإنبلادور وتحتَ عمالته ولموارثه، وإنَّه قادر على ملكها

---

[25] محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد: 36، ص 89.

[26] نفسه، ص 89.

[27] نفسه، ص 89.

[28] نفسه، ص 90.

وتكون تحت إيالته"[29] كما نصَّت الرِّسالةُ الإلتزامَ بدفعِ ما قيمتهُ ثمانيةَ آلاف دينارٍ في كلِّ عَامٍ إلى الإمبراطور شَارلكان، فيقول: "بشرط ملازم أنَّ مَولانا أبي عبد الله مُحمد الحَسن المذكور وورثته من بَعده يلتزمُوا ويكونون مُلتزمين أنَّهم يُعطوا ويُقدِّموا للسيّد الإنبلادور المذكور ولموارثهِ من بعدهِ من سَلاطين إسبانيا لطول الأبد، ثَمانية آلاف دينارٍ في كلِّ عامٍ من وطن بُونة ومغرمها ومنافعها وما يقبض منها".[30]

كمَا نصَّت الرِّسالة على حقّ سُلطان تُونس الاستفادة من مياهِ بُونة وحقُّ الشّرَاءِ فيها دونَ فرض رسوم عليهم "تكون للسُّلطان أبي عبد الله محمد الحسن المذكور ولورثته من بعده، وأنَّه هو وورثته رضوان لا يُمنعوا من القصبة المذكورة من الماء حيث ما كان ويوصوه على الأمان للقصبة المذكورة بلا غرم ولا زيادة كيف المسلمون".[31]

كما نصَّت الرِّسالة على ضرورة اِلتزام الإمبراطور بحماية سَاكنة بُونة وعدم التّمييز بينم وبين النَّصارى الموجودين فيها والعمل على بقاء نشاطها، فيقول: "وأمر الإنبلادور المذكور قايد القصبة المذكورة، وما تحت يده من العسكر، أن لا يعرضوا ساكنين البلد المذكور بشيء".[32]

المُلاحظُ أنَّ هذه الرِّسالة اِنمازت من حيث أسلوب كتابتها بالرّكاكة اللّغوية بسبب التّكرار الكثير الحاصل فيها وميلها للّغة العامية ما جعلها ضَعيفة مُقارنة برسائل تلك الفترة.

3. رسائلُ البيعةِ:

بَعد زوال دولة الموحدين وإعلان اِستقلال بني حفصٍ بإفريقية تَسارعت مُختلف الحواضر والاقطار لإعلان البيعة للخلافة الجديدة، من ذلك بيعة أهل بجاية للمستنصر

---

[29] محمد عبد الله عنان، أربع وثائق دبلوماسية من أمراء المغرب الأوسط إلى الإمبراطور شارلكان في أوائل القرن السّادس عشر، مجلة المعهد المصري للدّراسات الإسلاميّة، مجلد: 19، عدد: 1976-1978، ص 12.

[30] نفسه، ص 13.

[31] نفسه، ص 13.

[32] نفسه، ص 14.

الحفصي، وهي من إنشاء اِبن عَميرة، حيث اِبتدأ الرِّسالة بالدعّاء للإمارة الحفصية، ذاكِرًا وُصولَ الكتابِ من حاضرةِ الإمارةِ ببيعةِ المُستنصر الحَفصي "وصلَ الكتابُ العلي الكريم ... بما رآه المقام الكريم من ولاية العَهد لسيدنا ومَولانا"[33] كمَا ذكر فيها ما تضمنه الكتاب من ذكرٍ لإجراءاتِ البيعةِ التي تمَّت في تُونس "وتضمَّن الكتاب الكريم تمام هذا العقد السَّعيد في الحضرةِ العليةِ على أسعد طائر وأيمنه، وأوضح منهاج من الكمال وأبينه، وأن يسلك أهل هذا الموضوع ذلك المسلك الكريم ويقدّموا منه عملاً بكل اِعتبار يستحق التقديم فجمع النّاس لميقات يومه الأعزّ، وقرئ عليهم نصّه الطّالع طلوع القمر ليلة البدر فسرى السّرور في جوانبهم وجوانحهم وشاع المرح والفرح".[34]

وختمَ الرِّسالةَ بحديثهِ عن قبولِ أهل بجاية بيعةَ المُستنصر الحَفصي "وقد دعوا إلى هذا العقد المُبارك فلبّوا الدُّعاء، واِبتدروا أمره الذي أشرق يومه وأضاء، وأكملوا عقد بيعتهم بنفوس لها من الخلوص ..."[35]

4. رَسائلُالتَّعازي:

هي الرَّسائل الصّادرة عن السّلطان أو أرباب دولته عند حدوث فاجعة المـوت فتُكتب مُواساةً لهم، وتخفيفًا على صَاحبها من أثر الفَجيعة، من هذه الرَّسائل ما كتبه ابن عَميرة عن أحد موظفي الدّولة الحَفصية ببجاية يُعزّي فيها المُستنصر الحَفصي بعد وفاةِ والده أبي زكريا واصفًا الأثر الذي تركه خبرُ الوفاةِ: "فأيّ رزء الأنام، وعين أصابت الإسلام وسهم للرّدى كسر النّضال وحطّم السّهام بالحادث في مولانا المقدّس المجاهد المرتضى ألحقه الله بسلفه الأطيبين ... وعندما وردَ على العبد أظلمت الدّنيا في عينيه وطفق

---

[33] ابن عميرة، المطرف، بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، جمعها: أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي، تح: محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014 ، ص 342.

[34] نفسه، ص 342.

[35] نفسه، ص 342.

كالمغشي عليه، وحقَّ له هذا الجزع الذي مَحَا من القلب العزاء، وسامَ العين السَّهر والبكاء، بل أذهب النّفس شعَاعًا، ولم يترك بالحياة استمتاعًا"[36]

ثَانيًا: الرّسائلُ السُّلطانيةُ

وهي الرَّسائل التي يُرسِلُها عادةً الأدباء إلى السّلاطين تتميّزُ غالبًا بالإفراط في الصّنّاعة اللّفظية.[37]

ومن نماذج هذا اللّون رسالة ابن الآبّار للمُستنصر الحَفصي يَصفُ فيها وُصول الماءِ إلى تُونس اِفتتحها بالحمدِ ثُمَّ نوّه بالسّلطان الحَفصي خَاصًّا إيّاه بعباراتِ التّقديرِ والتّبجيلِ فيقول: "إلى أبي حَفص فهل جالت النُّجوم حيث جَالوا، أو نالَت المُلوك بعض مَا نَالوا ... فمن ذا أيُّها المولى يُجاريك إلى مدى، أو يُباريك في إقدام صَادق وندى، وآياتك للأبصارِ هدى، وحياتُك للكفارِ رَدى، بسيرتك عدل الدَّهر وما جارَ ولولا نورُ غُرتك ما أنار لقد حَسُنَتْ بك الأوقاتُ حتى كأنّك في فم الزَّمن اِبتسام، أعرقْتَ في المجد والعليَا. وعُنيتَ بالدِّين فعنت لك الدّنيا".[38]

كمَا مدحَ في الرِّسالةِ الدّولة الحَفصيّة فيذكر: "وهذه الدَّولة المُحمدية الخالدة بمكانها الدَّعوة المهدية إليها اِنتهت المراشد، وعليها اِلتفّت المحامد وبها اِعتزّت حين اِعتزّت العناصرُ والمحاتد، ومن خصائصها اِنفعال الوجود، ومن مراسمها الإيثار بالوجود والبِدار إلى إغاثة المَلهوف وإعانة المَنجود".[39]

وصفَ في الرِّسالةِ أيضًا وُصولَ الماءِ إلى تُونس فيذكر: "وأتيت بماءٍ معينٍ قد أصبحَ غوراً. وملأت ما بينَ لابتيها جنانا ترِفُّ ظّلا وتَرقُّ نورًا، فيا بُشرى لتونس أخصب

---

[36] ابن عميرة، المطرف، بغية المستطرف وغنية المتطرف ، ص 361-362.

[37] ينظر: أحمد الطويلي، الحياة الأدبية بتونس في العهد الحفصي، ج2، ص 467.

[38] أحمد المقري التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج3، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة ص211.

[39] نفسه، ص 212.

جديبها، وأحسن وصف الرّوض والغدير أديبها ... وعوّضت بَردَ الظّل من وهج الحُورِ خمائل وجداول تزاول منها العينُ ما تزاول".[1]

كمَا يصفُ فيها وُصولَ الماءِ إلى بلاطِ الحَفصيين "ويَا لقصرِها السَّعيد! نَعِمت أدواحه وهبّت على خُضر الأغصان وزُرق الغُدران أرواحه، هذا وإن باتَ السماح المفاض يسقيه والجود الفضفاض ينقع فؤاده ويشفيه".[2]

كمَا يذكرُ وُصولَ الماءِ إلى مَسجد تُونس الجَامع، فيذكر: "وهنيئًا للمسجدِ الجامع أنْ رويت جوانحه الصّادية وجمعت في شرعته السَّارية والغادية".[3]

واختتمت الرِّسالة بالدّعاء للسُّلطان المُستنصر الحفصي، فيذكر: "فاِقضِ اللّهمَّ لسلطانه بتأييدِ التأييدِ، وأدم بأيامهِ المباركة نعمةَ التمهيدِ، وضَاعِف عزّه جانبه باعزازه كلمة التَّوحيد، واِجزه اللّهمَّ أفضل الجَزاء عن إضافة النَّعماء وإنارة الظلماء، وكافِئه عن نقع الغُلَل والأضماء، بمَا فجَّر من يَنابيعِ المَاءِ".[4]

ومِنْ نَماذجِ هذا النَّوع من الرَّسائل ما كَتبهُ أبو المُطرف بن عميرة إلى الأمير الحَفصي عبد الله المُستنصر يهنئه على وصولِ الماء إلى حَضرة تُونس، حيث بدأَها بالدّعاءِ للحفصيين فيقول: "كتبَ اللهُ للمقامِ العليَّ الكَريم تأييدًا يملك أمرَ الورى وسعودًا".[5]

---

[1] أحمد المقري التلمساني، أزهار الرّياض في أخبار القاضي عياض، ج3، ص 213.

[2] نفسه، ص 213.

[3] نفسه، ص 213.

[4] نفسه، ص 214.

[5] أبو القاسم محمد الشريف السّبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ج2، تحقيق محمّد الحجوي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997، ص451.

كما ذكَر فيها وُصول الماء إلى مسجدها الجامع، فيقول: "فكأنَّ المسجدَ الجامعَ اِستقى لقومه، واِقتضى حقَّ أمسه ليومهِ، ورأى ما يوعيه بسبب الخلق من سُبل الودق ربما نضبت ثميلته وكذبت مخيلته، فشفع للظّماء في معين الماء".[1]

وذكرَ في الرِّسالة أنَّ ما قامَ به السّلطان الحفصي أمر عظيم جليل يستحقُ الثّناء والتّهنئة عليه فيقول في ذلك: "فمَا أعظم منّة جالبِه وأجلَّ قدّرَ هِبته في مواهبه ... والتَّهنئة بهذا الأثر الكريم، قدْ سبقَ إليها الحقُّ وهو أبلجُ"[2] واِختتَمَ رِسالته بالدّعاء له "والله يزيد ملكه عزًّا وظهورا، ويجعل في عينيه نورًا وفي قلبه نورًا، ويُبقيه مؤيدًا منصورًا آمرًا يقف الزمان أمامه مأمورًا".[3]

ثالثا: الرّسائلُ الإخوانية

وهي مَا يتبادله الأصدقاءُ فيها بينهم تعبيرًا عن اِشتياقهم لبعضهم، أو تهنئةً لهم، أو جوابًا لرسائل مُرسلة، ومن ضُروب الرَّسائل الإخوانية في الإمارة الحفصيّة.

1. رسائلُ المودّةِ والصّداقةِ:

وهي من أبوابِ الرَّسائلِ الإخوانية، فيها يُظهر الأصدقاء والإخوان والأحباب مَشاعر الودّ والوفاء والإخلاص، وتَمني الخير.

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل ما كتبهُ أبو العباس الغساني إلى الفقيه أبي القاسم بن يامن، وكانت جوابًا على هدية أهداها له، اِفتتحها بأبياتٍ شعريةٍ عبّرَ فيها عن دوام المحبَّة والإخاء مُؤكداً وصول هديته، وممَّا ورد فيها أيضًا قوله: "أسعد الله الأخ المبجّل

---

[1] نفسه، ص 451.

[2] أبو القاسم محمّد الشريف السّبتي، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ج2، ص 451-452.

[3] نفسه، ص 452.

المكرّم، المفضّل في حلبة السّبق المقدّم، ولازالت سراياه معتولة، وصفاياه إلى محلّ الصّفا منقولة من كلّ مالئه الإناء، مليئة بالشّكر مدى الآناء".[1]

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل ما كتبه الفقيه أبو الفضل محمد بن علي التجاني ابن عمِّ التِّجاني صاحب الرِّحلة.

وقد اِبتدأت رسالته بقصيدة من مَجزوء الرّمل، ثمَّ أعقبها نثرًا عبّر فيه عن محبته وتقديره للمرسَلِ إليهِ، وممَّا جاءَ فيها قوله: "وهل أعزّكم الله للقلب اِرتياح إلاّ إذا كان لشمسِ القرب التياح..... ولعلّ حال مودّتنا بحسب الاتصال يتّصل، فهذا هو الفصل المميّز الذي لا يمتاز عن جنسهِ ولا ينفصل، وأطلبُ منكم أن تبلغوا أعلى المعظّم سلمه الله سلامي، وتؤدوا له ما يجب من توقيري وإعظامي".[2]

2. رَسائلُ التَّشوق:

وهذا النّوع من الرَّسائل الإخوانية يُتخيَّرُ لهُ أعذب الألفاظِ، وألطف المعاني ويتحاشى فيه الإطناب والتّكلف[3] ومن نماذج هذه الرَّسائل ما كتبه عبد الرّحمان بن خلدون بتونس إلى لسانِ الدِّين بن الخَطيب عبَّرَ له فيها عن شَوقِه، فيقول: "مَا زالَ الشّوق مذ نأت بي وبك الدَّار، واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك، ويخيّلُ إليّ من أيدي الرّياح تناول رسائلك، حتى وردَ كتابُك العزيز على اِستطلاع، وعهد غير مضاع وودّ ذي أجناس وأنواع فنشر بقلبي ميت السُّلو، وحشر أنواع المسرّات، وقد للقائك زناد الأمل، ومن الله أسأل الاِمتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك"[4]وممّا جاء في الرِّسالة بيان رغبته الاِطّلاع على كتب ورسائل مُخاطِبه الممجدة لاِنتصارات الدّولة النّصرية فيقول: "وأنبأني سيّدي بما صدر

---

[1] ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التّاريخ المحلى، تح: إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، مصر، دط،1959،ص 13.

[2] أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، ص 222-223.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج 9، ص 142.

[4] عبد الرّحمان بن خلدون، التّعريف بِابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، دط، 1989، ص 131.

عنه من التّصانيف الغريبة، والرّسائل البليغة في هذه الفتوحات الجليلة، وبودّي لو وقع الإِتحاف بها أو بعضها، فلقد عاودني النّدم على ما فرطت".[1]

وممّا وردَ فيها إخباره عن أوضاع الإمارة الحفصية، فيقول: "وأمّا أخبار هذا القطر فلا زيادةَ على ما علمتم من اِستقرار السّلطان أبي إسحاق ابن السّلطان أبي يحي بتونس مستبدًّا بأمره بالحضرة بعد مَهْلَك شيخ الموحدين أبي محمد بن تافراكين ..."[2] وممّا جاء فيها أيضا رغبته في بقاء الودّ والتّواصل بينهما، فيقول: "ورغبتي من سيدي-أبقاه الله-أن لا يُغبَّ خطابه عنّي، متى أمكن، يصل بذلك مِنَنَه الجمّة ..."[3]واختتم رسالته بالدّعاء لابن الخطيب مع تذيلها بالسّلام.[4]

رابعًا: رسائلُ الموضوعاتِ العامّةِ

وهي رسائل لا تختصُّ بأمور الدّولة وشؤونها، ومن نماذج هذه الرَّسائل ما كتبهُ أبو المطرف ابن عَميرة يصفُ شدَّة الوباء بمدينة قَابس وكثرة عقاربها "وهذه البلدة الآن في ظلال من شَرخ الشباب وظلال من ثَمرات النَّخيل والأعناب، فهي بحال يقرُّ بجمالها الأندلسي، ويجاري من خلالها الدّبسي، ولا عيبَ فيها إلاّ هواء وخامته تُخاف، وماء غيّر من خالصه الماء المُضاف، ولبيوت المدينةِ دواجن سيئة الجوارِ، سَريعة إلى القطّان والزوّار كَرَاها تنفيه، وسرها تُخفيه، وصلحها لا يطمع أحدٌ فيهِ، فقبحت شائلة الأذناب شاملة بالعذاب، كامنة بارزة هامزة لامزة، تطرق بالبليّة، وتقسم شرّها بين البرّ والفاجر بالسّويّة، دبت عندنا ليلة إلى ما كان يرمق دبيبها، ويحاول قبل أن تصيبه أن يُصيبها فأوقعت به لدغًا في القدم، ولقيّ أشدّ الألم، وبات وبتنا معه في ليلة أخي ذبيان وتعالى الله ما أطول ما كانت وأهول ما كان".[5]

---

[1] نفسه، ص 134.

[2] نفسه، ص 134.

[3] عبد الرّحمان بن خلدون، التّعريف بِابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص 136.

[4] نفسه، ص 136.

[5] نفسه، ص 90-91.

المبحث الثّاني: الرَّسائل الزّيانيّة ومَوضُوعاتها

أولاً: الرَّسائلُ الدّيوانيةُ

للرّسائلِ الدّيوانيةِ الزّيانيّة أهميّة بالغة بالإضافةِ إلى أهميتها التّاريخيّة في معرفة بعض الأحداث التي جرَت دَاخل الإمارة، أو خَارجها من خلال علاقاتِها مع مُختلف المَمالك والدّولِ، كانت كذلك لسان الإمارة للرّعيةِ، وهذا مَا جَعلَ مُلوكها يتخيّرونَ لدواوينهم أفضلَ الكُتّابِ وأبرعهِم، فنجدُ مُؤسَّسها الأوَّل يَغمُراسُن ينتقِي ابن خطاب المُرسي الأندلسي الأديب البليغ القاضي اللّغوي، كما كان يُوصي سُلطانها أبو حَمُو مُوسى الزّياني بِاختيار الكاتبِ المُناسب يقولُ في واسطة السلوك مُوصيًا: "وأمَّا كتابك فلتخير منهم لسرِّك كاتبا من وجوه بلدك، موفيا لغرضك ومقصدك، فصيح اللّسان، جريء الجنان، بليغ البيان، عارفا بالآداب سالكا طرق الصّواب، بارع الخط، حسن الضّبط، عالما بالحل والرّبط كاتمًا للأسرار، مُتحليا بحلي الوقار، ذا عقل وافر، وفهم حاضر، وذهن ثاقب، وفكر صايب، حلو الشمايل موسومًا بالفضايل، جميل الهيئة واللّباس، والمولاة للنّاس، لأنّ الكاتب عنوان المملكة، وبه تتبيّن الأمور المشتبكة، ومن كتابك يستدل على عقلك، ويتعرف بمعرفتك وفضلك، فهذا أقل ما يشترط في الكاتب"[1].

ومن نماذج الرَّسائل الدّيوانية:

1. رَسائلُ البيعةِ:

ومن أمثلةِ هذا اللّون مَا كتبهُ ابن خطَّاب عن بيعة الأمير أبي سعيد بن الأمير يحي يغمُراسُن للأمير أبي فارس الحَفصي وهي مُؤرخة في السَّادس مُحرم سنة 682هـ.

اِستهل ابن خطاب الرِّسالةَ بحمدِ الله عزَّوجل ثمَّ بيَّن شرف ومكانة الخلافة وعلو قدرها مُستشهدًا بآي الذكرِ الحكيم، فيقول: "الحمد لله الذي رضى لنا الإسلام دينا ملّة إبراهيم حنيفا وسرحنا أبصار الأفكار في مجال الإعتبار فرأينا ملكه مُحيطًا بنا مطيفا ...

---

[1] أبو حمو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، ص 60-61.

وأثبت الخلافة مكانة .... حين قال:«إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة» وكفى بنسبتها منه تعظيمًا لشأنها وتشريفًا حكما حفيت مداركه، وحكمة طواها الإحجاب غيبته ...".[1]

كَما بيَّن في الرِّسالة حاجة الخلق لوُلاةِ الأمورِ، فلا يَستقيم أمرُ الرَّعيةِ إلاّ بهم "فإنّ الله بسابق قضائهِ وقدرهِ ومُقتضى مَشيئته التي لا يدرك الخلق من مكنون سرّها غير أثره قيّضَ لهذه الأمة وُلاة أمرهم يَسُوسونهم بالسنّة".[2]

بَعدها ينتقِلُ ابن خطَّاب إلى موضوع البِيعة، معَ بيانِ فضل الخَليفة الحَفصي الذي اِستحقَّ البيعة، فيقول: "وكانَ ممَّن وَلي أمورهم فنظرَ لهم نظر الشَّفيق، وسَلكَ من الاِحتياط عليهم وتحسين العَاقبة لهم سواء الطَّريق، مَولانا الأمير الأجل أبو إسحاق بن مولانا الأجل أبي زكريا ابن ساداتنا ومواليِنا الأمراء الرّاشدين ... فوضعَ مَقاليد ملكه في يديه، وفوّضَ أمور جميع المسلمين إليه، بعدَ أن اِستخار الله سبحانه وسأله المعونة على إمضاء ما رآه من ذلك فأنجده لرضاه به، وأعانهُ على ذلكَ لما علم من كمال اِبنه الإمام هذا فبايعه-أعلى الله أمره-على السَّمع والطَّاعة".[3]

2. الظهائرُ الرَّسميةُ:

هي المَراسيمُ التي يُصدرها السُّلطان أو ما ينوبُ عنهُ، فيما يتعلق بالتَّعيين في إداراتِ الدَّولةِ المُختلفةِ، كما تشمل الظَّهائر الاقطاعات أو الهِبات أو الامتيازات التي ينعم بها السَّلاطين لبعض الأفرادِ، أو الجماعاتِ سواء أكانُوا عَاملين في الدّولةِ أم غير ذلك.[4]

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل في عصر الموحدين بالمغرب والأندلس، مطابع الرباط، المغرب، ط1، 2013، ص 232.

[2] نفسه، ص 233.

[3] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل في عصر الموحدين بالمغرب والأندلس، ص 233.

[4] ينظر: عبد الحليم حسين جدوع الهروط، الرّسائل الدّيوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، الأردن، 1994، ص71.

ومِنْ نماذجِ الظهائر الزّيانية ظهير الأمير أبي يحيى يغمراسُن بن زيَّان إلى أهلِ الأندلسِ المُستوطنين بحضرةِ تلمسان، وهُو من كتابة اِبن خطَّاب المُرسي وهذا نَصّه: "هذا ظهير عناية مَديدة الظلال، وكرامه رَحيبة المَجال، وحماية لا يخشى على عقدها المبرم وعهدها المُحكم، من الإنحلال والإختيال.

أمر به فلان-أنجد الله أمره، أيَّد عصره-لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان-حَرسها الله-أحلّهم به من رعية الجميل أكنافا، وبوأهم من اِهتمامه الكَريم وإنعامه العَميم جنات ألفافًا، ووطأ لهم جناب احترامه تأنيسًا لقلوبهِم المُنحاشة إلى جانبه العلي واستيلافًا، وأشادَ لما له فيهم من المَقاصد الكرامِ، وأضْفى عَليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الإضطهاد حين اختبر خدمتهم، فشكر عما تولوا من الجدّ والاجتهاد واطلع على أغراضهم السَّديدة في اختيار حضرته السّعيدة للسّكن على سائر البلاد، فلحظ لهم هذه النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة ..."[1]

يَكشفُ هذا الظهير مَدى التَّرحيب الذي لقيهُ أهلُ الأندلس بحضرةِ تلمسان، وهو دَليلٌ على اِهتمام حُكام بني زيَّان لمَا يحدُث لإخوانهم في الأندلس، وسَعيهم لإعانتِهم والدّفاعِ عنهم بل واستضافتهم، والسَّماح لهم بمُمارسةِ نشاطِهم وأعمالِهم، وشُكرهم لما قدَّمُوه من اِسهاماتٍ في ميادينَ مُختلفةٍ.

ومِنْ نماذجِ الظهائر الرَّسمية أيضًا مَا كتبهُ أبُو حَمُو بخطِ يدهِ يَستدعي العلاَّمة الفَقيه ابن خلدُون لحجابتهِ وعَلامتهِ وهو ببسكرة عند أميرها أحمد بن يُوسف بن مزْني يقول فيها: "الحمدُ للهِ على مَا أنعمَ، والشُّكر للهِ على ما وَهبَ، ليعلم الفَقيهُ المكرّم أبو زيد عبد الرّحمن بن خلدون، حفظه الله، أنّك تصل إلى مقامِنا الكَريم بما خَصصناكم بهِ من

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل في عصر الموحدين بالمغرب والأندلس، ص 235.

المَرتبةِ المَنيعةِ، والمَنزلةِ المنيفةِ، وهُو قلم خِلافتنا، والإنتظام في سلك أوليائنا وقد أعلمناكم بذلك".[1]

وكتبَ الكتّاب رسالة له بتاريخ السّابع من شهر رجب 769هـ نصّها: "أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد ووالي رعايتكم، إنَّا قد ثبت عندنا وصحَّ لدينا ما اِنطويتم عليه من المحبّة في مقامنا، والانقطاعِ إلى جنابنا، والتشيع قديمًا وحديثًا لنَا، مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم، ومَعارف فُقتُم فيها نظراءكم، ورسوخ القدم في الفنون العلميّة والآداب العربية، وكانت خطّة الحجابة ببابنا العليّ أسماه الله إلى درجات أمثالكم، وأرفع الخطط لنظرائكم، قُربًا منّا، واِختصاصًا بمقامنا، واِطّلاعا على خفايا أسرارنا، آثرناكم بها إيثارًا، وقدّمناكم لها اِصطفاءً واِختيارًا، فاعملوا على الوصول إلى بابنا العلي أسماه الله لكم فيه من التّنويه، والقدر النّبيه، حاجبا لعليّ بابنا، ومستودعًا لأسرارنا، وصاحبا لكريم علامتنا، إلى ما شاكل ذلك من الإنعام العميم، والخير الجسيم، والاعتناء والتّكريم، لا يشاركُم مشارك في ذلك، ولا يراحمكم أحد، وإن وجد من أمثالكم فأعملوه وعوّلوا عليه والله تعالى يتولاّكم، ويصل سرّاءكم، ويوالي احتفاءكم. والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته".[2]

تميَّزت الرِّسالتين بالإيجاز، وعدم التَّطويل في المقدمة من خلال الوُلوج السَّريع لصلبِ الموضوعِالمُتمثلِ في استدعاء ابن خلدون لخطة الإنشاء، مع الإحتفاء بالمُرسَلِ إليه وإظهار عبارات الاحترام والتّقدير له وهذا جليّ في الرّسالتين كقوله: "بما خصصناكم به من الرّتبة المنيعة، والمنزلة الرّفيعة، اشتملت عليه محاسن أوصافكم، ومعارف فقتم فيها نظراءكم، ورسوخ قدم في الفنون العلمية والآداب العربية، كما حملت الرّسالتين بعض العبارات الرَّسمية مثل ببابنا العليّ خفايا أسرارنا، اختصاصًا بمقامنا.

---

[1] عبد الرّحمان بن خلدون، المقدمة، ج7، ص 563.

[2] عبد الرّحمان بن خلدون، ج7، ص 563.

3. الشّكرُ على أداءِ فريضةِ الحجِّ:

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل ما كتبهُ عبد الرّحمان بن أبي مُوسى بن يغمُراسن إلى السُّلطان الملك الناصر (محمد بن قلاوون) سنة 725هـ.

افتتحت الرِّسالة بذكر الألقابِ المملوكيةِ، وذكر الألقاب السّلطانية لحكامها الذين تمتعوا بمكانة كبيرة بإعتبارهم وريث العباسيين في المشرق يقول فيها: "إلى الحضرة العالية السّامية، السنيّة، الماجدة، المُحسنة، الفاضلة، المؤيدة، المظفَّرة، المنصورة المالكة، حضرة السّلطان، الملك، الجليل، الفاضل، المؤيّد، المنصور، المظفّر، المعظّم ناصر الإسلام ...".[1]

وبعد ذكر هذه الألقاب ينتقل إلى حمد الله والصّلاة على النَّبي صلَّى الله عليه وسلم: ويذكر له خبر وصول كتاب المَماليك، ويَشكرهم على إذنهم بأداءِ فريضةالحجّفيقول: "فإنّا نعرِّفكم بوصول كتابكم الخَطير الأثير، فتلقيناه بِمَا يجبُ من التّكريم والتَّعظيم، وتتبّعنا فُصولَه، واستوعبنا فُروعَه وأصولَه، وتحقَّقنا مقتضاه ومحصُوله وعلمنا ما اِنطوى عليه من المنن والإفضال، واشتمل عليه من التّفضيل والإجمال، ومن أعظم ذلك إذنُكم لنا في أداء فرض الحجِّ المبرور وزيارة سيد البشرّ، الشّفيع في المحشر ... وقد وجب شُكركم علينا من كل الجهات".[2]

وتذكرُ الرِّسالة كذلك اِمتعاضَ الزّيانيين بسبب ميلِ وتفضيلِ المماليك لأحدى إمارتي المغرب الإسلامي*عليهم فيقول "غير أنَّ في قلوبِنا شيئًا من مَيلكم إلى غيرنا واستئناسكم، ونحن والحمد لله أعلمُ النَّاس بما يجب من حُقوق ذلكم المقام الشَّريف".[3]

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 85.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

* المقصود إمّا الحفصيين أو المرينيين المجاورتين للدولة الزيانية.

[3] نفسه، ص 86.

كذلك تُبيّن قوة الزّيانيين، وأنَّه بإمكانِ المَماليك إقامة علاقات قويَّة معهم يقول: "ولنا القدرة على قيام بواجبكم، والوفاء بكريم حقكم، وليس بيننا وبين بلادكم من يُخشى والحمد لله من كيده".[1]

كمَا ذكرَت الرِّسالة اِسم نَاقل الرِّسالة، وأنَّها مُرفقة برسالةٍ شفويّةٍ لتقرير الوُدِّ والإخاء والمحبّة والصّفاء، يقول: "وقد توجّه إلى بابكم الشّريف قرابتُنا الشّيخ الصّالح الحَسيب الأروَع الأكمَل الزَّاهد أبو زكريا ابن الشَّيخ الصّالح المرابط المقدّس المرحوم أبي عبد الله محمد بن جرار الوادي، وهو من أهل الدِّين والخير، وقد شافهناه بما يُلقيه إلى ذلكم المقام الشّريف من تقرير الوُدِّ والإخاء، والمحبّة والصَّفاء، مما يَعجِز عنه الكتاب".[2]

وفي آخر الرِّسالة يذكرُ أملَ الزّيانيين في تحسين عَلاقاتهم مع المماليك فيقول: "وغرضُنا تعرِّفوه بجميع ما يُصلح ذلكم المقام الشّريف ممّا في بلادنا".[3]

4. المُعاهداتُ:

أبرَمت الدّولةُ الزّيانيّة العديدَ من المُعاهداتِ الدُّوليّةِ، من أمثلةِ هذه المُعاهدات ما وقَّعته معَ الممالكِ النَّصرانية الأوروبيّة التي كانَ الهدفُ منها غالبًا تَحقيق الصّلح، أو تنظيمُ النّشاطِ التِّجاري.

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل ما كتبهُ السُّلطان عبد الرّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يَغمراسُن بن زيّان إلى جَاقمُو الثّاني مَلك أراغُون يُعلِمُه بإرساله رُسُلاً لإبرامِ عقد الصُّلح معهُ سنة 727هـ/1327م. وقد بَدأها بقوله: "من عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يَغمُراسُن بن زيَّان أيَّد الله أمره وأعزَّ نصره إلى الملك المعظم السُّلطان الأعز الأنجد الأشهر الأضخم الأرضى الكَامل في أهلِ مِلّته العَادل الأمضى في مملكته ملك أراغُون

---

[1] نفسه، ص 86.

[2] نفسه، ص 87.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 87.

وبَلنسية وسَرْدانية ومُرسية وقُنْطَ بَرشلونة جَاقْمة أكرمهُ اللهُ تَعالى بتقواه ووفّقه وأرشده وهداه. سلام على من ابتغى الهدى ورحمة الله تعالى وبركاته.[1]

بعدَ الإحتفاءِ بالملك الأراغُوني، اِنتقلَ إلى حمدِ الله والصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم والدُّعاء للبلاط الزّياني، ثمَّينتقلُ إلى موضوع الرِّسالة المُتمثّل في إرسال مَبعوثين لعقد السَّلام معهُ، وهُما حَاجبه الشّيخ أبا يعقوب يُوسف بن الحوراء وجَاقمُو ابن جَاقْمُو الثّاني الذي كانَ يعمل سَفيرًا بتلمسانَ، وهذا نَصها: "فالكتاب إليكم كتب الله لكم أصلح الأعمال وأزكاها وبلَّغكم من التوفيق أنهى الأماني وأقصاها من حضرتِنا بمدينةِ تلمسان حَرسها الله تعالى عن الخير التَّام واليُسر العامِّ والحمد لله كما هو أهْلُهُ وعنِ الرعي لجانِكم والاغتباط بمصاحبتكم والعمل على ما يؤكد أسباب مواصلتكم وبمقتضى ذلك–وجَّهنا إليكم ولَدَكُم الزّعيم الأنجد الأنهض الأجد المُكَرَّم الأمين الحاجِّ الأفضل أبي يعقوب يوسف بن الحوراء برسم عقد الصُّلح بيننا وبينكم على حسبِ مَا في العقود الواصلة صُحبتها إليكم. وألقينا إليهما ما يُلقيانه في معاني كلِّه إليكم ويُقرِّرانه على الكمال والتَّمام لديكم إن شاء الله تعالى.

والسَّلام على من اتّبع الهُدى.[2]

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل أيضًا مُعاهدة الصّلح التي أبرمَها السّلطان أبو حمو موسى بن أبي يعقوب مع بترو الرّابع ملك أراغُون لمدَّة خمس سنواتٍ، وكانت بتاريخ 29 صفر 764هـ/ الموافق لـ 18 ديسمبر 1362م.[3]

بدأها بالبسملةِ، ثمَّ بيّنَ طَبيعة موضوع الرِّسالة: "هذا الكتاب صُلحٍ أسّست قواعدُهُ وحُملّت مصادره وموارده وَحُبيَ بالنُّجْحِ والإسعاد والنظر الصّالح للعباد والبلاد".[1]

---

[1] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثّلثين الأوّل والثّاني من القرن الرّابع ميلادي، منشورات سعيدان سوسة، تونس، ط1، 2002، ص73.

[2] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 74–75.

[3] نفسه، ص 151.

ثُمَّ انتقلَ كاتبُ الرِّسالة لذكر الألقاب السّلطانية الزّيانية، وبيان عظم ملكهم ومَكانتهم بعدهَا انتقلَ لذكرِ المَوضوع الرَّئيس المُتمثل في عقد الصّلح: "عقدًا للسِّلم والمصالحة مع الملك الأحفل الأسنى المُبجَّل المُعظّم المُوقر الكبير الشّهير سلطان أراغُون وبلنسية وميُورقة وسَردانية وقُورسيكة وقُنت بَرشلونة وقُنت الرُّسَّيليُون وقُنت مَرْدانية دون بيدرو ... على أن يكون السِّلم بينه وبيْنه لخمس أعوامٍ مُتتالية أوّلها عام أربعةٍ وستّين وسبعماية من شهر صفر من العام المذكور المؤرّخ به هذا المسطور الموافق من الشهور العجمية لشهر دجنبر عرَّفنا الله فيه البركة والخير على جميع ما لإيالته العليّة وشَملَتْه دعوتُه السَّنية مِنَ البلاد حاضرها وباديها وثُغورها ومواسِطِها وأطرافها، حرسَ الله جميعها وعلى جميع ما للسّلطان دُون بيدرو المذكور أيضا حاضرها وسواحلها كثرها وقَلِّها لا يَتعدى أحدهما على أحدٍ ولا أهل بلدٍ على بلدٍ في حالي الصَّدْرِ والوَرْدِ سلمًا محافظًا عليها من الجهتين مَحفوظا عند المِلَّتين ومن كلا الجَانبين ..."[2]ومِمَّا جاءَ فيها أيضًا: "لا يلحَقُ إحدى النَّاحيتين من الأخرى مضرَّةٌ في أمر ولا تعدٍّ في سِرٍّ أو جهرٍ. البَرُّ والبحر في ذلك سيان والمُساترة فيهما بالأذَى والمُجاهرةُ مَمنوعان، لا غَدر فِيهما ولا إخلال بِمعنى من مَعانيهما ولا تُشنُّ في مدَّة المُصالحة المَذكورة غارة ولا تُدْغَرُ سيَّارة ..."[3]

كما تضمنَت المُعاهدة حِماية التُّجار لكلتا الدَّولتين فيقول: "وعلى أنَّ التُّجار الواصلين من إحدى الجهتين إلى الأخرى بمَتَاجرِهم ألاّ يؤخذ منهم إلاّ العُشُرُ. والمخْزَنُ المعلوم في سلعهم لا زائد في ذلك عليهم، ويُحملون في إقامتهم إذا حضرُوا وفي طريقهم برًّا وبحرًا مهما وَردُوا أو صَدروا على الحِفْظِ التَّامِّ والرعي الشامل العَامِّ ..."[4]

---

[1] نفسه، ص 152.

[2] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان ، ص 154-155-156.

[3] نفسه، ص 157.

[4] نفسه، ص 158.

كمَا تضَمنت المُعاهدة إرجاعَ الأجفانِ والبضائعِ والأموالِ في حالةِ اِستيلاء أحد الطَّرفين على الآخر "وعلى أنَّه إنْ انكسر جَفْنٌ لمن يأتي من التُّجار قاصِدًا من هذه الجهة أو من جهَتِه لمرسى مِنْ مراسي مولانا أعزَّه الله أو مراسيه فيُرَدُّ على أربابه جميع ما كان فيه ولا سيل لأحد عليهم ولا اعتراض بوجه من الوجوهِ لجفنِهم ولا إليْهم بل يُخْلَى سبيلُهم إلى أمتعتهم لأحد وأموالهم وجَفْنِهِم وسائر سِلعهم في جميع أموالهم إن شاء الله تعالى".[1]

كما تَضمنَت المُعاهدة مُساعدة تُجار أحد الدّولتين إذا تَعرضوا للإغارةِ والإعانة إذا لجؤوا لأحد مَراسي المَملكتين يقول: "على أنَّه مَهما أتَى جَفْنٌ مِنْ أجفانِ إحدى الجهتين إلى الأخرى قَاصدًا إلى مرساها مُلجئًا إليها من عدُوٍّ يطلبُه في البحر لقصد الإذاية له والضّرر فعلى أهل ذلك المَرسى الذي يلجأ إليها إعانته ورفعُ الضّررِ عنهُ وكفُّ الأيدي العَادية عَليه وحِمايته بكلِّ ما يُملكنهم جُهْدَ استطاعتها إن شاء الله ...".[2]

ومن نماذجِ رسائل المُعاهدات أيضًا رسالة السُّلطان الزّياني مُوسى المُبرمة مع ملك أراغُون وبَلنسية وميُورقة وسَردانية وقورْسِغة وقُمْت برشلونة وقمت الرُّسْليون وقُمت سرديانة وذلك بتاريخ 761هـ.

أُفتُتحت الرِّسالة بذكرِ مُرسلها، وهو السّلطان الزّياني عبد الله مُوسى ابن الأمير أبي يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكرياء ابن يحي يغمُراسن بن زيّان، مع الدّعاء له وذكر بعض الأوصاف، له "السّلطان الأعزّ الأمنع المكرّم المرفَّع المعظّم المبجَّل الموثر المرعي الأحفل ..."

ثمّ يذكر اِسم المُرسل إليه وهو ملك أراغون دون بيدرُو، وينتقل بعدها إلى البعدية والدّعاء بعبارة "فإنّا كتبناه إليكم" مع ذكر المدينة التي أرسلت منها وهي حاضرة تلمسان، ثمّ ينتقل للموضوع الرَّئيس بادئا إيّاه بذكر حسن معاملة بني زيّان للتّجار القطلانيين في

---

[1] نفسه، ص 158.

[2] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان ، ص 160.

مَوانئ الزّيانية، غير أنّ بعضهم أغاروا على أجفان مرسى وهران وهتكوا حرمة السلطنة وحرمة أهلها واِستولوا على زروع الأندلس التي كانت مُتوجهة إلى بلادِ المُسلمين، ونتيجة لهذه النّازلة أرسلَ بنُو زيّان أحد المُقربين منهم أبو الزّبير طلحة الباتلشي ومعه أمورًا سريّة لمك أراغُون ومُكلفا بإبرام الصّلح معه اِسترضائه، وأبلغه أنَّه أرسل مع رسوله الباتلشي رسول قطلاني "إلينا جوان" منتظرين إبرام هذا الصّلح بين الطَّرفين واِستعدادنا لتنفيذه.

وتُختتم الرّسالة بذكر تاريخ إرسالها "وكُتب في رابع ربيع الآخر الذي من عام أحدٍ وستّين وسبع، مع ذكر العلامة السلطانية الزيانية فيها متمثلة في عباره "صحَّ في التاريخ".[1]

ومنها رسالة مُوسى الزّياني إلى بِترُو الرّابع 11 ديسمبر 764هـ الموافق 23 صفر، ابتدأت الرِّسالة بالبسملة والسّلام على النّبي الكريم، ثمّ ذكر طَرفي الرِّسالة فكان المُرسِل مُوسى الزّياني وذكر صفاته وبعدها المُرسَل إليه دُون بِيدُرو مُلقيا بسلام خاص بقوله: "سلام على من اِتّبع الهُدى".

ثمَّ ينتقلُ إلى متن الرِّسالة بلفظةِ "أمَّا بعد" مع الدّعاء ليدخل مُباشرة في ذكر الموضوع الرَّئيس لها المتمثل في عتاب السّلطان الزّياني نظيره الأراغوني بعد إهانة الأخير له مبينًا أنّ هذا التّصرف ليس من شيم الملوك "فإنّكم كتبتم فيه واِستقْرينا من لفظه ومعانيه ما لا يليق بذي الملك الرفيع الخطر المعلوم المقدّر أنْ يخاطب بمثله الملوك الذين لهم المكانة المكينة والمرتبة العليّة القويّة المتينة".[2]

كما ذكرت الرِّسالة أنّ ملك أراغُون طلب سلف المال من بني زيان وقبولهم طلبه "أمّا ما ذكرتموه عن قضيّة سلف المال منّا إليكم لقضاء مآربكم ومطالبكم فمقامُنا هذا

---

[1] ينظر: عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 122-128.

[2] نفسه، ص 137.

والحمد لله كفيلٌ ببلوغ آمالكم وصلاح أحوالكم والذي عندنا أيضا في ذلكم يُلقيه إليكم رسُولُكم".[1]

كمَا تطرقَت الرّسالةُ إلى قَضية إطلاق أسْرى النَّصارى المقابلة بالرّفض، لكنَّ إصرار ملك أراغُون المتكرّر جعلت السُّلطان الزّياني يستجيب لهُ مُشترطًا عليه إطلاق أسْرى المُسلمين أيضًا.

"وأمّا قضية النّصارى كانوا أخذوا في الأجفان وخرجُوا بمرسانا هُنينالمحروسة حين وقعَ بهم الغلبُ، ولجؤُوا إلينا ذلك السَّبب وهربَ منهم من هَرب. وتكرَّر منكم في شأنهم الكتبُ ولَححتُم في الطلب".[2]

"وبلغنا أنَّ المُسلمينَ من خدمنا وبلادنا أخذوا من مَراسينا هُنين وَوهران ومُستغانم على جهة التّعدي والقهر والغلب والمُجاهرة بالفتنة والحَرب، بعد ما كنتم أنتم كتبتم رسْم الصّلح الذي به إلينا وجّهتُم، أمسكنا نحن عن ذلكَ هُؤلاء الذين أرادُوا الجَواز إلى هناك حتى تُسّرحوا أنتم أولئك المأخوذين وتضربوا أيدي المُعتدين والمُفسدين وتُعاقبوا الظالمين فإذا سَرحتم أولئك نُسرّح نحن هؤلاء لكم عملاً بمُقتضى رسم الصّلح".[3]

كمَا تطرَّقت الرّسالةُ إلى قضية مَاتِيومارسَات الذي أُخذت منه حوائج وحمولة وأكَّد أنه اِستمع إلى وكيله الذي أرْسَلته زَوجته وأنَّه طَلب منه الحُضور إلى قاضي المُسلمين ليحكمَ بينَ مَارسَات وخَصمِه بالشَّرع "وأمّا ما ذكرتموه لنا من الحوائج التي كانت أخذت لماتيومارسات فحين وصلَ الوكيلُ وجّهت زَوجته إلى هنا فقد أوقفناه بين أيدينا وسمعنا قَوله وأحْضرنا خَصمه له وأمرناه أنْ يصِلَ معه إلى قاضي المُسلمين ليحكمَ بينه وبين خصمه بالشَّرع والحقّ الواضح المُستبين".[4]

---

[1] نفسه، ص 137.

[2] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان ، ص 138.

[3] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان ، ص 140.

[4] نفسه، ص 141.

كمَا ذكرت الرّسالةُ أنَّ الملك الزّياني أرسلَ معَ رسولِ أراغُون نصّ الصُّلح المُبرمِ بينَ الطَرفين طالِبًا من مَلك أراغُون إرسال عقد الصُّلح أيضا "وقد وجهنا لكم صحبة رسولكم رسمًا مشهودًا مُخَاطِبًا بعقد الصُّلح المبارك معكم صحبة رسولكم ليوصله إليكم إن شاء الله بل يصلكم كتابنا هذا ورسُم الصّلح المبارك الذي عقدنا وأشهدنا به على أنفسنا صُحبة خديمنا الأجدّ الأنهض على القناع سلّمه الله فاِصرفوا معه رسم صلحكم".[1]

وكان آخر الرّسالة العلامة السّلطانية المُتمثلة في عبارة "صحَّ في التّاريخ".

5. المُواصلةُ:

سعَت الإمارةُ الزّيانيّة إلى تَمتينِ علاقتها معَ جَارتها الشَّرقية ويظهرُ ذلكَ من خلال الرَّسائل التي كان يَبعثها سَلاطين وأمراءُ بني زيّان للحَفصيين، منها رسالةُ أبي يحيى يَغمُراسُن بن زيّان إلى حَضرة تونس وهي من إنشاء كَاتبهِ أبي بكر بن خطاب افتتحها بالدّعاء للإمارة الحفصيّة مُؤكدًا في الرّسالة حرص بني زيّان الاِنضواء في كنفهم "وإنّ العبد أصدر خدمته هذه إلى الحضرة العلية أيدها الله مقررًا ما لديه من الخدمة لبابها، والتّعلق بأسبابِها، والإنضواء إلى كنفها المنيع وجنابها، متيقنا أنّ خدمتها أمر لمتوليها من النَّوائب، ويمن في المبادئ من أمره والعواقب، وسبب يدني إليه ما نأي من الآمال والمآرب، وببركة الاِستناد إلى الحضرة الكريمة أيدها الله تدرك المنى".[2]

ثانيا: الرَّسائلُ الإخوانية

سَبقت الإشارةُ أنَّ الرَّسائل الإخوانية ما يتبادله الأصدقاء بسببٍ من الأسبابِ، ومن نماذجِ هذه الرَّسائل ما كَتبه ابن خطَّاب المُرسي إثر مَرضٍ شديدٍ ظنَّ من شدّة ألمهِ أنّها نِهايته حيث يقول: "سيدي الذي أحدث عن فضائله الباهرة ومآثر جلاله الزّاهرة، ولا أغفل عن مخاطبته في الدّنيا كنت أو في الآخرة.

---

[1] نفسه، ص 142.

[2] العلوي البلغيثي، فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن الخطاب، مجلة دعوة الحق، العدد: 249، 1985، ص 94-95.

رسمت هذه العجالة إليكم من تلمسان–حرسها الله–والحامل واقف مستحث للقلم، مستقل من الكلم، وأنا قد طارعني التّرب والكفن، وصيّرني إحدى أعاجيبه هذا الزمن. والإرجاف كما قيل مقدمة الكون، والنّفوس إلى مواقيتها محفوفة بالكلاءة والصّون.

وكنت في الشّهر الفارط قد هجم عليَّ مرض صفراوي في غاية الحدّة وأخل بجسمي. وأيأسني من نفسي، وأشرف بي على الفوت، ثمَّ أفلت من أظافير الموت وسأنشب فيها فلا أستطيع الإفلات، ويصدق من يقول: فلان مات.

والله يجعل صبابة العمر في طاعته، ويكتبني فيمن كانت التّقوى رأس بضاعته، بمنه والسّلام".[1]

ومن نماذج هذه الرّسائل ما كتبه ابن مَرزُوق التلمساني مُرحبا بقدومِ لسان الدّين بن الخطيب إلى مَدينة فاس اِبتدأها بقصيدة شعرية اِفتتحها بقوله:[2]

يَــا قادِمًــا وافَــى بكــلّ نَجَــاح أبْشِــر بمَــا تلقَــاه مــن أفْــرَاح

ثمَّ أثْنَى في القصيدة على السُّلطان المَريني أبي عنان، مُذكِّرا مُراسله بمَا يلقاهُ عند هذا السُّلطان ثمَّ أردفَ قَصيدته نثرًا حيث يقول: "فالحمدُ لله يا سيدي وأخي على نعمهِ التي لا تُحصى، حَمدًا يوُم به جميعا المقصد الأسنى فيبلغ الأمد الأقصى، مظالما كان معظِّم سيدي للأسى في الخبال، وللأسف بين اِشتغال بال، واِشتغال بَلْبال، ولَقُدُومكم على هذا المقام المولوي في اِرتقاب، ولمواعيدكم بذلك تحقق وقوعه من غير شك ولا اِرتياب فها أنت تجتلي من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرات صباحًا، وتتلقى أحاديث

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل، ص 240–241.

[2] المقرى، نفح الطّيب، ج6، ص 64.

مكارمه ومواهبه مُسندة صحاحًا بحول الله تعالى، وليسدي الفضل في قبول مركوبه الواصل بسرجه ولجامه.[1]

ثالثًا: الرَّسائل الدّينيّةُ الوعظيّةُ

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل رسالة عبد الكريم المَغيلي لأمير كَانُو* وهي عبارة عن توجيهاتٍ ونَصائح لهُ حتّى يُحقَّقَ العدل لرَعيتهِ ويُحافظَ على إمارتِه وقد اِستهلَ رِسالته بالحمدِ والصّلاةِ على النَّبي صلّى الله عليه وسلّم فيقول:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرَّحمنِ الرّحيمِ، مَالك يوم الدِّين.

والصّلاة والسّلام على رسول الله، خير خلق الله، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ثُمَّ ينتقلُ إلى البَعدية فيقول:

أمّا بعد:

وفقكَ اللهُ للتّقوى، وعَصمكَ عن نَزغِ الهوى، فإنَّ الإمارة خلافةٌ من اللهِ، ونيابةٌ عن رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم، فمَا أعظمَ فضلها، ومَا أثقل حِمْلَها.

إنْ عدلَ الأميرُ ذَبَحته التّقوى، بقطع أوداجِ الهوى.

وإن جَارَ ذَبَحَهُ الهوى، بقطع أوداج التّقوى.

وعليكَ بتقوى الله:« كلُ نفسٍ ذائقةُ الموتِ وإنَّما تُوفَّون أجُوركم يومَ القِيامةِ فَمن زُحزحَ عن النّارِ وأدخلَ الجنَّة فقدْ فازَومَا الحياة الدّنيا إلاّ متاعُ الغرورِ» .[2]

وسأذكر لكَ من ذلكَ جملة مُختصرة في ثمانيةِ أبوابٍ والله الموفق للصّوابِ.

الباب الأوّل: فيما يجبُ على الأمير من حُسن النّية: وممَّا جاءَ فيها:

---

[1] نفسه، ص 65.

* هي إحدى الإمارات السّبع المستقلة تحت سلطة الهوسة شمال نيجيريا.

[2] سورة آل عمران، الآية 185.

الإمارةُ بَلوى بينَ الهَوى والتَّقوى، فعلى كلّ ذي عقل وأمانة أن يبعدَ عنها، إلاّ إذا لم يكن له يدٌّ منها.

فتوكَّل على اللهِ، واستعذْ في أمركَ كلّه باللهِ، وليكن عَملك كلّه لوجهِ اللهِ ..."[1]

البابُ الثّاني: فيما يجبُ على الأميرِ من حُسن الهَيئة وممَّا ذكره:

الإمارةُ مقعَمةٌ للنّفسِ الأمّارة، فعلى كلّ أميرأن يرتدي برداء الهيبة، فأظهر حبَّ الخير وأهلهِ، وأبغِض الشَرَّ وأهله.

وزيِّن جِسمكَ. وطيِّب ريحكَ، وحَسِّن ثوبكَ بمباح من زينة الرِّجال، غير مُشبه بالنّساء، ولا مُفسد لبيتِ المالِ، فلاَ تتزيّن بذهبٍ ولا فضةٍ ولا حَرير بحال، فإنَّ ذلكَ قبح ودناءة وضلال.[2]

وتَربَّـــــــــــع إنْ جَلَسَـــــــــــتْ

واسْـــــــكُت مَـــــــا اســـــــتطَعتْ

ولا تَعْبَـــــــث ولـــــــو بيـــــــدك

واغْضـــــــض مِـــــــن بَصـــــــرك

وليكن نظركَ تفرُسًا، وإطراقك تفكرًا، وإقبالكَ على الخلق بوجه أداء الحقّ ..."[3]

البابُ الثّالث: فيما يجبُ على الأمير من ترتيبِ مَملكتهِ وممَّا ذكره:

"الإمارةُ سياسة في ثوب رئاسة. فعلى كل أميرٍ أنْ يرتّبَ نظام مملكته لسُكونِه وحركتِه على ما يتمكن به من صلاح رَعيته، فمن ذلك: خُدام بالحضرة يتصرفون، وعُقلاء يشيرون وأُمناء يقبضون ويصرفون، وكتَّاب وحساب يحفظون، ورُسل وجُسَّاس، وعُسَّاس".[4]

---

[1] عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، تح: محمّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1994 ، ص 17.

[2] عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين ، ص 19.

[3] نفسه، ص 20.

[4] نفسه، ص 25.

"ومن ذلك أيضًا عُلماء ثقاة وأرباب شرطة يزجرُون، وشفعاء يشفعون، وقضاة ثقات يفصلون ... ومن ذلك أيضًا حِصن حَصين مكفى بالخزائن، وخَيل خَديدة وظُهور شَديدة ورجالٌ شُجعان حاضرة في كلّ أوان، وعدد كثيرة متينة، وأطباء عارفة أمينة ..."[1]

البابُ الرّابعُ: فيما يجبُ على الأمير الحذر والسَّفر ومِمّا جاءَ فيه:

"ولا تُفارق الدّرع والسّلاح، ولا يقرب منكَ إلاّ أهلُ الأمانة والصّلاح، ولا تَنمْ بغيرِ مكانٍ أمينٍ، وغيِّر مَرقدك في كل حينٍ، واترك زِيَّكَ المَعروف في كلِّ مكانٍ مَخُوف".[2]

البابُ الخامس: فيما يجبُ على الأميرِ من الكَشف عن الأمورِ وممَّا جاءَ فيه:

"وأن يكشف عمّن قويت فيه تُهمة الفساد، شهد بوجود علامته كشف الأمير عن بيّنة فإن وجد فيه نكَّلَهُ وكسره، وإلاّ توعّده وزجرهُ ..."[3]

البابُ السَّادس: فيما يجب على الحكام من العدل في الأحكام: وممّا جاء فيه:

"للسلطة رِجلانّ: العدلُ والإحسانُ.

فالعدلُ: أنْ يوفيَ كل ذي حق حقَّه من نفسه وغيره ..."[4]

البابُ السّابع: في مُجبي الأموال من وجوه الحلال وممّا جاء فيه:

"يجبُ على كلّ أمير أنْ لا يُجبي الأموال إلاّ من حيث أباح الله له:« ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمرا»*

الكرمُ روحُ السّلطنةِ. وعَدَمُه نفس الشَّيطنة.

وأوّل الكرمِ وأساسُه: الإمساك عمّا في أيدي النَّاس.

---

[1] نفسه، ص 26-27.

[2] عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين ، ص 31.

[3] نفسه، ص 37.

[4] نفسه، ص 41.

* سورة الطلاق، الآية 1.

والكـــف عن أموالِ النّاسِ بقاء المملكة وجمالُها. والطّمع في أموالهم خراب المملكة وزلزالها ..."[1]

البابُ الثّامن: في مصارف أموال الله ومِمَّا جاءَ فيه:

"يجب على كلّ من بيده شيء من مال الله ألاّ يصرفه إلاّ في المَصارفِ التي شرع الله: «ومن لمْ يَحكُم بما أنزلَ الله فأولئكَ هُم الظالمون»وسيعلم الذين ظلموا أيّ مُنقلب ينقلبون»*** الكرمُ دوامُ الملكِ. والبخلُ والتّبذيُر خَرابه ..."[2]**

وفي الأخيرِ يَختمُ المَغيلي رسالته بالصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم والدّعاء، فيقول: "والصّلاة والسّلام على سيدنا محمّد الأميّ خاتم النّبيين وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وسلامًا على الأنبياء والمرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

اللّهم اغفِر لنَا ولوالدينا، ولجميعِ المسلمين والمُسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات"[3]

ومِنْ نماذجِ هذه الرَّسائل أيضًا ما كتبهُ المَغيلي لسلطانِ أهِير، حيث بدأَ بالبسملة والصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ثمَّ السّلام على السّلطان ثمَّ البعدية سائلا لهُ التَّوفيق وطالبًا منه التّقوى حتى يوفقه الله ويعينه، وهي رسالة موجزة هذا نصّها: "السّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أمّا بعد:

وفّقكَ اللهُ وكفاك وأعانكَ على مَا أولاكَ. فإنَّ الملك كلّه لله، ولا حولَ ولا قُوة إلاّ بالله "من يَهن الله فما له من مكرم إنّ الله يفعل ما يشاء فلا عمل إلاّ لله، ولا محبة إلاّ في الله

---

[1] نفسه، ص 48.

** سورة المائدة، الآية 40.

*** سورة الشعراء، الآية 22.

[2] عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين ، ص 51.

[3] نفسه، ص 60.

وكل من كان لله وبالله يفلح ويدوم، وكل ما كان لغير الله فاعله من قرار، وصاحبه خائب مذموم فعليك بتقوى الله والتوكل على الله فإنّه:«من يتّق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب» ومن يتوكل على الله فهو حسبه إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا".[1]

ومِنْ نماذجِها أيضًا ما كتبهُ الفقيهُ أبو مُحمد عبد الله بن أبي بكر العصوني قاضي توات إلى علماء تلمسان وفاس بعد ما وقعَ في خلاف معَ عبد الكريم المَغيلي في قضية يهود توات، فالمغيلي يَرى وُجوب تهديم كنائسِهم خلافَ العصنوني، وفي هذا يقول: "سيدي رضي الله تعالى عنكم، وأدام بمنه عافيتكم، ومتع المُسلمين بطول حياتكم، جوابكم الكريم في مسألةٍ وقعَ فيها النّزاع بين طلبة الصَّحراء، وهي كنائس الكائنين بتوات وغيرها من قُصور الصّحراء، فقد شغب علينا فيها المَغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة. وذلك أني أفتيت بتقريرها".[2]

بعدمَا ذكر العَصوني رأيه في قضية يهود توات، دافعَ عنه بذكر أراء العلماء المَغاربة كابِن عَرفه، وابن يونس، والبَرزلي، فيقول في ذلك: "وذلك أنّي طالعت اِبن عرفه فوجدته حَصلَ في بلد العنوة والذي اِختطه المسلمون ثلاثة أقوالٍ، ثمَّ تكلم على حكم بلاد الصّلح. ثمَّ طالعتُ اِبن يونس فوجدته تكلمَ على تلك الأقسامِ الثّلاثةِ وأتى بقول مالك في بلد الإسلامِ دليلاً على الحُكم الذي أسّسه في البلد الذي اِختطفه المُسلمون وذكر خلاف الغير في بلد العنوة خاصة، ثمَّ طالعتُ البرزلي فوجدته ذكرَ ما ذكرَ ابن يونس"[3]كما اِستشهدَ العصوني بنازلتين ذَكرهُما البَرزلي تَدعيمًا لفتواه، إحداهُما نَازلة اِبن حاج الذي

---

[1] عبد الرّحمان حمّادو الكُتبي، مع المغيلي ابن عبد الكريم (صاحب نازلة يهود توات، حقائق ووثائق)، مؤسّسة البلاغ للنّشر والدّراسات والأبحاث، باب الزوار، الجزائر، 2013، ص 150 -151.

[2] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة للملكة المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط 1981، ص 214.

[3] نفسه، ص 214.

أقرَّ ببناءِ كنائسِهم بوصفهم مُعاهدين من أهل الذِّمة، والثّانية أنَّه وقع في تونس بناء كنيسة من طرف النَّصارى لآداءِ عباداتهم فأذِن لهم بذلك[1]بعد عرض الفقيه العصوني آراء مجموعة من العُلماء تَدعيمًا لموقفه ذكرَ رأي المَغيلي حول هذه الكنائس وكيفية تعامل المُسلمين معهَا، فيقول: "والمَغيلي في بعض الأوقاتِ على رُؤوس الأشهاد يدّعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها تهدم وإن أدّى إلى قطع الرُؤوس. ومن مات من يريد هدمها فهو من أهل الجنّة، ومن الآخرين فهو من أهل النَّار ... هذه محبة رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم، وهذه محبة اليهود، فاِختاروا أيها شئتم"[2]

وختمَ الفقيهُ العصنوني رسالتهُ بالحديثِ عن سُؤال الفَجيجي الذي يعتبر اليهودَ ناقضين للعهدِ، وهذا خلاف ما يَراه العصوني الذي وَاصلَ الدِّفاع عن رأيِه مُؤكدًا أنَّ هؤلاء اليهود يدفعون الجزية لأعيانِ أهل البلدِ، وأنَّ كنيستهم لا تلاصق دار مُسلمٍ.[3]

---

[1] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، ص 215.

[2] ينظر نفسه، ص 216.

[3] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج2، ص 217.

المبحث الثّالث: الرَّسائل المرينيّة ومَوضُوعاتها

أولا: الرّسائلُ الدّيوانيّة

1. رسائلُ الفتوحات: حرصَ بنو مَرين على توحيد المغرب الإسلامي، وإعادة وحدته التي شَهدها أيَّام المُرابطين والمُوحدين، وذلك بالقيام بمحاولات عديدة لإعادة فتح وإخضاع ما تملّكه جيرانهم بنو زيان وبنو حفص، وهذا ما حصل لهم زمن أبي الحسن وأبي عنان، ونظرًا لأهميَّة هذه الفُتوحات كان يكتب السّلاطين المرينيون للوجهاء والرّعية ولحكام الممالك المختلفة لإعلامهم بهذه الوقائع والمستجدات.

ومن نماذجِ ذلكَ ما كتبهُ السّلطان أبو الحَسن إلى سلطان المماليك النّاصر مُحمّد بن قلاوُون حيث اِفتتح رسالته بالبسملة، ثمّ ذكر الألقاب السّلطانية للملك قلاوون، حيث يقول: "إلى السلطان، الجليل، الكبير، الشهير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافل، الملك الناصر، المجاهد، المرابط، المثاغر، المؤيد، المظفّر، المنصور، الأسعد، الأصعد، الأرقى الأوقى، ناصر الدّنيا والدّين، وقامع البغاة والمعتدين، مُفيد الأوطار، مبيد الكفّار، هازم جيوش الأرض والفرنج والكُرج والتّتار ..."[1]إلى غيرها من الألقاب السّلطانية الدّالة على مدى اِحترام وتقدير المرينيين للمماليك، ثمّ ينتقل إلى حمد الله عزو جل والسّلام على النّبي عليه أفضل الصّلاة والسّلام، ليدخل للموضوع الرئيس المتمثل في فتح مدينة تلمسان فيقول: "فإنا كتبنا لكم –كتب الله لم مجدًا مديد الظلال، وعضُدا حَديدَ الإلال وسعدا جديد السِّربال–من منصورة "تلمسان" حرسها الله تعالى، الصنائع الرَّبانية تُكيّف العجائب، وتُعرِّف العوارف الرغائب، وتُشَنّف الأسماع بما تُسمعها من إجزال المُنُوح والمواهب، وتُفَوَّفُ الرقاعَ بما تودعها من أحاديث الفتوح الغرائب".[2]

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 88.

[2] نفسه، ص 89.

ويذكرُ في الرّسالةِ خبرَ وُصول رسالة السّلطان المملوكي "فقد وصل كتابكم الأثير، المزري بالمسك النثير".[1]

ويواصلُ في رسالتهِ عزم والدته آداءَ فريضةِ الحجِّ، وزيارة قبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم فيقول: "وهو ما كانَ عليه عزم مَولاتنا الوالدة ألحقها الله رضوانه، وبوّأها جِنانه: من حجِّ البيت المُحرّم، وزيارة القبرِ المعظَّم المكرّم، والصّلاة بالمسجد الحرام ومسجد النبّي صلّى الله عليه وسلّم وثالثها في شد الرّحال للمسجد الأقصى ونعم المغتنم، وقضاء النُّسك بتلك المناسك والمشاهد، والتَّبرك بتلك المعالمِ المنيفةِ والمعاهدِ ..."[2]

كمَا يذكرُ في الرِّسالة تاريخ بني زيّان فيقول: "وذلك أنَّ أسلافه بني زيّان كانوا قد اِستولوا على هذه المملكة في سَالف الزَّمان، ولم يزل بينهم وبين أسلافي المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تُوردهم الحِمام، وتُذيعهم الموتَ الزُؤام، فيدعون المنازعة ويعودون للموادعة، ثمَّ لم يلبثوا أنْ ينكثوا، ولم يصبروا أن يغدروا، إلى أن كان من حصار عمّنا المقدّس المرحوم أبي يعقوب قدّس الله تُربته إيّاهم، فأكثر موتهم، وكدَّر مَحياهم وتمادى بهم الحصار تسع سنين، وما كانوا غير شِرذمة قليلين".[3]

ويواصلُ ذكرَ خبر طغيان السّلطان الزّياني وحصاره بجاية وإغارته على أحواز تونس وطلب السّلطان الحفصي أبا يحيى العون والمدد من المرينيين بقوله: "وأقام على بجاية عشرين سنة يشدّ على بجاية الحصار، ويشنُّ على أحواز تونس الغار ... فأدى ذلك صاحبها السّلطان أبا يحيى أعزه الله تعالى أنْ بعث إلينا وزيره في طلب النّصرة رسولا"[4]

---

[1] نفسه، ص 89.

[2] نفسه، ص 90.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 91.

[4] نفسه، ص 92.

كمَا يذكرُ أنّه رَاسلَ السُّلطان الزّياني بعد حصاره وإغارته أحواز تُونس فيقول: "فخاطبنا إذ ذاك هذا الخائن العاقّ مبصّرين، وبقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اِقتتلوا فأصلحوا بينهما»*[1]

ويذكرُ في الرِّسالةِ أيضًا اِستعانة سُلطان الأندلس به على النّصارى واستجابته لطلبهِ يقول: "وفي أثناء ذلكم وصلَ إلينا أيضا سُلطان الأندلس مُستغيثا على النّصارى أعداء الله جيرانه على طاغيتهم، المُصِّر على عداوتهم، فجهزنا معه ولدنا عبد الواحد في أربعة آلاف من الأبطال، وأمددناهم بما كفاهم من الطعام والعدّة والمال ..."[2]

وكان نتيجة هذا العون النّصر المُحقّق على النَّصارى وإلزامهم بترك إعطاء الضرائب المفروضة على المسلمينَ فيقول: "ومنح الله حزبهُ المؤمنين فتحًا ونصرًا ... وكان ذلك سبب إنابته للسِّلم وانقياده وإجابته لترك ما كان له على أصحاب غرناطة من مُعتاده وكانوا يُعطونه ما يُنيف على الأربعينَ ألفًا من الذهبِ في العامِ، ضريبة ألزمهم الطّاغية أداءَها في عقد مُصالحته أيَّ إلزام، فسُمناهُ تركها وإسقاطها، وألزمناه فيها عقدناه له من السِّلم أن يدع اِشتراطها، والحمد لله الذي أعزَّ بنا دين الإسلام وأذلَّ رقاب عبدة الأصنام".[3]

كمَا ذكرَ ما كان من صَاحب سَجلماسة بقولهِ: "وكنّا في هذه المدّة التي جرت بها هذه الأحوال عرت فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخانا الممتنع بسجلماسة من بعض بلاد القبلة ومحاولين من إزاحة ضرِّه، والإراحة من شرِّه، ما فيه الصّلاح والفلاح على التفصيل والجملة"[4]

---

* سورة الحجرات، الآية 9.

[1] نفسه، ص 92.

[2] نفسه، ص 92.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 93.

[4] نفسه، ص 93.

ويعود في الرِّسالة إلى موضوع فتح تلمسان فيقول: "ولما فَرغنا والحمدُ للهِ من تِلكم الشَّواغل وأرغنا من الخَائن التلمساني ترك ما هو فيه من إثارة الفتن واغِل، فأعرض وأشاح، ومَا لاحت عليه مخيلته فلاَح، نهدنا نحو أرضِه لنجزيه بقرضه، بجيوش يضيق عنها فسيح كلّ مَدى، وخُيول تذر الأكَم للحوافز سُجَّدا، تنقض على الأقران أمثال الأجادِل وتقضُّ الجنادل من حوافزها بأصلبَ من الجنادل، فكلَفْنا بتسلم منازله منزلا فمنزلا، وتضُّم معاقله معقلا فمعقلا، وجُلُّ رعياه تُقرُّ بفضلنا وتفرُّ من جوره إلى عدلنا ..."[1]

ويواصلُ ذكرَ أحداثِ المعركةِ فيقُول: "فنزلنا بساحه وأقبلنا على كفاحه، وجعلنا نقذِفُهم من حجارة المَجانيق، بأمثال النِّيق، ومن كيزان النِّفط المُوقَدة، بأمثال الشُّهب المُرْصدة، ومن السِّهام العقَّارة، بأمثال العقارب الجرَّارة، حتّى غدت جُدرانُهم مَهدُومة وجسومُهم مَكْلُومَة، وثُغُور شُرُفاتهم في أفواه أبراجهم مَهْتُومه ... وولى الأشقياء الأدبار وعاذُوا بالفرار، وبدت عليهم علامات الإدبار، وسابقوا إلى الأبواب، فكان مجيئهم من أقوى الأسباب، وقَتَل منهم الزِّحام، من أسأره الهَدم والحُسام، فتملَّكنا ما دارت عليه الأسوار الخارجية: كفرار السبع والملعب، وجميع الجِنان والعُروش ..."[2]

كمَا يذكرُ في الرِّسالة قتل السّلطان الزّياني واستيلائه على أراضيه: "وفرَّ الشَّقيُّ إلى فناء داره، في نفر من ذويه وأنصاره، وفيهم ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن على معينه على البغي والعصيان، وعبد الحق بن عثمان الخائن الغادر، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر، فتكنَّفهم هناك أولياء دولتنا العليلة، فأوردوهم ويوسف ولد الشقيّ السَّالب حياض المنيّة ..."[3]

كمَا ذكر في رسالتهِ عفوه وإحسانه لأهل تلمسان بقوله: "وقد رأينا من حقِّ هذا الإنعام الجسيم، والصّنع الرائق الوسيم، أن نتبع العفو بعد المقدوره، بالإحسان لمن أسلف

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى،ج 8، ص 94.

[2] نفسه، ص:94، 95.

[3] نفسه، ص 96.

لنا غمطه أو شكره فمننَّا على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا عليهم صُنوف الملابس نساءً ورجالاً، وأوسعنا لهم في العطاء مجالا، وأفعمنا عليهم من الحِباء سِجالا، واقطعنا لهم من بلاد المغرب حَاطها الله تعالى ما هو خير من بلادهم ... وخلطناهم بقبائل بني مرين وحُطناهم بإتّحاد الكلمة من تقوّل المتقوّلين، وتزوير المزوِّرين، وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد، وأعتدنا من فرسانهم ورجالهم لطِعان الأعادي أكبر مدد، وأزيل عن الرّعايا بهذه البلاد الشّرقية إصرهم".[1]

ويواصلُ رسالته بذكر أنّ طريق الحجّ أصبح آمنًا بقضائهم على بني زيّان فيقول: "والآن بحمد الله حقّت الحقائق، وإرتفعت العوائق، وصحَّ العليل، ووضح السّبيل، وتمهَّل المرام وتيسَّر القصد إلى بيت الحرام".[2]

ويَختمُ الرِّسالة بذكر أنَّ هذه الأخبار مَحل إعجابٍ وسُرورٍ مِن طَرف المَماليك لأنَّها قطع وإزالة لكلِّ باغٍ فيقول: "وأنهينا لعلكم الكريم هذه الأنباء السَّارة، الآلاء الدّارة، لما ذَكَرتم من تشَوُّفكم لإستطلاعها، وسطَّرتم من تَشَوُّقكم لإستماعها. ولعلنا بقطع دابر الباغين".[3]

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل أيضًا رسالة السّلطان أبي عنان بعد فتح قَسنطينة مُوجهة إلى الشُّرفاء والوُجهاء والأعيان، وهي من إنشاءِ صَاحب ديوانه ابن الحَاج، وقد بدأها بذكر المُرسل وهو السّلطان المريني-أبا عنان-والمُرسَل إليهم مُتمثلين في الشُّرفاء والفقهاء والأعيان وإلى الخاصّة والعامّة، ثمَّ السّلام ثمّ البعدية المُتمثلة في حمد لله عزّ وجل والدّعاء للمقام السّلطاني المريني وبعدها ينتقل للموضوع الرَّئيس المُتمثل في فتح قَسنطينة فَيقُول: "فإنَّكم قَد علمتُم أنَّ قَسنطينة طَالَ في هذه الأعوام حِصارُها، واستطارت صدوع الفتنة التي إضطرمَت نارها.

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 96-97.

[2] نفسه، ص 98.

[3] نفسه ، ص98.

فَطفِقت تَسلك في الخسار طَريقًا ميتاء، وأخَّر الله عز وجل أمرها إلى أجل معدود جمع على الرَّشاد أهواء. فأعملنا لفتحها العزائم التي تجافت بها جنوب السّيوف من مضاجع الأغماد، وجمعنا للاِستيلاء عليها جيوشًا سال مغيروها في الأغوار وأنجادها في الأنجاد. ورأينا بعد الاِستخارة، وإقامة سنتها المختارة: أن قدمنا بين يدي حركتنا السَّعيدة وزيرنا الحظي لدينا أبا زيَّان بن ودرار أنجده الله تعالى، فنهض إليها في عساكر تصبُّ على الأعداء سَوْط عَذاب، وسَرايا تَطير بأجنحةِ الغَرائم لحوش خلال الدّيار والشّعاب.

فلم يثن الأعنَّة حتى بلغ قَسنطينة مطيلا حصاراً، وطالبا ثارًا. وكانت ريحًا فلاقت منه أعصارًا.

ولَمْ يَكن أسْرع من أخذه بمخنقها واعتماله في التَّقييد لمطلقها. فملك في مطالبتها النهج الأرشد، وضيق يصاحبها فكان العود لحصار أحمد أحمد".[1]

ثُمَّ يواصل الرِّسالة بذكره مَجيء السُّلطان أبي عنان بجيوشهِ فماجَت الأرضُ بعساكرهِ وذعر أهلها وأذعنُوا لهُ حيث يقُول: "ومَا اِجتزنا على أبوابِ قَسنطينة حتى ألقوا إلينا أيدي الإذْعان، وسَقط في أيديهِم سُقوطًا عَلت بهِ والحمد لله كلمة الإسلام. وداخلهم الرّعب الذي أضحت به قلوبهم كأعلامنا خافقة، ورأوا مَالا طَاقة لهم به فأظهروا توبةً نصوحًا وإنابةً صادقةً".[2]

ويَذكرُ أيضًا خبر طلب أمير قَسنطينة أبو العباس الأمان فأرسلَ أخاه الفضل، حيث يقول: "وقد كانَ أميرهم أبُو العباس وجّه إلينا طالبًا الأمان ... أخرج إلينا أخاه الفضل رافقًا والعزة لله شعار الانكسار، مادًّا إلى بابنا والعظمة لله يد الافتقار والاضطرار".[3]

---

[1] ابن حاج النميري، فيض العباب، دراسة وإعداد: محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990 ص317.

[2] نفسه، ص 317.

[3] نفسه، ص 318.

كمَا يذكرُ في الرِّسالة عَفو السُّلطان أبي عنان عن أهلِ قَسنطينة بعدَ إظهارِ تَوبتِهم النَّصوح فيقول: "وعاملناهم بالصَّفحِ القائِم بالقسطاسِ، واغتنَمْنا أجرَ«الكاظمين الغيظ والعافينَ عن النَّاس»*وعلمنا أنَّ العفوَ أقرب للتَّقوى حسبما نطق به الكتاب الكريم المنزه عَنِ الشَّك والالتباس".[1]

وفي آخرِ الرِّسالة يَحمد اللهَ تعالى على فتح قسنطينة وتخليصها من المُفسدين حيث يَقُول: "والآن والحمدُ للهِ تخلَّصَت من أحكامها تخلّص البدر من السرار، وأذلّت بعون الله رقاب المفسدين".[2]

ومِن نَماذجِ هذه الرَّسائل أيضًا رسالة السُّلطان أبي عنان،وهي من إنشاء ابن حاج إلى الأعيان والوجهاء والشُّرفاء والخاصّة والعامّة على الولاء بعد فتح تونس، وجاءت على شاكلة الرِّسالة السَّابقة مُفتتحة بذكر المُرسِل والمُرسَل إليه ثُمَّ السّلام وحمد الله عز وجل ثُمَّ الانتقال للموضوع الرَّئيس المُتمثل في فتح تونس حيث يقول: "والآن والحمد لله قد حَقَّق الله رجاءنا من نصر الله والفتح ما جاءنا. لا جرم أنَّ الله تعالى مَنَّ علينا بفتح تونس التي كانت لفتوح إفريقية مسك الختام ولبنة التَّمام، وعنوان طرس النّصر".[3]

كمَا يذكُر في الرِّسالة اِنقياد عَرب إفريقية وخُضوعهم لبني مَرين إلاَّ القلَّة منهم حيثُ يقول: "ما ألقت إلينا عرب إفريقية أيدي الإنقياد والإستجداء، ولم يتخلف منهم عن طاعتنا إلاّ ثلَّة من الأشقياء وشرذمة من أولاد أبي اللّيل ..."[4]

كما يذكر خبر قتالهم مع ابن تافراجين وتمكنهم منه يقول: "وزحف إليهم الشّقي ابن تافراجين بمن كان معه من الرِّجال والفُرسان فناوبوهم مجال الضرائب والطعان"[1]

---

*سورة ، الآية .

[1] نفسه، ص 318.

[2] نفسه، ص 319.

[3] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 372.

[4] نفسه، ص 374.

ويذكر السَّلاوي في الاستسقا أنَّ سُلطان تونس يومئذٍ أبا إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الحفصي لما عَلِم بخروج بن مَرين أمرَ حَاجِبه ابن تافراجين بنزالهم إلى أن فرَّ إلى المهدية وتمكنَ بنُو مَرين من دخول تونس في رمضان 758هـ وإقامة الدَّعوة المرينية.[2]

كما ذكرَ أيضًا فرح أهل تونس بالإيالة المرينية لعدلِها، ورفع المظالم والرِّفق بهم وإزالة المُنكرات والجَرائم يقول: "وأظهرُوا الفرحَ بإيالتِنا الحُسنى، وسُرُّوا بذلك سُرورًا أغنى وأفنى، وأيقنوا بما اِشتهر عن مقامنا الكريم من رفع المظالم، وإيثار الرّفق الكريم الآثار المأثورة المكارم. ومحو المُنكرات التي أباحها المُرتكبون للجرائم، وعَلمُوا أنَّ سُيوفنا تحلّهم جنَّة الأمن الوَافر المقاسمِ".[3]

ويَختمُ الرِّسالة بذكر أهميةِ هذا الفتح، وضَرُورة إشاعتهِ وتبليغهِ حيثُ يَقُول: "وأعلمناكم بهذا الفتح المعلى قدحه، والمكيف الجميل الذي تبلّج صبحه، وتأرّج نفحه لتشيْعوا أخباره الرَّائقة المياسم، إشاعة الأفق لتأشير الصّبح الباسم، وتذيّعوها إذاعة النواسم".[4]

2. رسائلُ التَّهنئة:

خَاضَت الدُّول والإمارات الإسلاميّة حروبًا طَاحِنة معَ أعدائِها الرَّاغبين في الهَيمنة والتَّسلط عليهم، وإطفاء نُور حَضارتهم، وهذا ما حدثَ للأندلس والإمارات المغربيّة مع المَمالك النَّصرانية الأوروبيّة، حتى أرض المشرق لم تسلم من الغزو التّتري الوحشي، فكان انتصارُ المُسلمينض في إحدى البِقاع هو بمثابةِ انتصارٍ لكلِّ المُسلمينَ بحكم رابطة الدِّين، هذا النَّصر كانَ حَدثًا جَلَل يُعتز بهِ، ويَستدعي ذلك التَّهنئة بهِ.

---

[1] نفسه، ص 374.

[2] ينظر: السلاوي، الاستسقا، ج3، ص 202.

[3] ابن حاج، فيض العباب، ص 375.

[4] نفسه، ص 376.

ومن نماذجِ رسائل التَّهنئة ما أرسَله السُّلطان أبو العباس المَريني سنة 804هـ إلى حاكمِ المَماليك بمصرَ بعد انتصارِهم على التَتَار. وقد اُفتتحت الرِّسالة بذكر الألقاب السُّلطانية المَرينية مَتبُوعةً بالألقابِ السُّلطانية لحاكم المماليك ثُمَّ السّلام فالبعدية المُتمثلة في حمد الله والصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ثُمَّ ينتقل للموضوع الرَّئيس فيقول: "وقد اِنتهى إلينا حركة عدُوِّ الله وعدُّو الإسلام، الباغي بالاِجتراء على عبادِه سبحانه بالبؤسِ والانتقامِ، الآخذ فيهم بالعيث والفَساد، السَّاعي بجهده في تهديمِ الحُصُون وتخريبِ البِلاد، وتعرَّفنا أنَّه كان يعلِّق أمله الخَائب بالوُصول إلى أطراف بلادكم المصرية، واِنتهاز الفرصة على حينِ غفلةٍ من خلافتكم العلية، والحمدُ للهِ الذي كَفى بفضلِه شرّه ودفع نقمته، وضرَّه، وانصرف ناكصًا على عقبه، خائبًا من نيل إربه".[1]

كما تُبيِّن الرِّسالة اِستعدادَ المرينيين امدادَ المَماليك بما يحتاجونهلمجابهتمفيقول: "عزمنا على أن نُمدَّكم من عَساكِرنا المُظفّرة بما يضيق عنه الفَضَا، ونُجهِّز لجهتكم من أسَاطيلنا المنصورة ما يُحمد في إمداد المُناصرة ويُرتضى".[2]

وفي الأخيرِ يذكرُ حاملَ الرِّسالة معَ الدُّعاء بالخير للمماليكفيقول: "وقع تخيُّرنا فيمن يتوجه من بابنا الكريم لتفصيل مجمله، وتقرير ما لدينا فيه على أتمِّ وجه الاعتقاد وأكمله على الشيخ الأجل ... أبي عبد الله محمد، بن أبي قاسم، ابن نفيس العراقي".[3]

3. التَّوصيةُ بالحجيجِ:

اِهتمَّ سَلاطين بني مَرين بشعيرةِ الحجِّ، باِعتبارِها رُكنًا من أركانِ الإسلامِ فبذلُوا جهودًا كبيرةً لتأمينِ طُرقِه وحمايةِ الحُجَّاح، والتَّوصية بهم لدى حُكام الأراضي التي يَسلكُونها خاصَّة أرض المماليك بمصر، باِعتبارِها أهمّ طريقٍ للحَجيج على الاطلاق.

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 105.

[2] نفسه، ص 105.

[3] نفسه، ص 106.

ومن نماذجِ هذه الرَّسائل رسالة أبي الحسن المريني للملك الناصر محمد بن قلاوون حاكم المماليك، وقد افْتَتحها بالبسملة وذكر الألقاب المرينية متبوعة بالألقاب المملوكية ثمَّ السّلام فالبعدية التي تَتَمثل في حمد الله عز وجل والصّلاة على النّبي صلّى الله عليه وسلّم كما تضمَّنَت الرِّسالة توصيةً بالحجيجِ الذي يُوجَد ضِمنه والدته، وبعض كبار دولته يقول في ذلك: "كتب الله سلامتهم ويمنَّ ظعنَهم وإقامتهم. ومقامُ ذلك الإخاء الكريم يُسَنَّى لهم من اليُسرى والتَّسهيل القصد والسُّول، ويأمر نوَّاب مالَهُ من الممالك وقُوّامَ ما بها من المسالك، لتكمل العناية بهم في الممرّ والقفول".[1]

ويذكرُ في الرِّسالةِ أيضًا أنَّ مَصحفًا خَطَّه بيدِه لمسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول: "ومعظم قصدنا من هذه الوجهة المُباركة إيصال المُصحف العزيز الذي خَططناه بيدِنا، وجعلناه ذخيرةً ومنًا لغدنا؛ إلى مَسجد سيدنا ومولانا، وعصمة ديننا ودنيانا؛ مُحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بطيبة زادها الله تشريفا، وأبقى على الأيام فخرها مُنيفا، رغبة في الثَّواب، وحِرصًا على الفَوز بحظٍّ من أجر التِّلاوة فيه يومَ المآب".[2]

كما يذكرُ في الرِّسالة أنَّه أرسلَ مع ركب الحَجِّ أموالاً تكون وقفًا على القَرأَة في المَسجد النَّبوي حيث يَقُول: "وقَدْ عيَّنَّا بيد محلِّ الوالدة المذكورة فيه، كرَّم الله جبهتها ويمّن وجهتها من المال ما يُشترى به في تلكم البلاد المحوطة من المستغلاّت ما يكون وقفا على القرأة فيه، مؤبَّدًا عليهم وعلى غيرهم من المالكيّة فوائده ومَجَانيه".[3]

4. الظهائرُ:

أصدرَ الحُكام المَرينيون عدَّة ظهائر منها الظَّهير الذي أصدرَه السُّلطان أبُو زيَّان بن أبي عبد الرَّحمن احترامًا وتَوقيرًا لِلِسَان الدِّين بن الخَطيب لمَا حلَّ بمدينةِ سَلا، وقد حَملَت الرِّسالة أسْمَى عِبارات الاحترام والتَّقدير لابن الخَطِيب حيث يَقُول فيهِ: "هذا

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 102.

[2] نفسه، ص 102.

[3] نفسه، ص 102.

ظهيرٌكَريمٌ من أميرِ المُسلمين أيَّده الله ونصره، وسنى لهُ الفَتح المُبين ويسره، للشَّيخ الفقيه الأجل. الأسنى الأعز الأحظى، الأرفع الأمجد الأسْمَى الأوحد الأنور الأرقى العالم العلم الرَّئيس الأعرف المُتفنن الأبرع ... إلى غيرها من العبارات الدالة على المكانة الرَّفعية التي حظي بها ابن الخطيب لدى المرينيين"[1]وقد تضمَّن الظهير عدَّة أوامر تحرص على العناية كقوله: "يجدد له الحكم ما بيده من الأوامر المتقدم تاريخها، المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كلّ شهر عن مرتب له ولولده الذي لنظره من مجبي مدينة سَلا حرسها الله، ومن حيث جرَت العادة أنْ تمشي له، ورفع الاعتراض ببابها بخارجها وأحوارها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شيء من ذلك بمغرم ولا وظيف ولا يتوجه فيه إليه بتكليف، يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديدًا تامًّا واحترامًا عامًا، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها، وإتمام النّعمة وإكمالها من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن ومن الآن إلى ما يأتي على الدَّوام واتصال الأيام ... ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه وليمض ما أمضاه إنْ شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخرة من سنة ثلاث وستين وسبعمائة".[2]

5. رسائلُ الإعانةِ على الجِهَاد:

شَهِدت بِلادُالأندلس على مرِّ التَّاريخ تَكالب المَمالك النَّصرانية ، فكثيرًا ما تَحالفت للِاستيلاء على إمارته، أو التَّحريش بين حُكامه لإضعافِهم، هذا العُدوان المُتكالب اِضطرَّ في العديد من الأحيان حُكام الأندلس للِاستنجادِ بالمُرابطين أو المُوحدين، أو حتى إمارات المغرب الإسلامي ما بعد الموحدين وخاصَّة بنُو مَرين بحكم قُرب الجوارِ وقوتِهم، هذه الصَّرخات الأندلسية للإعانة على الجهاد كانت تلقى التَّرحيب والقبول بل وتقديم المُساعدة والعبور للجهاد، ومن نماذجِ هذه الرَّسائل رسالةٌ بعثَ بها أبُو يُوسف لابن الأحمر، وهي جوابٌ له بعدما راسَله يَطلب منهُ الجَواز إلى الأندلس ليُعِينَه على النَّصارى، وقد لَقِيت

---

[1] النّاصري، الاستسقا، ج4، ص 48.

[2] النّاصري، الاستسقا، ج4، ص 49.

استجابةً من السُّلطان المَريني حيث يقول في الرِّسالة: "ونحن قادمون عليكم في أثر هذا إنْ شاءَ الله ووعدنا بوفاءٍ يُعين الله على أعدائِه، ونَفِدُ عليكم بأنصار الدِّين وأوِدّائه وصحبتنا قوم باعُوا أنفسهم من العزيز".[1]

كمَا بيَّن في الرِّسالة تاريخ الجَواز للأندلس، فيقول: "عند انصرام شهر المحرم من سنة أربع وسبعين وستمائة نَجوز إليكم وذلك أوان ظهور النّبات، واهتزاز الأرض بالخيرات فاعِدُّوا للّقاء كما نعدّ واستعدُوا على القتال وتوكل على الله حيثما تستعد لأنَّه لا حول ولا قوة إلا بالله".[2]

واخْتَتَمَ الرِّسالة بتذكير ابن الأحمر عدم الإعجاب بالعدد الذي يقاتل أعداءه بعد الجواز إليه لأنَّ النَّصرَ لا يكون إلاّ بفضل الله يقول: "واعملُوا أنَّه لا تأثير للعبد إلاّ بالله وإيّاكم وإيانا من الإعجاب بالكثرة والعَدد فإنَّ الله تَعالى يقول:«ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا*» والله يعيننا وإيّاكم، ويحسن محيانا ومحياكم والسّلام عليكم"[3].

6. رسائلُ المُعاهدَات:

تَميَّزَ هذا النَّوع من الرَّسائل الدّيوانية بِقِصَر حَجْمِه لتَركِيزه على الموضوع الأهمّ، ومن نماذج هذه الرَّسائل المَرينية رسالة السّلطان علي بن السّلطان أبي سعيد ابن السُّلطان المريني أبي يوسف، كَتبهَا من مدينةِ تِلمسَان بعد استلاء المَرينيين عليها وهي مَكتوبة كمَا هُو مُؤرخ في آخرها 15 صفر سنة 746هـ، وهي بمثابةِ مُوافقة للسُّلطان المَريني الحَاكم الفعلي للمغرب وغَرناطة، ومدته عشر سنوات يقول في الرِّسالة: "فأنعمنا

---

[1] مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينيّة، ص 162.

[2] مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية في تاريخ الدّولة المرينيّة ، ص 163.

*سورة التوبة، الآية 25.

[3] نفسه، ص 163.

بإمضاء الصُّلح المُسمى المنعقد على بلادنا الشَّرقية والغربيَّة بلاد السّلطانين المذكورين حسبما طلبه السُّلطان دون بطره إمضاءً تامًا مُتصلا عامًّا شاملا في البرِّ والبحر إلى مدّة العشرة الأعوام المذكورة فيه لا ينقص رسمه ولا ينسخ حكمه، وعلى استثناء ما اِستثنى تسريحه من الجانبين وعلى ما اِستقرّت به واستمرّت عليه العادة في ذلك بيلادنا، وأشهدنا الله عزَّ وجل على ذلك، وكتبنا عليه خطّ يدنا الصّادرة الكُتب الملتزمة به عنّا توثيقا له وإشادة بصحته وحفظا وربطا لعهده.

وأمرنا بكتب هذا العهد المُبارك به في يوم الجمعة الخَامس عشر لشهر صفر المبارك من عام ستة وأربعين وسبع ماية لهجرة نبيّنا مُحمد صلّى الله عليه وسلّم".[1]

ومِنْ نماذجها أيضًا رسالةُ أبي عنان إلى المَلِكة دُونيا لِينُور بيَّنَ مُوافقته على عقد صُلحٍ معَ أخِيها فلديرج صَاحب مَملكة صِقلية "... وما طلبتموه من أن نعقد الصُّلح لأخيكم فلديرج صَاحب صقلية، فقد أسعفناكم في ذلك وأنعمنا عليكم به، وإن أردتم تمامه فتبعثون من ثقاتكم من يعقد ذلك، ويتحدث فيه بحضرتنا إن شاء الله".[2]

ثانيًا: الرَّسائلُ السُّلطانية

مِنْ نماذجِها مَا كتبَه عبد الرَّحمان بن خَلدُون إلى السُّلطان المَريني ذاكرًا لهُ خَبر لقائِه معَالمَلك التَّتري* تِمُر الذي اِستولى على حلب وحماة وحِمص وبعلبك فعاثَت عَساكره فيها فَسادًا، ومن طَريف مَا أخْبر به ذِكرُ مَا جَرى لهُ مَع تِمُر الذي طلبَ بيع بـغلتهِ

---

[1] علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 117-118.

[2] عبد الهادي التازي، التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج7، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دط 1988، ص 183-184.

* ترجع أصولهم إلى منغوليا، كان ظهورهم في أواخر القرن السّادس هجري الثاني عشر ميلادي، اِستطاعوا في وقت وجيز تأسيس أكبر إمبراطورية في تاريخ البشرية اِمتدت من الجزر اليابانية والمحيط الهادي شرقا إلى قلب القارة الأوروبية غربا ومن سيبيريا وبحر البلطيق شمالاً إلى الحدود الشمالية للجزيرة العربية وبلاد الشام وفلسطين جنوبا، والتتارهم فرع من المغول فكل تتري مغولي، وليس كل مغولي تتري، في عهد الزعيم العظيم جنكزخان تمّ القضاء على حكم التتار وأسّس على أنقاض حكمهم إمبراطورية عُرفت في التاريخ بالإمبراطورية المغولية، يُنظر: علي محمد صلابي، المغول والتتار بين الإنتشار والإنكسار، ص 27-28.

فسلَّمهَا له وامتنعَ عن أخْذِ ثَمنها، ومع وُصول ابن خلدون إلى مصرَ بعثَ المَلك ثمنَها مع رسولٍ لهُ.

وممَّا جاءَ في رسالتِه ذكر تاريخ خُروج التَّتار من موطنِهم اتجاه المَشرق الإسلامي بقيادة مَلكهم جنكزخان الذي ملك المشرق، كما ذكرَ خبرَ أولادِه وأماكنَ نُفوذهم وهم جَقُطاي، ودُوشي خَان، وطُولي، ومن أبناءِ هذا الأخير هُولاكُو الذي اِستباحَ بغداد وبلاد الشّام، كما ذكر اِستماتة المَماليك ودفاعهم عن الشّام إلى أن اِنقرض ملك هُولاكُو سنة 740هـ.[1]

ثالثًا: الرَّسائلُ الإخوانية

عَرفَت الرَّسائلُ الإخوانيةُ اِنتشارًا كبيرًا في العهدِ المَريني، ومن ضُروبِها:

1. رَسائلُ التَّهاني:

وهِي من ضُروب الكتابة الجليلة النَّفسية، لِمَا في التَّهنئة البليغة من الإفصاح بقدر النّعمة، والإبانة عن موقع الموهبة، وتضاعف السّرور بالعطيّة[2] وكان لعبد الله الحضرمي رسائل عديدة في التَّهاني، منها:

- التَّهنئة بالعيدِ: يُعتَبر العِيدُ من أبرزِ مَواسِم الفَرح لدَى المُسلمين، ففيهِ يتبادلون التَّهاني فَرحًا بهذا اليَوم المُبارك السَّعيد، من نماذجِ ذلكَ رسَالة الحَضرمي، يَقُول فيها: "هنَّأكم الله الفصول والأعياد وهيأ لكم المأمول والمُراد، وأعادَ عليكم أمثالكم، وأعادَ عليكم أمثالها في تمام الآمال، ودَوام من الأنبال، وإسعاد من الزَّمان، وتعظيم الأمر والشأن، ولم أقدم بعد حقّ الله عليّ إلاّ حقكم لدي في التَّهنئة بالعيد السَّعيد واليوم الجَميل نظمًا ونثرًا، وخطابا وشعرًا، ولو وددت الجديد، وتقبل منكم الشَّهر في الشَّهر الرّاحل الصيّام، وجمع أعمالكم من الصَّلاة والقيام، وأنالكم من آمالكم غاياتها، ومن

---

[1] ينظر: التّعريف بابن خلدون، ص 425-426-427.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص 5.

أمانيكم نهاياتها، وألف لكم بين تَصاريف الأقدار وعوارض الأوْطان ولا أعدمكم فيه الدّعاء المُستجاب والمُستطاب وطَهّر قلبكم من الذُّنوب، وأزال عنكم الخَطايا والحُوب، وبَلغك الله يا أخِي أمَلك، وزكى قَولك وعَملك، وتقبَّل القُربان، وبذلك في عليين الدّرجة والمكان، وأبقاك في سعدٍ وسرورٍ، ودعةٍ ورزقٍ موفورٍ بمنهِ".[1]

- **تهنئةُ والٍ: كانَ التَّعيينُ لأداءِ مَنصبٍ مَا، أو التَّرقية فيهِ من المُناسبات التي يَتلقى فيها صاحبها التَّهنئة، ومن نماذجِ رسائل التَّهنئة للوُلاة رسالة ابن الحَضرمي حيث يقول فيها: "طلعت عليَّ البشرى بولايتكم التي أُسنِدت إليكم، وعزم فيها عليكم، طلوع الهلال وقت الإرتقاب، ووقعت لديَّ المسرّة موقع البرء من الأوصاب، وقد عادَ القَضاء إلى نِصابه، ورجعَ إلى من يفتح بابه، فدَعوت اللهَ أن يَشدَّ إزركم عَلى هذا المَعنى الحَميد، والتَّقديم المبارك السَّعيد، وإختلفت بالشّكر له على ما خطر به المسلمون من فضلكم الذي إشتهرَ في جميعِ البلادِ وعزكم الذي لا يستنفزه الهوى ولا يفارقه السّداد والرّشاد، وعلمكم الذي يقرُّ لكم بالتّقدم فيه الحاضر والبلاد فأكثروا من الشّكر لله تعالى في كل ناد والسّلام عليكم معاد".[2]**
- **التّهنئةُ بالزَّواج: يعتبرُ الزَّواجُ أيضًا من المُناسبات التي يُهنأ فيها الإخوان بعضهم ومن نماذجِها رسالة الحَضرمي إلى أحدهم مُهنئا يقول فيها: "وصلني يا أخي كتابكم الكَريم، تذكرون أنَّكم عَزمتم عَلى تَزويج فُلانة بنت فُلان، والزَّواج مِمَّا يُحي الله به الأنساب، ويقوّي به الأسباب، ويوكل به الحرمات، ويجدد به المكرمات فامضوا ما قد عزمتم عليه، وبادرُوا مُسرعين إليه، قالَ سيدُ المُرسلين:«من تزوَّج فقد اِستكملَ نصفَ الدِّين» جعله الله زواجَ خيرٍ وقربةٍ وغبطةٍ، وحسن عشرة وصحبة بمنهِ".[3]**

---

[1] إدريس العلوي البلغيثي، سلسلة ذخائر التّراث الأدبي المغربي، العدد: 26، ص 20-21.

[2] إدريس العلوي البلغيثي، مجموع من بعض رسائل أبي عبد الله محمد بن الحضرمي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، العدد: 26، ص 21-22.

[3] نفسه، ص 24-25.

- **التّهنئةُ بولدٍ: ومن نماذجِها رسالة لابن الحَضرمي يقول: "وعليَّ الخبر الذي اِستهلت بهِ النَّفس فَرحًا، وتهلل بِه الوَجه مَرحًا، بطلوع الولد المُبارك المسعود، والسّلامة الزّكية والفرع المحمود، الذي زادَ عددَ الكرام، وتبسَّمت بطلوعهِ ثُغور الأيام واهتزَّ بهبته روض المجد والجود، وأينع به كل مخضر من العود وتمهدت له أكناف المآثر، وأيضا به آفاق المحامد والمفاخر، وثبت به أساس الرّفعة والنّفاسة، وزاد في مواثيق العقل وأنجب، فدعوت الله تعالى أن يجعل طلوعه في أسعد السّعود ومن أصحاب[1] البحوث والجود وطلا يرمي على البلاد، وسيلا يحي على الأنجاد، وأن لا تزال سبل الآمال مغمورة إليه، وحلل المحاسن منشورة عليه، ويجعله الله بارًا تقيا، موفقا مهديا مسدودًا عليًا، ميمونًا رضيا، وأن يتمم شبابه، ولا يريكم مصابه بمنه".[2]**

2. رسائلُ المَودَّة والصَّداقة:

ومن نماذِجها مَا كَتبه أبُو جَعفر الجَنَّان المَكناسِي إلى اِبن الخَطيب مُحرِكًا قَرِيحَته بعد إرسال الأخير رسالة للمكناسي، حيث اِفتتحها شعرًا، ثمَّ نثرًا أشاد في الرِّسالة ببلاغةِ وبراعةِ ابن الخَطيب، ومِمَّا وردَ فيها قوله: "أيُّها السيّد الذي يُتنافس في لقائه ويتغالى ويُصادم بولائه صَرفُ الزَّمان ويُعالى، وتُستنتج نتائجُ الشّرف بمقدّمات عِرفانه وتُقتنصُ شوارد العلوم برواية كلامه فكيف بُمداناةِ عِيانِه، جلوت عليَّ من بناتِ فِكرك عَقائل نَواهد وأقمت بها على مَعارفك الجمّة دَلائل وشَواهد واقتنصت بشوارد بَديهتكَ من المَعالي أوابد شَوارد، وفَجّرت من بلاغتِك وبراعتِك حياضًا عَذبة المَوارد، ثمَّ كلّفتني من إجراء ضَالعي في ميدان إخلاد مهيض الجناح وفررتُ فرار الأعزل عن شاكي السّلاح، وعلمتُ أنّني إنْ أخذتُ نفسي بالمقابلة، وأدليتُ دلو قريحتي للمُساجلة، كنت كمن كلّف الأيام رجوع أمسها

---

[1] إدريس العلوي البلغيثي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، العدد:26 ، ص 25.

[2] نفسه، ص 26.

أو طلب ممّن علته السّماء مُحاولة لمسها، وإن رضيتُ من القريحة بسجيّتها وأظهرتُ القدر الذي كنت اِمتحتُ من ركيتها"[1]

ومِنْ نماذجِها كذلكَ رسالة القَاضي الفَشتالي إلى ابن الخَطيب وهي جواب عن مخاطبه مدح وثناء بعث بها إليه، حيث اِفتتح الرِّسالة بقصيدةٍ يُثني فيها على ابن الخَطيب، ثُمَّ أتْبعها نثرًا، وممّا جاء فيها قوله: "خذها أعزّ الله جنابك، وأدال الأنس على الوحشة اغترابك كنغبة الطّائر المُتحفّز، ونهبه السَّائل المستوفر، ومِقَةَ اللّحظ، قَلِقَةِ اللّفظ، قدْ جَمعتْ من اِلتزامها واِنقحامها بين بطء فنْد، وصُلُود زند، ونوّعت فِعلَى إقدامها وإحجامها إلى قاصرٍ ومتعدٍّ ... والواجب يكفي الاِمتثال فيه بالأقلّ، فبعثُ بها على علاّتها وأبلغتها عذرها في أن كَنَت عن شوقها بُلغاتها، وهي لا تعدمُ من سيدي اغضاء كريم وإرضاء مُليم، والله عز وجل يَصِلُ بالتّأنيس الحبل، ويردُّ الألفة، ويجمع الشّمل، والسّلام الكريم يخصُّ تلك السّيادة ورحمة الله وبركاته".[2]

3. المَديحُ:

ويشملُ الأصدقاءَ من خلال التَّعبير عن المشاعر الصَّادقة التي تجمع بينهم، كمَا يشمل مدح الأمراء والوزراء كمَا كانَ يَفعل في الشعر[3] ومن أمثلة ذلك ما كَتبه الخزرجي الشَّهير بالدّباغ إلى أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر، وكان طلب منه شيئًا من شعره الذي اِمتدح به ابن عمّه فبعث به إليه وأجابه نثرًا مدح فيه ابن الأحمر وأقربائه بنو نصر ملوك غرناطة، من ذلك قوله: "مُلك قطعت دابر الشّرك تدابيره الصّائبة، وذبت عن الملّة الحنفية ذُباباته القاضية، ألبسته بنو نصر آل الأحمر حُمر المطاف. وأمدته بسوابيغ الخيرات من

---

[1] عبد الله كنّون، النّبوغ المغربي في الأدب، ج3، ص 465-466.

[2] عبد الله كنّون، النّبوغ المغربي في الأدب، ج3، ص 467-468.

[3] ينظر:القبسي،أدب الرّسائل في الأندلسفي القرن الخامس الهجري،دار البشيرعمان، الأردن،ط1987،1 ص 279-280.

تالدٍ وطارف ... ومن هذا البيت الكريم بيت أسْلافه، فلا يتعدى بالمدح لخلافه، ولا يعدل به عن أوصافهِ".[1]

رَابعًا: الرّسائلُ الدِّينيّة الوعظيّةُ

مِنَ الرَّسائل الدّينيَّة المرينية القليلة التي عَثرنا عليها رسالة أحد فقهاء مَراكش إلى المُورسكيين* بتاريخ 910هـ/1504م، وهي رسالة تُدمِع العَين، ويَحزَن لها القلب بعد الأوضاع المَأساوية التي حَلَّت بِمُسلمي الأندلس المُتمسِّكين بدينهم وشعائرهم، وكان مِمَّن خَاطبَهم وقدَّم لها نصائح تتعلق بتمكينهم من مُمارسة شعائر دينهم الفقيه المَراكشِي أحمد بوجمعة المغراوي، ومن النَّصائح الفقهية المقدّمة إليهم قوله: "... فالصّلاة ولو بالإيماء والزّكاة ولو كأنَّها هدية لفقيركم أو رياء، لأنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صُورِكم ولكنْ إلى قُلوبِكم والغسلُ من الجَنابَة ولوْ عَومًا في البحور، وإنْ منعتُم فالصَّلاة قضاء باللّيل لحق النَّهار وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتَّيممِ ولوْ مَسْحًا بالأيدي للحيطان، فإنْ لمْ يكن فالمشهور سقوط الصَّلاة وقضاؤُها لعدم الماء والصَّعيد إلاّ أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر أو حجر، أو شجر مما يتيمم به ... وإن أجبروكم على شربِ خمرٍ فاِشربوه لا بنيةِ اِستعمالهِ، وإنْ كَلفوا عليكم خِنزيرا فكلوه نَاكرين إيّاه بقلوبكم ومُعتقدين تَحريمه، وكذا إنْ أكرهوكم على مُحرّم، وإنْ زوجوكم بناتهم فجائز لكونِهم أهلِكتابٍ، وإنْ

---

[1] إسماعيل بن الأحمر، نثير الجمان شعر من نظمني وإيّاه الزمان، تح: محمد رضوان الدّاية، مؤسسة الرّسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987، ص 397-398.

*الموريسكيون هم مُسلمو الأندلس، يبدأ تاريخهم بسقوط غرناطة 1492م آخر معاقل المسلمين الإسبان الأندلسيين بعد توقيع معاهدة اِستسلام مع الملكين الكاثولكيين فرنادو الرابع ملك أراغون وإيزابيلا الثانية ملكة قشتالة، وقد تضمّنت المعاهدة بنودًا تكفل للمسلمين حقوقهم كحرية العمل في أراضيهم، والمحافظة على شعائر دينهم ومساجدهم، والسماح لهم بالهجرة إلى العدوة المغربية لمن أراد الهجرة، لكن سرعان ما تمّ خيانة ونقض ما اِتّفق عليه في المعاهدة،فنكّل بهم وعذّبوا وتعرّضوا لأقصى أنواع الظلم والقهر ممّا اِضطرّ الكثير منهم للفرار إلى حواضر المغرب الإسلامي، وبعضهم تمسّك بأرضه وممتلكاته فقوبلوا بقسوة واِضطهاد دمويين يدلّ على حقد ووحشية النصارى اِتجاه المسلمين، ينظر: جمال عبد الكريم الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، ص 11 إلى 16.

أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم فاِعتقدوا تَحريمه لولا الإكراه، وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فاِفعلوا مُنكرين بقلوبكم".[1]

كمَا قَدَّم الفقيه المَراكشي نَصائح تَتعلّق بالجانب العَقدي من ذلكَ قَوله: "وإن قالوا اِشتمُوا مُحمدًا فإنَّهم يقولون له ممد فاِشتمُوا مُمَدًّا تأويل لأنَّه الشَّيطان، وإن قالُوا عِيسى ابن الله فقولوها إن أكرهوكم، وأنووا إسقاط مضاف أي عبد اللاه مريم معبود بحق. وإن قالوا قولوا المسيح ابن الله فقولوها إكراها ... وإن قالوا مريم زوجة له فانووا بالضمير ابن عمّها الذي يتزوجها في بني إسرائيل ثُمَّ فارقها قبل البناء".[2]

بعد تتبع هذه الرّسائل في الإمارات المغربيّة "الحفصيّة، الزّيانية، المرينيّة"وجدناه تتنوّع بين ديوانية وإخوانية ودينيّة وعامّة، غير أنَّ حضورها–الرّسائل– كان مُتباينا بين الأقطار المذكورة.

فالرّسائل المرينيّة كانت أكثر وفرة وتنوّعًا مُقارنة بما هوموجود في الإمارتين الحفصيّة أو الزّيانيّة، وهذا راجع إلى أسباب عديدة، منها قوة بني مرين الذين تمكنوا في فترة من الفترات التّاريخيّة بسط نفوذهم على بلاد المغرب الإسلامي، هذه المكانة المرموقة التي شهدتها الإمارة كانت تستدعي توسيع وتمتين علاقاتها ماجعل سلاطينها يرسلون عدّة رسائل إلى المشرق العربي، أو العدوة الأندلسيّةأو حتى بلاد السّودان الغربي، وهذا مايفسّر كثرة الرّسائل الدّيوانيّة.

ومن أسباب وفرتها أيضا احتضان الإمارة العديد كن الكتّاب البارعين كابن سبعين المُرسي الأندلسي، وابن الخطيب، وعبد الرّحمان بن خلدون، كما ساهمت الخزائن بقسط كبير في حفظ هذه الرّسائل.

---

[1] محمّد ماهر حمادة، والوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (64–897هـ–683–1492م)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 569–570.

[2] محمّد ماهر حمادة، والوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية، ص 570.

وبالعودة إلى الإمارتين الحفصيّة والزّيانيّة نجد العامل التّاريخي أبرز العوامل التي ساهمت في ضياع جانب كبير منها وخاصّة الإمارة الزّيانية التي شهدت حُروبا طاحنة مع بني مرين والإسبان واضطرابات داخليّة كثيرة سبقت سقوطها على يد الأتراك لتأتي بعدها الفترة الاستعماريّة الفرنسية ويتمّ تخريب ونهب أغلب مابقي من الموروث الزّياني المُشرِق والرّسائل واحدة منه .

الفصل الثّالث

السّمات الجمالية في رَسائل الإمارات المغربيّة

فنُ التَّرسل من الفنونِ الأدبيَّة التي لاقَت رَواجًا كبيرًا في المغرب الإسلامي بدايةً من عصرِ الإمارات –الأغالبة، الرّستميون، الأدارسة– وانتهاءً بعصرِ الإماراتِ الحَفصية،الزّيانيّة، المَرينية–ففي كلِّ فترة تظهر سِّمات جَديدة لهذا الفنِّ الأدبي النَّثري تُميّزه عن الفترة التي سَبقته، وبمَا أنَّ الإمارات المَغربيّة الثَّلاث (الحَفصية، الزّيانيّة المَرينيّة) هي وَرِيثة مَا خَلَّفهُ المُوحدون مِن تراثٍ أدبيٍّ وفكريٍّ، كانَ لابُدّ من التَّعمقِ في رسائلِ هذه الإمارات لاكتشافِ خَصائِصها البَلاغيَّة وسِماتها الجَمالية، وإبراز جوانب التَّشابه والاختلاف بينهما خاصَّة مَا تعلّق بطريقة بنائِها وهيكلتِها.

1. البدءُ في الرَّسائل والعرض والختام:

اتَّخذَت رَسائل الإماراتِ المَغربيّة الثّلاث في بنائِها شكلاً لا يَختلف كَثيرًا عن الرسائلِ المُوحدية، فإن كانت دِيوانية غالبًا ما تُفتتح بلفظ من فلانٍ إلى فلانٍ مع الدُّعاء للمكتوب إليه، على أنْ يكونَ التَّخلص إلى الغرضِ المَقصُود بأمّا بَعد، ويُؤتى عليه إلى آخره ويختتم بالسَّلام.[1]

وهذا مانجده في الرِّسالة الحَفصيَّة المُرسلة إلى السُّلطان بَرقُوق، حيث ابتدِئت بقوله: "من عبد الله المتوكل على الله ... وشمس الهداية النّيرة الغروب والشّروق أبي سَعيد بَرقُوق وصل الله له رتبة رَاقية يتبوأ مَحلَّها، ونعمة باقية يتفيأ ظلّها وعزّة واقية تسم وجوه أعدائه خسفا وذُلّها، بمنّه وكرمه".[2]

كذلكَ ابتدِأت رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المَماليك سَيف الدِّين قلاوون بهذه الصّورة، فيقول في افتتاحِها: "من عبد الله علي أمير المسلمين، وناصر الدِّين المجاهد في سبيل ربّ العالمين ملك البرّين، ومَالك العُدوتين، أبي الحسن ... وليّ أمير المُؤمنين أبي المعالي محمدبن السُّلطان سيف الدّين قلاوون، أدام الله فضل عزمه

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 31.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 80.

الماضي بتأييده، وأدار الأفلاك بتشييد ملكه الشَّامخ وتمهيده، وطهّر أرجاءه من أرجاس المُنافقين، وأدناس المَارقين"[3] كمَا أنَّ بَعضها ابتدأ بلفظة حَضرة كرسالةِ عبد الرَّحمان بن أبي مُوسى يغمُراسنإلى السّلطان الملك النّاصر محمد بن قلاوون "إلى الحضرة العالية السّامية ..."[4] وهذا ما افتتحت به بعض رسائل العهد الموحدي، كرسالة أبي الحسن القلي.[5]

أمَّا الرَّسائل الصَّادرة إلى المَمالِك النَّصرانية فهي مُتنوعة البدايات، وهي الميزة ذاتها للرَّسائل المُوحدية مع المماليك النَّصرانية التي غالبًا ما تُفتتح بصيغةِ "من فلان، أو إلى فلان من فلان"[6] ومن نماذجِ النَّوع الأول رسالة عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يغمُراسن "من عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يغمُراسن بن زيَّان ... إلى الملك المُعظّم السُّلطان الأعز الأنجد الأشهر الأضخم الأفخم الأرضى الكامل في أهل ملّته العادل الأمضى في مملكته ملك أراغُون وبَلنسة وسَردانية ومُرسية وقنط بَرشلُونة جَاقْمَه".[7]

ومن ذلك رسالة السُّلطان المريني علي بن سَعيد بن أبي يُوسف إلى بِتُرو الرّابع ملك مَيُورقة، حيث بدأت بقوله: "من عبد الله علي أمير المسلمين ... إلى السّلطان المكرّم الأسنى أنْير سُلطان أراغُون وبَلنسة ومَيُروقة وسَردانية وقنط بَرشلُونة والرّسليون وسَردانية"[8].

---

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 87-88.

[4] نفسه، ص 85.

[5] ينظر أحمد عزاوي، رسائل الموحدية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، ط1، 1995، ج1، ص 200.

[6] نفسه، ص 37.

[7] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 73.

[8] نفسه، ص 104-105.

ومن نماذجِ النَّوع الثَّاني ما أرسَله الوزير هلال بن عبد الله باسم السّلطان الزّياني إلى جَاقمُو الثّاني ملك أراغون، افتتحها بقوله: "السُّلطان الأجلّ الأعز الأكرم الأفضل الأحبُّ الأخلص الأكمل دون جاقمه ... خلّد الله مُلكه هلال بن عبد الله"[1].

أمّا الرَّسائل الإخوانية فاتّخذت في استهلالِها شَكلاً مُخالفًا للرَّسائل الدّيوانية لبُعدها عن الرَّسمية وأحكام إنشائِها، والمُتتبع لها يلحظُ تَنوعًا في صِيغ ابتدائِها، غير أنَّ الصِّيغة الغالبة فيها الاستهلال بالشعر، فكانُوا يفتتحونها بقطعةٍ شعريةٍ، أو قصيدة غالبا ما تكون من إنشائِهم فأجادُوا في ذلكَ وبرعُوا لإدراكهم أنَّ أوَّل ما يَطرُق سمع قارئ الرِّسالة ابتداؤها، ومن ذلك ما وردَ في رسالةِ الغَساني إلى الفقيه أبي القاسم بن يَامن المُفتتحة بقطعة شعرية من إنشائِه:

أدامَ الله وُدكُـــــــم وأبقـــــــى إخَـــاءكم علـــى مـــرِّ الزَّمـــان

فَقَـدْ وَصـل الـثلاث وهُـنَّ سـتُ ولـــو ربعـــت لجـــاءَت بالثّمـــان

ولـمْ تَـكُ قسـمةٌ ضِـيزى وأجـرت لِسـاني وهُـو أمْضـى مـن أسـناني

فـــإنْ ضَـــيَّعته لبنَـــا بصـــيفٍ فمَـــا بَينِـــي وبينـــكَ مـــن لبـــانِ[2]

من ذلكَ رسالة أبي جَعفر الجَنَّان المَكناسِي إلى ابن الخَطيب المُفتتحة بقطعة شعرية من إنشائِه:

يَـــا خاطـــبَ الآداب مَهْـــلا فَقَـــد ردَّك عَـن خِطبتهـا ابـنُ الخَطيـب

هـلْ غيـرُه فـي الأرضِ كـفءٌ لهَـا وشَـرطُها الكُفـاةَ قـولٌ مُصـيب

---

[1] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 65.

[2] ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التّاريخ المحلى، ص 12.

أصـــبحَ للشَّـــرط بهـــا مُعْرِسًـــا فاسْتَفت فيالفَسْخِ فَهل من مُجي[1]

ومن الرَّسائل الإخوانية المبدوءة بقصيدة، رسالة ابن مَرزُوق التلمساني إلى ابن الخَطيب مُرحبًا بقدومه إلى مدينة فاس، من أبياتِها قوله:

راحَـــت تَـــذكرُني كـــؤوسَ الـــرّاحِ والقـربُ يخفـضُ للجنـوحِ جَنـاحِي

وسـرَت تَـدلُّ علـى القبـولِ كأنَّمـا دَلَّ النَّسـيمُ علـى انـبلاجِ صَـباحِ

حَسناءُ قدْ غَنِيَت بِحسنِ صِفَاتِهَا عَـــنْ دُمْلُـــجٍ وقـــلادةٍ ووِشَـــاحِ

أمْسَـتْ تَحـضُّ علـى اللّيـاذ بمَـن بســعودِهِ الأقــلامُ فــي الألْــواحِ[2]

ومن ذلكَ رسالة القاضي عبد الله إلى ابن الخَطيب مُفتتحة أيضًا بقصيدة من إنشائِه وممَّا جاءَ فيها قَولـه:

وافَـتْ يَجُـرُّ الزّهـوْ فَضْـلَةَ بُردِهـا حَسناءُ قدْ أضحت نَسيجةَ وَحدِها

للهِ أيُّ قصـــيدة أهـــديتَ لَـــوْ يُهدى المعارضُ نَحو غاية قَصدِها

لابـنِ الخَطيـب بِهـا مَحاسِـنُ جَمـة يَلقَـى الخَطيـب فَهاهـةً فِـي عـدِّها

سِـرّ البلاغَـة مِنـه أودع حَافظًـا قَدْ صَانَه حَتى فَشَا من عندها[3]

المَتن: يمثّلُ متن الرِّسالة أهمَّ قسمٍ فيها لاشتمالِه على الغَرض الرَّئيس للكاتب وما يريد إيصاله إلى المُتلقي، لذا يَنبغي عليه الاعتناء به حتى تَظهر بَراعته ومَهارته في الكتابة وينتهجُ لنفسهِ أسلوبًا يتميّزُ به عن غَيرِه.

---

[1] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص 465.

[2] المقري، نفح الطيب، ج6، ص 65.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 467.

وَكُتَّاب الرَّسائل الدّيوانية في الإمارات الثّلاث نَجدهم يَتخلصُون من المقدمات إلى المتون بوجهين: الأوَّل عبارة "كتبنا، الكتاب إليكم وأما بعد" ومن أمثلة ذلك الرِّسالة الحفصيّة المُوجهة إلى سُلطان المَماليك بمصر "فإنَّ كتبنا لسلطانكم كتبَ الله لكم من إسعاده ما يتكفل بعزه ونصره، ويتضمن إطالة زمنه المبارك وعصره، ويقوم بحفظ قطره الشَّريف ومصره من حَضرتنا العلية تونس"[1].

ومِنْ ذلكَ الرِّسالة الزّيانيَّة إلى سُلطان المَماليك "وإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم أنجح المقاصد وأرجحها وأثبتها عزّا وأوضحها من حصن تلمسان حرسها الله"[2].

ومِنْ ذلكَ أيضًا الرِّسالة المرينيَّة إلى سُلطان المَمالِيك "فإنا كتبنا لكم ... من منصورة تلمسان حرسها الله"[3].

أمّا الوجهُ الثّاني للتَّخلصِ من المقدمات إلى الغرضِ المَقصُود فهو رَدُّ الجواب ويكون بعباراتٍ مثل: وصلَ، من أمثلةِ ذلكَ رسالة عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يغمُراسن بن زيّان إلى جاقمو الثّاني، يقول فيها: "وقد وصَلَ كتابكم مع إرسالكم. ووقفنا على مقاصدِكم ..."[4].

أمَّا الرَّسائل الإخوانية فتعدَّدت صيغ الوُلوج إلى غرضِها المقصُود، منها "وصلني كتابكم" من أمثلة ذلك رسالة الحَضرمي مُهنئا أحدهم بالزَّواج "وصلني يا أخي كتابكم الكريم تذكرون أنَّكم عزمتم تزويج فلانةٍ من فلانٍ".[5]

الخَاتِمــة: هي آخرُ شيءٍ يَطَّلِعُ عليه المُتلقي، لذا ينبغي على الكاتبِ الاعتناءُ بها كمَا يعتني بصدور الرَّسائل ومُتونها حتى تَتْرُك أثرًا قويًّا في قارئِها ولا يتَطلّع أفقه لما بعدَها

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 81.

[2] نفسه، ص 86.

[3] نفسه، ص 89.

[4] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 89.

[5] إدريس البلغيثي، مجموع بعض رسائل أبي عبد الله الحضرمي، سلسلة دفاتر التّراث الأدبي المغربي، العدد: 26، ص 24-25.

لهذا استحسنَ القَلقشندي أنْ تكون خَواتيم الرَّسائل سَهلة اللّفظِ، حَسنة السَّبك، واضحة المَعنى معَ تَجنُّبِ الحَشو[1] وبالعودةِ إلى رسائل الإماراتِ المغربيّة نجدُ الرَّسائل الدّيوانية مُتنوعة الاختتام، فبعضُها يُختتم بذكرِ التَّاريخِ من ذلك مَا وردَ في رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المَماليك بمصر "وكتب في يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة"[2] وبعضُها يُختتم بالسَّلام، من ذلكَ رسالة الخَليفة الحَفصي أحمد بن أبي عبد الله إلى سُلطان المَماليك "والسَّلام العطر المحيا الجميل المحيّا عائد عليكم ورحمة الله وبركاته"[3].

وبعضُها يُختَتم بالدُّعاءِ من ذلك رسالة أبي عَنان بعد فَتح مَدينة قَسنطينة "والآن والحمد لله تخلّصت من أحكامها تَخلص البدر من السرار وأذلّت بعونِ اللهِ رقابَ المُفسدين"[4]، ومِمَّا يَنبغي الإشارةُ إليه في هذا النَّوع من الرَّسائل كتابة العَلامة السّلطانية في نهايتها وهي ميزة تَنفردُ بها عن أنواعِ الرَّسائلِ الأخُرى باعتبارِ العَلامة شعارُ الدّولةِ وصِيغتها التي تدرج بها الأوامر السّلطانية وهذه العَلامة تَختلُف من خَليفةٍ إلى خليفة ومن إمارة لأخرى فيتخذها بعض المُلوك والأمراء مُشتقة من ألقابهم كأمير المُسلمين الغالب بالله بن يُوسف الأحمر الذي تلقّب بالغالب بالله فكتبَ عَلامته "ولا غالب إلاّ بالله" والسُّلطان الواثق بالله يحي ابن السّلطان إسحاق ابن السّلطان مُحمد بن علي ابن غانية اللّمتُوني المَيُورقي النّازل بإفريقية تَلقَّبَ بالواثق بالله فكتبَ عَلامته "وثقت بالله"، وكذلك السُّلطان مُحمد بن هُود الجذامي ملك الأندلس تلقّب بالمتوكل باللهِ فكتبَ عَلامته "توكلتُ على الله" وهناكَ من يكتب عَلامته بخلافِ اشتقاق لقبهِ كالسُّلطان يُوسف بن تَاشفِين

---

[1] ينظر القلقشندي: صبح الأعشى، ج6، ص 312.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 103.

[3] نفسه، ص 84.

[4] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 319.

اللّمتوني ملك المغرب كانت عَلامته "صحَّ ذلك بحولِ اللهِ" كمَا كانَت عَلامة المُوحدين "والحمد لله وحده" وذلك في أوّل صُكوكِهم بعدَ البَسملة.[1]

والعَلامة السُّلطانية في الإمارات المغربيَّة، تَختلف، فبنُو حَفصٍ اتّخذُوا عِبارة "الحمدُ لله والشُّكرُ للهِ" علامةً سُلطانية لهم[2]، والزِّيانيون كانَت علامتهم "صحَّ في التاريخ"[3] والمرينيون اتخذوا صِيغة "وكتب في التاريخ المؤرخ به" علامة لهم.[4]

أمّا الرَّسائل الإخوانية فتعدَّدت أيضًا صِيغُ خوَاتيمِها، فَبعضُها كانَ يُختَم بالحمدِ أو الدُّعاءِ، أو السَّلامِ الذي يعدُّ أبرز الصِّيغ في خواتيم هذا النَّوع من الرَّسائلِ من ذلك رسالة عبد الله الحَضرمي مُهنِئا والٍ بمناسبة تعيينهِ، حيث جاءَ في نِهايَتها "فأكثرُوا من الشِّكر لله تعالى في كل نادٍ والسَّلام عليكم معاد"[5].

ومن ذلك رسالة ابن هَانئ السَّبتى إلى أبي قَاسم الشَّريف، حيث قالَ في نِهايَتها: "ووسمت نفسك بتلميذه فسمت نفسه بأنَّه أستاذك ابن هانئ ورحمة الله تعالى وبركاته"[6].

ومنْ أوجهِ الاختتام في هذه الرَّسائل الختام بالحمدِ، من ذلكَ ما وردَ في رسالةِ ابن مَرزُوق التلمساني إلى ابن الخَطيب، حيث قالَ في نِهايتها: "فالحمد لله الذي يسَّر في إيصاله على أفضلِ أحوالهِ"[7].

وبعضُها كانَ يُختَتم بالدُّعاء، من ذلكَ رسالة الحَضرمي مُهنئًا أحدهم بولدٍ، فيقول في نِهايتها: "ويجعله اللهُ بَارًا تَقيًّا، مُوفقًا مَهديًا، مَسدودًا عليًا، مَيمونًا رضيًا، وأن يتمم

---

[1] ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح: محمد بن تاويت، المغرب، 1964، ص 21-22.

[2] ينظر ابن الأحمر مستودع العلامة، ص 10.

[3] ينظر نفسه، ص 24.

[4] نفسه، ص 21.

[5] إدريس البلغيثي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، ع: 26، ص 21-22.

[6] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 465.

[7] المقري، نفح الطّيب، ج6، ص 65.

شبابه، ولا يُريكم مصابه بمنِّه"[1] ومن ذلكَ أيضًا رسالته التي يُهنئ فيها أحدهم بحلول العيد، حيث يقول في نهايتها: "وطَهَّر قلبكم من الذُّنوب، وأزالَ عنكم الخَطايا والحُوب وبلغك يا أخي أمَلكَ، وزكّى قَولكَ وعَملك، وتقبَّلَ القربان، وبذلك في عليين الدَّرجة والمكان وأبقاكَ في سعدٍ وسرورٍ، ورزقٍ موفُورٍ بمنّهِ"[2].

2. الاقتباس:

حرصَ كُتَّاب الإماراتِ المغربيّةِ الثّلاث على الاقتباسِ من القُرآن الكريم والحَديث النَّبوي الشَّريف باعتبارهما نَموذجًا يُحتذى في الفَصاحةِ والبيانِ، وأداة للتّأثير والإقناعِ.

والانتهالُ من القُرآنِ الكريمِ جعلَهُ شِهاب الدِّين الحَلبي أوّل ما يبتدأ به صاحب هذه الصِّناعة، وفي هذا يقول: " فأوَّل ما يبدأ به من ذلك حفظُ كِتابِ اللهِ تعالَى ومُداومة قراءتهِ، ومُلازمة درسهِ، وتدبُّر مَعانيهِ، حتى لا يزال مُصوّرًا في فكره، دَائرًا على لسانهِ مُمثلاً في قلبهِ، ذَاكرًا لهُ في كلِّ ما يرِدُ عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها"[3]، وابن الأثير عَدَّ ذلك أيضًا شَرطا من شُروط هذه الصّناعة، وفي هذا يقول: "فإنَّ صَاحبَ هذه الصِّناعةِ يَنبغي لهُ أنْ يكونَ عَارفًا بذلك، لأنَّ فيه فوائد كثيرة، منها أنَّه يُضَمِّن كلامه بالآياتِ في أماكنِها الائقةِ بها ومَواضِعها المُناسبة لها"[4].

والمتتبِّع للرَّسائل المغربيّة في الإمارات الثّلاث على اختلاف أنواعها يتبيّن لهُ أنَّ ظاهرةَ الاقتباس أخذَت أوجُهًا مُختلفة، منها تَضمين الآية بنصِّها الكامل، أو جزء منها مع الإشارة إليها، من ذلك ما وردَ في رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المَماليك مُتحدِّثًا

---

[1] إدريس البلغيثي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، ع: 26، ص 26.

[2] نفسه، ص 21.

[3] شهاب الدّين الحلبي، حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل، المطبعة الوهبية، مصر، 1881، ص 2.

[4] ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار النّهضة مصر للطّباعة والنّشر، ط2، 1973، ج1 ص 60-61.

عن عصيان أمير تلمسان " فخاطبنا إذ ذاكَ هذا الخائن العاقَّ مُبصِّرين، وبقوله تعالى: {وإنْ طَائفتان من المُؤمنين اقتتلوا فأصلِحُوا بينهُما}[1] "[2]

ويُواصلُ حديثه عنهُ، فيقول: "فما زَادته المَوعِظة إلا أشرا، ولا أفادته التذكرة إلاّ بطرا، وحين ذكّرَ فلم تنفعه الذِّكرى، وفكِّر فلم يتيسَّر لليُسرى، امتثلنا فيه أمر الله تعالى المرتب على قوله: {فإنْ بَغتْ إحدَاهُما عَلى الأخرى}[3] "[4]

ومن ذلكَ مَا وردَ في رسالةِ البيعة الزّيانيّة للسّلطانِ الحَفصي أبُو فَارس سنة 682هـ "... وأثبت للخلافة مكانة مُنيفة حين قالَ: {إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفة}[5]"[6]

ومن أمثلتهِ في رَسائلِ الموضُوعات العَامَّة ما كتبهُ أبُو المطرف بن عَميرة إلى المُنتصر الحَفصي بمناسبة وُصول المَاء إلى تُونس: "والحمد لله الذي أحيا بها البلد الميت، وأرانا مِصدَاق قوله: {ومَا رَميتَ إذْ رَميْتَ}[7] "[8]

أمَّا الوجهُ الثّاني فيتمثّل في تَضمينِ الآية أو جزءٍ منها دونَ الإشارة إليها، وهذا الغالب في رَسائل الإماراتِ المغربيّة، ومن ذلكَ مَا وردَ في خطبة رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المَمالِيك " فأحسب الله به النّبوّة تتميما والرّسالة تكميلًا، المخصوص بالحوض المورود، والمقام المحمود، يوم يقول الظالم {يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا}[9] "[10] ومِن ذلكَ ما وردَ في رسالة ابن حاج النميري عن أبي عَنان مُتحدّثا عن عَفوه

---

[1] سورة الحجرات، الآية 9.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 92.

[3] سورة الحجرات، الآية 9.

[4] نفسه، ص 92.

[5] سورة البقرة، الآية 30.

[6] إدريس البلغيثي، مجاميع فن الترسيل، ص 232.

[7] سورة الأنفال، الآية 17.

[8] أبو القاسم الشّريف السبتي، رفع الحجب المستورة، ج4، ص 450.

[9] سورة الفرقان الآية 28.

[10] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 100.

عن أهل قسنطينة "وعلمنا أنَّ أكرمَ النَّاسِ من يعفُو إذا قدر، وعاملناهم بالصَّفحِ القائم بالقسطاس، واغتنمنا أجرَ {الكاظمينَ الغيظ والعَافينَ عَنِ النَّاسِ}[1] "[2] ويُواصِلُ حديثه بعد طاعة أبي العباس ومن كانَ معهُ من الخدَّام والأجنادِ " فأبقينا أرماقهم. وعلمنا أنَّ {الحَسناتِ يُذهبْنَ السَّيئاتِ}[3] "[4] فأوليناهم الخَير الذي يُطابق ائتلافهم على الطَّاعة واتفاقهم {وكَفَى الله المُؤمنينَ القِتَال}[5] "[6] ومن أمثلتهِ في الرَّسائل الدّينيّة ما وردَ في رسالة المَغيلي إلى سُلطان كَانُو فيما يخص جَبي الأموال من وجوهِ الحلال "يجب على كل أمير أنْ لا يجبي الأموال إلاَّ من حيث أباحَ الله له {ومنْ يتعدَّ حُدودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفسه لا تَدري لَعلَّ الله يحدثُ بَعْد ذَلكَ أمرا}[7] "[8].

ومِنْ ذلكَ مَا وردَ في قوله عَن مَصارف أموال الله "يجبُ على كلّ من بيده شيء من مال الله ألا يصرفه إلاّ في المَصارف التي شَرعَ الله {ومنْ لَمْ يَحكم بِمَا أنزلَ الله فأولئكَ هُمُ الظالمون}[9] {وسَيعلمُ الذينَ ظلمُوا أيّ مُنقلبٍ يَنقلبون}[10] "[11] ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة المَغيلي إلى سُلطان أهير نَاصِحًا إيَّاه "فعليك بتقوى الله والتَّوكل على الله فإنَّه {مَنْ يتّقِ اللهَ يجعل لهُ مَخرجًا ويَرْزقه مِن حَيث لا يَحتسِب}[12] "[13]

---

[1] سورة آل عمران، الآية 134.

[2] ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 318.

[3] سورة هود، الآية 114.

[4] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 318-319.

[5] سورة الأحزاب، الآية 25.

[6] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 318-319.

[7] سورة الطلاق، الآية 1.

[8] المغيلي، تاج الدين، ص 48.

[9] سورة المائدة، الآية 45.

[10] سورة الشعراء، الآية 227.

[11] المغيلي، تاج الدين، ص 54.

[12] سورة الطلاق، الآية 2-3.

[13] عبد الرّحمان الكتبي، مع المغيلي حقائق ووثائق، ص 151.

ومن أمثلتهِ في رسائل الموضُوعات العامّة ما ورد في صَدر رسالة ابن الآبار بمناسبة وُصول الماء إلى حَاضرة تُونس "الحمد لله حمدًا لا تقلّله. هذا الزمان الذي كنّا نؤمّله {بلدة طيبة وربٌّ غفور}[1] "[2]

أما الوجهُ الثّالث فيتمثّل في حلِّ الآيات مع المُحافظة على شيءٍ من ألفاظِها، وهذا يحتاجُ إلى إتقان حفظ القرآن أيضًا، وفي هذا يقول ابن الأثير: "فينبغي للمنتصب لفنّ الكتابة أن يتقنَ حفظ القرآنِ الكريمِ، وإذا حَصلت له الملكة التَّامة في حلِّ الآيات التي يُحتاج إليها في الخطب والمكاتبات، فحينئذٍ تَتفتّح لديهِ أبواب، وتوصله أسباب إلى أسباب ويأتيه خاطره بما لم يكن له في الحسبانِ"[3] ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة السّلطان الحَفصي أحمد بن أبي عبد الله إلى الملك الظاهر برقوق مُتحدّثا عن غزو أسطولهم الجزيرة الخَضراء، وتَمكنهم من عدّوهم " لم نزل نبيحُ لأساطيلنا المنصورة حرمه وحماه، ونطرق طروق الغارة الشعواء بلاده وقراه، ونكتسح بأيدي الاستلاب ما جمعت بها يداه، إلى أن ذاقوا من ذلك وبال أمرهم ..."[4].

فقَدْ أشارَ إلى الآية الكَريمة {كَمثلِ الذينَ من قَبلهم قريبًا ذَاقُوا وبالَ أمرِهم ولَهُم عَذابٌ أليمٌ}[5]

ومِنْ ذلكَ مَا جاءَ في رسالة عثمان بن أبي العَباس المَريني إلى سُلطان المَمَالِيك "فالحمدُ للهِ على أن كفَى المُؤمنين القتال، وأذهبَ عنهم الأوجال"[6] فقد أشارَ إلى

---

[1] سورة سبأ، الآية 15.

[2] المقي، أزهار الرياض، ج3، 211.

[3] ابن الأثير، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تح: يحي عبد العظيم، سلسلة الذخائر، العدد 121، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2004، ص 340.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 83.

[5] سورة الحشر، الآية 15.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 106.

الآيةِالكريمة {وكَفىَ الله المُؤمنينَ القِتَال}[1] ومن ذلكَ مَا وردَ في رسالة ابن حاج النميري متحدّثًا عن تقديم أبي زيّان بن درار لفتح قسنطينة "... أن قدمنا بين يدي حركتنا السّعيدة وزيرنا الحظي لدينا أبا زيّان بن ودرار أنجده الله تعالى فنهض إليها في عساكر تصّب على الأعداء سوط عذاب"[2]فقد أشار إلى الآية الكريمة {فصَبَّ عَليهم رَبُّكَ سَوْطَ عَذاب}[3]

ومِنْ أمثلتهِ في رَسائل المَوضُوعات العامّة مَا وردَ في رسالة ابن الآبار مَادِحًا المُستنصر الحَفصي "... وأودعت أنوارها، وكلّفت أو كَفَلَت إنشاءها وإظهارها، ويمينا أن يمين الحق به طولى، وللآخرة خير لها من الأولى"[4] فقد أشار إلى الآية الكريمة {وللآخرةُ خيرٌ لكَ مِنَ الأولَى}[5]

ومِنَ ذلكَ ما وردَ في رسالة أبو المطرف بن عَميرة واصفًا مَدينة قَابس "وهذه البلدة في ظلال من شرح الشَّباب، وظلال من ثمرات النَّخيل والأعناب"[6] فقد أشار إلى الآية الكريمة {ومِنْ ثَمراتِ النَّخيلِ والأعنابِ تَتَّخذُون منه سَكرًا ورزقًا حَسنا}[7].

والأحاديثُ النّبويّة الشَّريفة انتهلَ منها كُتَّاب الإماراتِ المغربيّة كمَا انتهلُوا من المَصدرِ الأوَّل للتّشريع الإسلامي لكن بدرجة أقل، وكمَا اشترطُوا على الكَاتب حفظ القرآن الكريمِ اشْترَطُوا عليهِ حِفظ أحاديث النَّبي صلّى الله عليه وسلّم، وفي هذا يقول الصَّيرفي: "ويكون حافظًا لأخبارِ الرَّسول والأئمةِ من ذريتهِ صلّى الله عليهم أجمعين قيّمًا بها أو بأكثرها راويًا لأخبار المُلوك وأيامِ العربِ ووقائعِهم"[8]

---

[1] سورة الأحزاب، الآية 25.

[2] ابن حاج، فيض العباب، ص 317.

[3] سورة الفجر، الآية 13.

[4] المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 212.

[5] سورة الضحى، الآية 4.

[6] التجاني، رحلة التّجاني، ص 90.

[7] سورة النحل، الآية 67.

[8] ابن الصّيرفي، قانون ديوان الرّسائل، تح: علي بهجت، مطبعة الواعظ، مصر، ط1، 1905، ص 102.

ومن أمثلة الرَّسائل التي وردَت فيها الأحاديث النَّبوية الشَّريفة رسالة الحَضرمي مُهنئًا أحدهم بالزَّواج "... وبادرُوا مُسرعين إليه، قال سيدُ المرسلين: {من تزوَّج فقد استكملَ نِصفَ الدِّين}[1] "[2] ومن ذلكَ مَا وردَ في رسالة أحد الفُقهاء بمراكش إلى المُورسكيين يَحثُّهم على تَطبيق الدِّين قدر الاستطاعة بسبب اضطهادهم من طَرف الإسبان "وعليكم بالتَّيمم ولو مَسحًا بالأيدي للحيطان، فإنْ لم يكن فالمشهور سقوط الصّلاة وقضاؤها لعدم الماءِ والصَّعيدِ إلاّ أنّ يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب طاهر، أو حجر، أو شجر مِمَّا يتيمم به، فاِقصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح الرّسالة لقوله صلّى الله عليه وسلّم: {فأتوا مِنهُ مَا اِستطعتم}[3] "[4]ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة المَغيلي فيما يجب على الأمير من ترتيب مَمْلكته "... وعُرفاء بالحروبِبرأيهم تَنْكشِف الكُروب، فإنّ {الحربَ خدعة}[5] "[6]

كمَا نجدهُ يضمِّن الحَديث النَّبوي الشَّريف في حديثه عمَّا يجبُ على الأمير من حُسن النّية "الإمارة بَلْوى بينَ الهَوَى والتَّقوى، فَعلى كلِّ ذي عَقل وَأمانَة أنْ يبعدَ عَنها، إلاَّ إذَا لمْ يكن لهُ بدٌّ مِنها. فتوكَّل على الله، واسْتعِن في أمرك كلّه بالله، وليكن عملك كلّه لوجه الله"[7] فقد أشارَ إلى الحديث النَّبوي الشَّريف: {المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المُؤمنِ الضّعيفِ، وفي كلٍّ خَير، احْرِص عَلى مَا يَنفعك، واسْتعِن باللهِ ولا تَعْجَز، وإنْأصابكَ

---

[1] البخاري، صحيح بخاري، تح: مختار أحمد الندوي،ج8، مكتبة الرشد، الرّياض، السّعودية، ط1 ، 2003، ص 34.

[2] إدريس البلغيثي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، ع: 26، ص 25.

[3] البخاري، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ،ج9،ص95.

[4] محمّد ماهر حمادة، الوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمال إفريقيا، ص 569.

[5] مسلم، صحيح مسلم، ج3، دار الحديث، مصر، ط1، 1991، ج3، ص 1361.

[6] المغيلي، تاج الدّين، ص 27-28.

[7] نفسه، ص 17.

شيءٌ فلاَ تَقُل لوْ أنِّي فعلتُ كانَ كذَا وكذَا ولكنْ قُل قَدرُ اللهِ ومَا شاءَ فَعَل، فإنَّ لوْ تَفتح عملَ الشّيطان}[1]

3. الإيجازُ والإطناب:

رَسائلُ الإماراتِ المَغربيّة التي بينَ أيدينا ليسَت على مُستوى واحد من حيث الإيجاز والإطناب فهي تَطول وتَقْصر حَسب نَوعها وغَرضها والظرف الذي كُتبت فيه.

والمُتتبع للرّسائلِ التي أرسلَها سَلاطين تُونس وتِلمسان وفَاس إلى حُكام المَماليك يُلاحظُ أنَّ سِمتها البَارزة الإطناب، وهذا عكس ما يذهب إليه الكلاعي الذي يعتبرُ الإيجاز مِيزةً للمكاتبات المُوجّهة إلى السَّلاطين والأمراء "وأمَّا الإيجاز فيخاطب به أهل الرّتب العالية، والهمم السَّامية ... والأصل في ذلك التَّخفيف عَن أهْلِ المَمالك، لأنَّ قَراءة الكُتب وسماعها كُلفة. والوَاجب تَخفيف الكلف عن الأكابرِ والمُلوكِ"[2]

والإطنابُ في تلكَ الرَّسائل راجعٌ إلى مقدماتها الطَّويلة، والأوصاف التي يُطلقها الكُتَّاب على السَّلاطين، ومن أمثلةِ ذلكَ مَا وردَ في صدر رسالة أبي الحسن المَريني للملك النَّاصر مُحمَّد بن قلاوون: "إلى السُّلطان الجليل، الكبير، الشّهير، العادل، الفاضل الكامل، الكافل، الملك، النّاصر، المجاهد، المُرابط، المؤيّد، المنصور، الأسعد، الأصعد الأرقى، الأوقى، الأمجد، الأنجد، الأفخم، الأضخم، الأوحد، الأوفى، ناصر الدّين، عاضد كلمة المسلمين، مُحي العدل في العالمين، فاتح الأمصار، حائز ملك الأقطار، مُفيد الأوطار، مُبيد الكفار، هازم جيوش الأرمن والفرنج والكُرج والتّتار، خادم الحَرمين، غيث العُفاه، غوث العُناه، مصرّف الكتائب، مُشرّف المواكب، ناصر الإسلام، ناشر الأعلام، فخر الأنام، ذخر الأيام، قائد الجنود، عاقد البنود، حافظ الثغور، حائط الثغور، حائط الجمهور حامي كلمة الموّحدين، أبي المعالي محمد بن السلطان الجليل، الكبير، الشّهير، الشّهيد

---

[1] مسلم، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج4، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان، ص 2052.

[2] الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص 91.

الخطير، العادل، الفاضل، الكافل، الحافظ، الحافل، المؤيّد، المكرّم، المبجّل، المكبّر الموقّر المعزّر، المجاهد، المرابط، المُثاغر، الأوحد، الأسعد، الأصعد، الأوفى، الأفخم الأضخم المقدّس، المرحوم، الملك المنصور، سيف الدنيا والدّين، قسيم أمير المؤمنين أبقى الله مُلكه موصول الصّولة والاقتدار، محمي الحوزة حاميًا للدّيار، حميد المآثر المأثورة والآثار عزيز الأولياء في كلّ موطن والأنصار"[1]

من أسبابهِ كذلكَ استخدامُ الكُتَّاب لكثيرٍ من المُحسنات البديعية اللّفظية والإطالة فيها، من أمثلتهِ مَا وردَ في رسالة السُّلطان الحَفصي أبو العَباس إلى الظاهر برقوق سُلطان المَماليك: "والصّلاة على والسّلام الأكملين، على سيّدنا ومولانا مُحمّد رسوله الذي صدعت بالحقّ آياته، وقامت بحجّة دعواه معجزاته، ونطقت بأنّه رسول الله على لسان وحيه الصّادق الأمين كلماته، المبعوث بالملّة السَّمحة، ومن أركانها حجُّ بيت الله المقدسة أركانه وحُجراتُه، المعظّمة عند الله حُرماتُه، المغفورة لمن سبقت له الحسنى بحجّة سيئاته وعلى آله وأصحابه الذين قضوا رضي الله منه وهم أولياء دينه الكريم وولاته، وأنصار حزبه المفلح وحُماته، ولُيُوثَ دِفاعه في صدور الأعداء وكُماتُه، والرضا عن الإمام المهدي القائم بهذه الدّعوة الموحدية قيام من خلصت لله نيّاته، وصدقت في ذاته دعواته، وصمّمت لإظهار دينه القويم عزماته، وصلَةِ الدّعاء لهذا المقام الأحمديِّ المتوكُل الفاروقي بنصر تمضي به في صُدور أعدائه شباتُه، وعزّ يطّرِدُ به استقلاله وثباته، وسعدٍ تطيبُ به أيامه المتصلة وأوقاته، وتطولُ به حياته"[2]

أمّا الرَّسائل الإخوانية في الإمارات المغربيّة فقد تنوعت بينَ الإيجاز والإطناب، ومن أمثلة الرَّسائل المُوجزة مَا كَتبَهُ ابن خَطَّاب إلى أحد أصدقائِهِ: "سيدي الذي أحدّث عن فضائلهِ الباهرةِ ومآثر جلاله الزّاهرة، ولا أغفل عن مخاطبته في الدّنيا كنت أو في

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 99-100.

[2] نفسه، ص 81.

الآخرة.... وكنت في الشّهر الفارط قد هجم علي مَرض صفراوي في غاية الحدّة وأخلّ بجسمي. وأيأسني من نفسي، وأشرف بي على الفوت، ثمّ أفلت من أظافير الموت. وسأنشب فيها فلا أستطيع الإفلات. ويصدق من يقول: فلان مات.

والله يجعل صبابة العمر في طاعتهِ، ويكتبني فيمن كَانت التَّقوى رأس بضاعتهِ بمنِّه والسّلام"[1] فابن خطاب ذكرَ في بداية رسالته أنَّ المكانة الرّفيعة التي يَحظى بها صديقه جعلته يُكاتبه مُخبرًا إيّاه بالمرض الذي ألمَّ به، حتى ظنّ من شدّته أنّه نهايته، ذكر كلّ ذلك بطريقة موجزة.

كما أنَّ الإيجار هو السّمة البارزة في الرَّسائل الإخوانية لأبي عبد الله محمد بن الحَضرمي، من أمثلة ذلك التَّهنئة بالجهاد: "وصلني يا أخي رجوعك من الجهاد سالمًا ظافرًا غانمًا إلى الأهل والأولاد، ففاض ذلك على خاطري اِبتهاجا واِرتحابا، وأهوي إلى أملي اِنبساطًا ونفساحًا، وسألت الله تعالى الذي منّ بك على أولياءك، وبودّك وصفائك، أن يتقبّل جهادك، وينيلك بغيتك ومرادك، حتى يسكنك جنات عدن مع المجاهدين، كما وعد في سورة الحواريين• بمنّه"[2]

فالرِّسالة لا تَشتمل على مقدمة، فالكاتب بدأَ بالموضوع المُتمثّل في تهنئة أحد أصدقائه بعد رجوعهِ من الجهادِ دونَ إعطاء تَفاصيل عن الأحداث المُتعلقة به.

ومن الرَّسائل الإخوانية التي اِتّسمت بالإطناب رسالة ابن هانئ السّبتي إلى أبي القاسم الشّريف أجابه فيها على قصيدة همزية أرسلت إليه: "في مراجعة قصيدتك الغراء الجالبة السّراء، الآخذة بمجامع القلوب، المُوفيّة بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع والأسلوب، المتحلية بالحُلى السَّنية، العريقة المنتسب في العُلى الحسنية ..."[3]

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل، ص 240-241.

• سورة آل عمران.

[2] إدريس العلوي البلغيثي، سلسلة ذخائر التّراث الأدبي الغربي، ع: 26، ص 23.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج 3، ص 465.

ذكرَ الكَاتِب وُصول قصيدة أبي القاسم الشَّريف، هذه القصيدة نالت إعجابه فعبّر عن ذلك في رسالته مُستعملاً العديدَ من السَّجعات المُتوالية الواردة بطريقة فنيـّة جميلة أبانَت عن موهبته البلاغية الفذَّة.

أمَّا الإيجاز فكانَ السّمة البارزة في رسائل المُعاهدات التي أبرمها حكام الإمارات المغربيّة الثّلاث مع المماليك النَّصرانية التي كان هدفها الأساس الإقتصار على وضع بنود الصّلح أو تسهيل التّبادل التِّجاري بين الطّرفين، من أمثلتها رسالة السّلطان الزّياني عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يغمُراسن إلى ألفونس الرَّابع ملك أراغون: "من عبد الرَّحمان بن مُوسى بن عثمان بن يَغمُراسُن بن زيّان أيّده الله بنصره وأمدّه بمعونته ويّسره إلى السّلطان الأجل الأفضل الأكرم الضرغام الأفخم ألفنس ابن السُّلطان جاقمو صاحب أراغون وبلنسية سلام على من اتّبعَ الهُدى ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد، فإنّا نعرّفكم أنَّه يصلكم الشَّيخ الفارس الأعز الأكرم الأفضل الكبير الشّهير أبو عمران مُوسى ابن الشّيخ الأجل الأعز الأرفع الأكبر الأشهر أبي عِنّان فارس بن حريز صحبة أخيكم القائد الأفخم دون جاقمو وصحبتهما الشيخ الأجل المكرّم الفاضل أبو يعقوب يوسف المعروف بإبن الحوراء. وبأيدي المذكورين من الكتب ما تقفون عيها وما تتعرّفون ما عندنا منها إن شاء الله تعالى، والله هو الموفق للصّواب والمعين عليه والسّلام على من اِتّبع الهدى"[1]

فهذه الرِّسالة لا تحتوي على مقدمة طَويلة وأوصاف عَديدة للمرسِل، أو المرسَل إليه على حدّ سواء كالرَّسائل المُرسلة إلى حُكام المَماليك بمصر، كمَا تميَّزت بعدم إطالة الدُّعاء، أمّا موضوع الرّسالة تمثّل في طلب السُّلطان الزّياني رغبته التّعاون والتَّحالف معَ ألفونس، لكن دون أنْ تُفصِّل الرّسالة طبيعة هذا التَّعاون. وتكشف مُحتوى التَّحالف.

---

[1] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 99-100.

4. الجملُ الدّعائية والمعترضة:

يُقصدُ بالجملِ الدّعائيةِ العبارات التي تَتضمّن إطالة البقاءِ، ودوام السُّلطان واستمرار الودّ بين الإخوان.[1]

أمَّا الجُمل المعترضة فهي تلك الجمل أو الكلمات التي تأتي بين مُعترضين على شكلِ دعاءٍ، فإذا كانَ خليفةً أو أميرًا اِجتهدَ الكَاتِب في الدُّعاء بما يُناسِب مَقامه كقوله: "أنجد الله أمره وأيّد عصره"[2] وإذا ذكرت الإمارة أو إحدى المدن التابعة لها أتبعها الكاتب بجملة اعتراضية دعائية كقوله: "أيّدها الله"[3] أو "حرسها الله"[4]

ومن الجُمل الدّعائية التي وردَت ضمن الكُتب الدّيوانية الزّيانيّة الرِّسالة التي وجهها صَاحب تلمسان إلى سُلطان المَماليك مُحمد قلاوون "الملك المنصور أدام الله علوّ قدره في الدّنيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة باطنة وظاهرة، وجعل وجوه محاسنهم في صفحات الدّهر سارّة سافرة. وصفقة أعدائهم خائبة خاسرة"[5]

ومِنْ ذلكَ رسالة السُّلطان عثمان بن أبي العَباس المَريني إلى أبي سَعيد بَرقُوق "وصلَ الله تعالى سلطانه المؤيّد جدًّا لا يُعجم عُدُه، وعزًّا لا يميل عموده، ونصرًا يملأ قطره يما يغصُّ به حَسُودُه، وعَضُدًا يأخذ بزمام أمله السّنيّ فيسوقه ويقُوده"[6]

يتميّز النَّصين السَّابقين بالإيجاز في الدُّعاء، وهذا ما اِستحسنه الكلاعي الذي يعتبر الإكثار منه من دلائل ضعف الكَاتِب"[7]

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 285-286.

[2] إدريس البلغيثي، مجاميع فن الترسيل، ص 235.

[3] أبو القاسم محمّد الشّريف السبتي، رفع الحجب المستورة، ج2، ص 449.

[4] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل، ص 235.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 85.

[6] نفسه، ص 104.

[7] ينظر الكلاعي، إحكام صنعة الكلام، ص 72.

كمَا نجد الجمل الدّعائية في الرَّسائل الإخوانية من ذلك ما وردَ في رسالة ابن خطّاب إلى أحد أصدقائهِ إثرَ مَرضٍ ألمَّ بهِ، والله يجعل صَبابة العمر في طاعتهِ، ويكتبني فيمن كانَت التَّقوى رأس بِضاعته"[1]

ومِنْ ذلكَ ما وردَ في رسالة أبي جَعفر الجنَّان المَكناسِي إلى ابن الخَطيب "أبقاك الله قُطبًا لتلك المكارم والمآثر وفصًّا لخاتم المحامد والمفاخر"[2]

ومن ذلكَ مَا وردَ في رسالة الحَضرمِي مُهنئاً بولدٍ "فدعوتُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ طلوعه في أسعدِ السُّعود ومن أصحابِ البحوث والجود، وطلاًّ يرمي على البلاد، وسيلا يحي على الأنجاد وأن لا تزال سبل الآمال مغمورة إليه، وحلل المحاسن منشورة عليه، ويجعله الله بارًا تقيًّا، مُوفقًا مَهديا، مسدودًا عليًا، ميمونًا، رضيًا، وأن يتمم شَبابه، ولا يريكم مُصَابه بمنّه"[3]

تميّزت الرّسالتين الأولى والثّانية بالإيجاز في الدُّعاء كأغلب الرَّسائل الدّيوانية، أمّا الرّسالة الثّالثة اِتّسمت بالاعتدال والتّوسط فيه.

كما نجد الجمل الدّعائية في رسائل الموضُوعات العامّة، من ذلك ما وردَ في رسالة ابن الآبار بمناسبةِ وُصول الماء إلى حَضرة تُونس "فاقض اللّهم لسلطانه بتأييد التأييد وأدم بأيامه المباركة نعمة التمهيد، وضاعف عزّة جانبه بإعزاز كلمة التّوحيد واجزه اللّهم أفضل الجزاء، عن إفاضة النّعماء، وإنارة الظلماء، وكافئه عن نقع الغُلل والأضماء، بما فجّر من ينابيع الماء، وكمَا شرّفت فعله في الأفعال، واسمه في الأسماء، فاِجعله في الدّنيا دَاعيًا إلى سبيلك، وفي الأخرى هاديًا إلى حوض رسولك"[4]

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن الترسيل، ص 241.

[2] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص 466.

[3] إدريس البلغيثي، مجموع من بعض رسائل عبد الله محمد بن الحضرمي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، العدد 26، ص 26.

[4] المقري، أزهار الرّياض، ص 214-215.

تميّز النَّص بالاعتدالِ والابتعادُ عن الإطنابِ، فالكاتبُ تخيَّرَ لدعائهِ أحْسنَ الألفاظ وأقواها لتدلَّ على عظيم صُنع الخَليفة المُنتصر الحَفصي.

ويُمكِنُ القَول أنَّ رَسائل هذه الفترة-الحفصيّة، الزّيانيّة، المرينيّة-على اِختلاف أنواعِها اِتّسمت بقلة الجمل المعترضة، فنادرًا ما يتبع الكاتب ذكر سلطان أو مدينة من مدن الأقطار الثّلاث جملة اِعتراضية، كما أنَّ الإيجار في الدُّعاء والتوسّط فيه كان سمة هذه الرَّسائل عكس الفترة التي سبقتها.

فإطلالةٌ سَريعةٌ على الرَّسائل المُوحدية نلحظُ كثرة الجمل المعترضة في الرِّسالة الواحدة، من ذلكَ ما وردَ في رسالة أبي جَعفر بن عطيّة إلى الشَّيخ أبي زكريا، ابن غانية "حرسَها الله"[1]، "والله يوفقكم"[2]، "وّفقكم الله"[3]، "كرّمه الله"[4]، "أكرمكم الله"[5]، "رعاهم الله"[6]

كمَا أنَّ الإطناب في الدُّعاء كانَ سمةً بارزةً في الكثير من الرَّسائل المُوحدية، ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة عمر وعثمان ابني أمير المُؤمنين المُشرفان على الحملة الموجّهة لِابن مَردنيش هذه الرّسالة وجّهت إلى الطلبة والأشياخ والأعيان، وعامّة النَّاس للإخبار بالنّصر "... والدّعاء لمولانا وسيدنا أمير المُؤمنين حامل لوائه والملّة على منهاج الحقّ النّاسخ لمفترقات المذاهب، ممشي الدَّعوة الإمامية والكلمة المُوحدية في شعاع نوره المجلّي للغياهب، ثمّ لفرعه الأنمى ونجله الأزكى الأمير الأجل، الملك الأسعد الأعدل، أبو

---

[1] ليفي بروفنسال، مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدّولة المؤمنية، ج10، مطبوعات معهد العلوم المغربية، الرّباط المغرب، 1941، ص 7.

[2] نفسه، ص 7.

[3] نفسه، ص 7.

[4] نفسه، ص 7.

[5] نفسه، ص 9.

[6] نفسه، ص 9.

يعقوب ذو الحسب المحلّى بالمناقب المسامي للنجوم الثواقب، المختار مذخورًا لأمر الله تعالى المخصوص بغرائب الرغائب"[1]

5. التّنويعُ بينَ الشعرِ والنَّثرِ:

يُعدُّ التّنويعُ بينَ الشعرِ والنَّثر نادر الاستخدام في الرَّسائل الدّيوانية للإمارات المغربيّة الثّلاث على اِختلاف أغراضِها لمَا تَحمله من أمورٍ سياسيّةٍ وإداريةٍ جعلَت كاتبَها يبتعدُ عن استخدامِ الشعر لأنّه مُكلف بكتابة ما يَصله من منشوراتٍ من طرفِ السُّلطان، أو الوَالي، أو القَاضِي.[2]

ومن النّماذجِ القليلة جِدًّا على تَوظيف الشعر في هذه الرَّسائل مَا وردَ في رسالة أبي الحَسن المَريني إلى المَماليك مُتحدِّثا عن طَرد الخَائِن التلمساني بعدَ مُحاولته أخذ إحدى الحُصون القَريبةِ من حُدود الإمارتين، مُستشهدًا ببيتٍ من إنشائه "فنكص على عقبه، ولم يزلهُ جنّة أوقى من هربه، وعاد لذلك ثانيه، فلم تكن عساكرنا عن طرده وانيه بل ردّته في الحافرة، وأنشدته بلسان حالها السّاخرة:

إنْ عَــادت العقــربُ عُــدنا لهــا وكانـــت النعـــل لهَـــا حَاضـــره[3]

أمّا الرَّسائل الإخوانية فهي على النّقيض من ذلك، فقد أكثر كُتّابها من توظيف الشعر في رسائلِهم لغياب طابع الرَّسمية عنها وتحرّرهم من قيود الرّسائل الدّيوانية، فنجد الكثير من الكُتّاب يستهلون رسائلهم بقصائد أو مقطوعات شعرية، غالبا تكون من

---

[1] أحمد عزاوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، ط1، 1995 ص 89-90.

[2] محمود محمّد عبد الرّحمان، أدب الرسائل الديوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ماجستير، الجامعة، ص 129.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ص 94.

إنشائهم، ومن أمثلة ذلك رسالة ابن هانئ السّبتي إلى أبي القاسم الشّريف، ورسالة أبي جعفر الجنّان المكناسِي إلى ابن الخَطيب المُفتتحة بمقطوعة من إنشائه:

يَـا خاطـب الآداب مهـلا فقـد ... ردّك خِطبتهـا ابـن الخَطيـب

هَـل غيـره فـي الأرض كـفء لهـا ... وشـرطها الكفـاةَ قـولٌ مصـيب

أصـبحَ للشـرط بِهـا مُعرسًـا ... فاِستفت في الفسخ فهل من مجيب[1]

ورسالة الغساني إلى الفقيه ابن يامن اِفتتحها بمقطوعة من إنشائه.

أدامَ الله وُدكُـم وأبقـى ... إخـاءكم علـى مـرّ الزّمـان

فقـد وصـل الـثلاث وهُـنَّ سِـتٌّ ... ولـو ربعـت لجـاءت بالثّمـان

ولـم تكـن قسـمة ضـيزى وأجـرت ... لسـاني وهـو أمضـى مـن سـناني

فـإن ضـيعته لبنًـا بصـيف ... فمـا بينـي وبينـك مـن لبـان[2]

ومن أمثلة ذلك أيضا رسالة ابن مرزوق التلمساني إلى ابن الخطيب اِستهلها بقصيدة رائعة مرحبا بقدومه إلى فاس وما يجده عند سلطانها أبي عنان، وهي من إنشائه، وممّا جاء فيها قوله:

يَـا قادمًـا وَافَـى بكـلِّ نجـاحِ ... أبْشِـر بمَـا تلقـاه مـنْ أفـراحِ

هـذي ذُرى مَلـكِ المُلـوك فَلُـذْ بِهَـا ... تنـلِ المُنـى وتَفـزْ بكـلِّ سـماحِ

مغنـى الإمـام أبـي عنـانٍ يَممَـن ... تَظْفَـر ببحـرٍ فـي العُـلا طفّـاحِ

---

[1] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 465.

[2] ابن سعيد، اِختصار القدح المعلى في التّاريخ المحلى، ص 12.

مَنْ قَاسَ جُودَ أبي عَنان في الندى بِسوَاهُ قَاسَ البَحرَ بالضَّحْضَاحِ[1]

كما نجدُ اِستخدام الشعر بكثرة في الرَّسائل ذات الطّابع الوصفي، ومن أمثلة ذلك رسالة ابن الآبار التي ضمّنها أبياتًا من إنشائِه يمدحُ بني حَفص:

أناس من التّوحيد صيغت نفوسهم فزرهم تر التّوحيد شخصًا مركّبًا

ومن ساكبات المزن فيض أكنّهم فزِدْهُم ترى ماء الغمام وأعذبا[2]

كما ضمّن رسالته شعرا مدح فيه السّلطان الحفصي بعد جلبه الماء لحضارة تونس:

جَمعْتَ للنّاسِ بَيْنَ الرّيِّ والشَّبعِ فهم بأخصب مُصْطَافٍ ومُرْتَبَعِ

ولَمْ تَدَعْ كَرمًا إلاَّ أتَيْتَ بِهِ تُضيفُ مُبتدَعا منها لمبتدَع

لمَا وَليْتَ خَلَعْتَ الخَيرَ أجمعَهُ عَليهم فَبدَوْا في أجْملِ الخِلَعِ

لله أيَامُك اِسْتوفتَ مَحاسنَها فلا فضيلة للأعياد والجُمَع

دامتْ مَساعيكَ والأقدار تُسعِدها تُولِى المَساجد إنصافًا من البِيَعِ[3]

أمَّا الرَّسائل الدّينية فتميَّزت بقلّة توظيف الشعر لتركيز كتّابها على التّوجيه والإرشاد مُستخدمين أسهل الألفاظ وأوضحها مُبتعدين عن الغرَابة والتأويل، غير أنَّ المغيلي في رسالته إلى أمير كانُو خَالف ذلك، فنجده يُوظّف شعرًا من إنشائِه بكثرة بين ثَنايا رسالته فلا يكاد يخلُو باب من أبوابِ رسالتهِ الثَّمانية إلاّ وأتبع نثره نظمًا، ففي الباب الثّاني ضمن ما يجبُ على الأميرِ من حُسن الهَيئة وظّف أبياتًا من إنشائِه، منها قَوله:

---

[1] المقري، نفح الطّيب، ج6، ص 64.

[2] المقري، أزهار الرّياض، ج3، ص 212.

[3] نفسه، ص 214.

ولا تُقهقِـــــه أَبَـــــدًا فإنَّمَـــــا يُقهقــه الأعْمَــى ويــزدادُ عمــى

وكُـنْ علـى الصَّمتِ حَريصًا دَائمًا فقلَّمَـــا يَسْـــلَمُ مَـــنْ تكّلمَـــا

وإنْ يَكُــنْ لا بُــدَّ فــاِختر مُحْكَمًــا واخْفِض مِن الصَّوت لـئلا تَنـدمَا[1]

وفي البابِ الرّابعِ فيما يجب على الأمير من الحذر بالحضر والسّفر وظّف أبياتا من إنشائه منها قوله:

ألا قــبَّحَ الله الجَبَــانَ مِــنَ الــوَرَى وأكساهُ ثَوْبَ الخزي فِي طَبَقِ الثَّرَى

أبــا لِجُــبنِ كــانُ المُلْــكُ يُملَــكُ قَبلنــا؟ ومَــا المُلــكُ إلاّ بالشّــجاعةِ يُشْــتَرى

أخُوالحرب إنْ عضَّت بهِ الحَرب عَضَّها وإنْ شَمَّرت عَن سَاقِها الحَربُ شَمّرا[2]

وفي الباب الخَامس قدّم نصائح للأمير حتى يكشف عن الأمور مُوظفا بعد نثره شعراً من إنشائِه، منه قوله:

إذا أهمل الرّاعي المواشي في الخلا وألــوى إليهــا فــي المُـراح وأهمــلا

فمَــا هُــو إلاّ واحــد مِــن أُســودِها وعَمَــا قليــل تَنجلــي عَنــه أولا[3]

ولا يقتصرُ استخدام الشعر في رسائل الإمارات الثّلاث على إنشاء كتّابها، إنّما نجد توظيفًا واِستشهادا لشعراء آخرين مغاربة ومشارقة، ومن أمثلة ذلك رسالة أبو المطرف بن عميرة مُهنئاً المُستنصر الحفصي بمناسبة وُصول الماء إلى حاضرة تُونس حيث اِستشهد ببيتٍ لأبي نُواس.

---

[1] المغيلي، تاج الدّين، ص 21.

[2] نفسه، ص 29-30.

[3] نفسه، ص 35.

ولـــــــــيسَ لله بمُســـــــــتنكر أنْ يجمـــعَ العـــالمَ فِـــي واحـــد[1]

الأمثالُ العربيّة: لم يكتفِ كُتّابُ الرَّسائل في الإماراتِ المغربيّةِ تَضمين القُرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشَّريفة، والأشعار، بل وظفُوا الأمثال العربيّة أيضًا بِاعتبارها كالرّموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحًا[2] واِستعمالها في مَوضعها من أحسن أنواع الكتابة حسبَ ابن شِيت القرشي، وفي هذا يقول: "والتّمثل بالمثل السَّائر في موضعه من أحسن أنواع الكتابة وأعظم فنونها"[3] ومن نماذج الأمثال العربيّة في رسائل الإمارات المغربيّة ما ورد في مقدمة رسالة الغساني إلى الفقيه ابن يَامن التي اِفتتحها شعراً، وممَّا جاءَ فيها قوله:

فـــإنْ ضـــيعته لبنًـــا بصـــيفٍ فَمَـــا بينـــي وبينـــكَ مـــن لبـــانِ[4] [5]

وممّا جاءَ في نثر رسالته قوله: "ولا خفاء أنَّ البغي يثيرُ الحَسيكة، ويدعُو المشاكس أنْ يفارق شريكه، على أنَّ الرَّثيئة تفثأ الغضب[6] "[7]

ومن ذلك ما ورد في رسالة القاضي أبي عبد الله الفشتالي إلى ابن الخطيب وكانت جوابًا عن مخاطبة مدح وثناء بعث بها إليه، وممَّا جاء فيها قوله: "خذها أعزّ الله جنابك

---

[1] ديوان أبي نواس، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، 1982، ص 454.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 296.

[3] عبد الرّحيم بن علي شيت القرشي، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تح: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، دط، 1913، ص 105.

[4] يُضرب المثل لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه، وأصل المثل خوطبت به امرأة، وهي دختنوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عمرو بن عدس، وكان شيخا كبيرا ففركته فطلقها ثمّ تزوجها فتى جميل الوجه، وأجدبت فبعثت إلى عمرو تطلب منه حلوية فقال عمرو في الصيف ضيعت اللبن، الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 14-15.

[5] ابن سعيد، اِختصار القدح المعلى، ص 12.

[6] يُضرب المثل في الهدية تورث الوفاق وإن قلّت، الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 12.

[7] نفسه، ص 13.

وادال للأنس على الوحشة اِغترابك كنغبة الطائر المحتفّز، ونهبة السائل المستوفز، ومقة اللحظ، قلِقة اللّفظ، قد جمعت من اِلتزامها واِنقحامها بين بطء فند ..."[1] [2]

ومن نماذجه في الرّسائل الدّينيّة ماجاء في رسالة المغيلي إلى أمير كانو "والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه[3] "[4]

6. الأساليبُ:

نَوَّعَ كُتّاب الرَّسائلِ في الإماراتِ المغربيّةِ الثّلاث في أساليب كِتابتها، والدَّارس لهذه الرَّسائل يتبيّن لهُ أنّها اِتّخذت ثلاثةَ أساليبٍ تمثّلت في:

أ- الأسلوبُ المرسلُ: ونقصد به مَجيء الكلام في الرَّسائل على سَجيّته، فلا يتكلف ولا ينمق الكاتب فيه، إنَّما هدفه إيصال الفكرة بسيطة واضحة، وفي هذا يقول الجُرجاني: "ولن تجد أيمن طائرًا، وأحسنَ أولاً وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب للاسحسان، من أنْ ترسل المعاني على سجيّتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلاّ ما يزيّنها"[5]

ومن أمثلتهِ مَا وردَ في رسالة السُّلطان أبي عنان إلى الشُّرفاء والوجهاء والأعيانِ بعد فتح قسنطينة، " وما اِجتزنا على أبواب قسنطينة حتى ألقوا إلينا ايدي الإذعان، وسقط في أيديهم سقوطًا عَلت به والحمد لله كلمة الإسلام. وداخلهم الرّعب الذي أضحت به

---

[1] وأصل المثل أنّ فندًا كان مولى لعائشة بنت سعد بن أبي وقاس، أرسلته يأتيها بنار، فوجد قوما يخرجون إلى مصر، فخرج معهم فأقام سنة ثمّ قدم فأخذ نارا وجاء يعدو، فعثر وتبدد الجمر، فقال: تعست العجلة، الميداني، مجمع الأمثال، ج1 ص 145-146.

[2] عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج3، ص 467-468.

[3] ومعناه أنّ المرء يقوم معانيه بهما، أو يكمل المرء بهما، الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص 250.

[4] المغيلي، تاج الدّين، ص 21.

[5] عبد القهار الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، علق حواشيها محمد رشيد رضا، عن نسخة الشّيخ محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص 10.

قلوبهم كأعلامنا خافقة، ورأوا ما لا طاقة لهم به فأظهروا توبة نصوحًا وإنابة صادقة"[1] تميّزَ النَّص ببساطة أسلوبه، فهو يخلو من التّكلف والتّعقيد.

والمُلاحظُ أنَّ هذا الأسلوب يكثر في رسائلِ المُعاهداتِ معَ المَمالك النَّصرانية لأنَّ غرضها الرَّئيس إيصال الفكرة بأسلوب واضح لا لُبس فيهِ، ومن ذلك مَا وردَ في رسالة مُوسى بن أبي يعقوب الزّياني إلى بِترُو الرَّابع مُبديًا رَفضه تسريح أسرى النَّصارى والاستجابة لشروطه "بلغنا أنَّ المُسلمين من خدّامنا وبلادنا أخذوا من مَراسينا هُنين ووهران ومُستغانَم على جهة التّعدي والقهر والغلب والمجاهرة بالفتنة والحرب، بعدما كنتم كتبتم رسم الصُّلح الذي به إلينا وجّهتم، أمسكنا نحن عن ذلك هؤلاء الذين أرادوا الجواز إلى هنالك حتى تسرِحُوا أنتم أولئك المأخوذين وتضربوا على أيدي المُعتدين والمُفسدين وتعاقبُوا الظالمين فإذا سَرَّحتم أولئك نُسرّح نحن هؤلاء لكم، عَملاً بمقتضى رَسم الصّلح الذي أشهدتم على أنفسكم به والتزمتم العمل بحسبه ووجّهتم رسولكم فرنسيس بسببه"[2]

جاءَت فكرة النَّص أيضًا واضحةً، ابتعدَ فيهِ الكاتبُ عن التَّكلف واِصطياد المحسنات اللَّفظية وما جاء منه جاء دون اِستدعاء.

ومن أمثلةِ هذا الأسلوب في الرَّسائل الإخوانية مَا وردَ في رسالة الحَضرمي مُهنئا أحدهم بالزَّواج "وَصلني يا أخِي كتابكم الكريم، تذكرُون أنَّكم عَزمتم على تزويجِ فلانةٍ من فلانٍ بنت فلانٍ، والزَّواج ممَّا يُحي الله به الأنساب، ويُقوي به الأسباب، ويوكل به الحرمات، ويجدّد به المكرمات، فاِمضُوا ما قد عزمتم عليه، وبادرُوا مُسرعين إليه، قال سيد المُرسلين: "من تزوّج فقد اِستكمل نصف الدّين" جعله الله زواج خير وقربة وغبطة وحسن عشرة وصحبة بمنّه"[3]

استعملَ الحَضرمي أسلُوبًا بسيطًا، فأوصل فكرته بلا لبسٍ أو غموضٍ.

---

[1] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 316-317.

[2] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانيةبتلمسان، ص 139-140-141.

[3] إدريس البلغيثي، سلسلة ذخائر التّراث الأدبي المغربي، العدد: 26، ص 24-25.

ب- الأسلوبُ المُتوازن: ونَقصدُ به تَوافُق الجُمل، بحيث تَتساوَى الألفاظ في الفقرة الأولى والثّانية فيمنحُ ذلكَ رَونقًا للكلام للاِعتدال الحَاصِل، وفي هذا يَقُول اِبن الأثير: "وللكلام بذلك طَلاوة ورَونق، وسَببه الاعتدال، لأنَّه مَطلُوب في جميعِ الأشياءِ. وإذا كانَت مَقاطِع الكَلام مُعتدلة وَقعَت في النَّفس موقع الاِستحسان، وهذا لإمرِاءَ فيه لوُضوحِه"[1]

مِن أمثلتهِ ما وردَ في رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المَماليك مُتحدّثًا عن حصار عمّه أبي يعقوب تلمسان قبله "وتمادى بهم الحصار تسع سنين، وما كانوا غير شرذمة قليلين، وهنالك اِتصلت بينكما المراسلة، وحَصلت الصَّداقة والمُواصلة، ثمّ حمّ موته، تمَّ فوته، رحمه الله توَمه، ورضوانه يشمله ويعمه"[2]

ومن ذلك رسالة أبي عنان إلى الشّرفاء والوجهاء والأعيانِ بعد فتح قسنطينة "فإنَّكم قدْ علمتم أنَّ قسنطينة طالَ في هذه الأعوام حِصارُها، واستطارت صدوع الفتنة التي اضطرمَت نَارها فطفقت تسلك في الخسار طريقًا ميتاء، وأخّرَ الله أمرها إلى أجل معدود جمع على الرَّشاد أهواء فأعملنا لفتحها العزائم التي تجافت بها جنوب السّيوف عن مَضاجع الأغماد، وجمعنا للاِستيلاء عليها جيوشًا سالَ مغيروها في الأغوار وأنجادها في الأنجاد"[3]

ومن نماذجِه في الرَّسائل الإخوانية ما وردَ في رسالة الغَساني إلى الفقيه ابن يَامن ومِمَّا جاءَ فِيها قَوله: "أسعدَ الله الأخ المكرّم، المفضّل في حلبة السّبق المقدّم، لازالت سراياه معتولة، وصفاياه إلى محلّ الصّفا منقولة، من كلِّ مالئة الإناء، مليئة بالشّكر مدى

---

[1] ابن الأثير، المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط2، 1973، ص 291.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 91.

[3] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 316.

الآناء، تُريك ما أحار المشفر في البشر، وتكرُم في المحلّ عن تحمّل العُشر، وإن كانَ المَطل أساء به الظن، ومثل لي وحاشاه أن قد ضَنَّ ..."[1]

ج- الأسلوبُ المَسجُوع: فهو: "تواطؤ الفَواصل في الكَلامِ المَنثور على حرفٍ واحدٍ"[2] والفَرق بين الأسلوب المُتوازن والمَسجُوع، أنَّ الأول يهتّم بتوازن الفقرتين، بينما الثّاني يهتمّ بتماثل أجزاء الفَواصِل لورودها على حرفٍ واحدٍ.[3]

وقدْ شاعَ هذا النَّوع في رسائل الإمارات المغربيّة، فلا تكادُ تَخلو رسالة منه، ويُمكن التَّمثيل له بعدَّةِ أوجهٍ حسبَ تَعدُّد وتنوع الفواصل، من ذلك ما وردَ في رسالة السُّلطان الحَفصي أحمد عبد الله إلى الظاهر برقوق مُخبرًا إيَّاه بوصول رسالته: "وفي أثناء شُروعنا في ذلك، وسُلوكنا منه أيمن المَسالك، وَصلَ إلينا كتابُكُم الكريم، تعرف النواظرُ في وجوه بشائره نضرة النَّعيم، فاِطَّلعنا مِنه على مَا راقَ العيونَ وَصفًا ونَعتًا، وعبرَ للخلوص سبيلاً لا تَرى القلوبُ فِيهَا عِوجًا ولا أمتا، ولله هو من كِتاب كتبَ من البيان كتائب، واِستأثر بفلك الإجادة فأحرز به سعادةَ الكاتبِ"[4] فالكاتبُ اِستعملَ سَجعات مُختلفة جعلَها على فاصِلتين وهذا بين: (ذلك، المسالك)، (الكريم، النّعيم)، (نعتا، أمتا)، (كتائب، كتاب).

ومن نماذجِه في الرَّسائل الإخوانية مَا كَتبهُ الفقيه أبُو الفَضل مُحمّد بن علي التّجاني ابن عمِّ التّجاني صَاحب الرِّحلة: "وقد اِتصلت من نحو برقة بروق، لا تنبض معها عروق، غير أنّكم وإن اجريتم في مرعى خصيب، ومسعى للخير مُصيب، قد أحضركم السَّفر في مكانٍ مكين، واستندتم إلى رَبوةٍ ذات قرارٍ ومَعينٍ، فمن اليقين أنَّك لا تظمأ فيها ولا تَضحى، وأنَّك تَقطع كلّ يوم بسيمًا فطر وأضحى، كل ذلك بمقاربة ذلك الجناب، واعمال

---

[1] اِبن السعيد، اِختصار المعلى في التاريخ المحلى، ص 13.

[2] ابن الأثير، المثل السائر، ص 210.

[3] ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 715.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 83.

السّير والسرى في مصاحبة ذلك الركاب، والله تعالى يصحبكم الخير والخيرة، ويصون لحفظ محاسن الجود تلكم الذَخيرة"[1]

الكاتبُ استعملَ أيضًا سجعاتٍ مُختلفة جَعلها على فاصلتين، وهذا بين: (بروق، عروق)، (خصيب، مصيب)، (مكين، معين)، (تضحى، أضحى)، (الجناب، الركاب) (الخيرة، الذخيرة).

وبعض الرَّسائل جَاءَت على ثلاث سَجعاتٍ، من ذلك ما وردَ في رسالة أبي الحَسن إلى سُلطان المَماليك، مُتحدِّثًا عن عفو المرنيين وإحسانهم لأهل تلمسان بعد اِنتزاعها من بني عبد الواد: "وأضفينا عليهم صُنوف المَلابس نِساءً ورِجالاً، وأوسعنا لهم في العَطاء مَجالاً، وأفعمنا لهم من الحباء سجالاً، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حَاطها الله تعالى ما هُو خيرٌ من بِلادهم، وحَبوناهُم منها بما كفل بإحساب مُرادهُم، وإخصابَ مَرادِهم، وخلطناهم بقبائل بني مرين، وحُطناهم باتّحاد الكلمة من تقوّل المتقوّلين، وتزوير المزوّرين"[2] فالكاتب استعمل ثلاث سجعات اكسبت نصّه نغمة موسيقية واحدة تستأنس لها أذن السَّامع.

وبَعضُهم يتعدى ذلك إلى أربع أو خمس سجعاتٍ، وهناك من يَصل إلى ستِ سجعاتٍ رغمَ صعوبتة، ومن أمثلةِ ذلكَ ما جاءَ في رسالةِ ابن هَانئ السَّبتى إلى أبي القاسم الشَّريف: "حتى إذا ورد ذلك المُهرق، وفرع غضه المُورق، تغنّى به الحمام الأورق وأحاط بعداد عُداتِه الغصصُ والشّرق، وأمِنَ من الغضب والسّرق، وأقبل الأمن وذهب لاقباله الفرق، نُفخ في صور أهل المنظوم والمنثور، بعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور وتراءت للأدب صور، وعمّرت للبلاغة كور، وهمت للبراعة دِرَر"[3]

---

[1] أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، ص 223-224.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 97.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ص 462-463.

وُصول ابن هانئ إلى هذا العدد من السَّجعات التي وَصلت إلى ستِ سجعاتٍ رغمَ صُعوبته وعجز كثير من الكتّاب تحقيق ذلك، إنَّما يدلُّ على قوة بيانه، واتّساع بَلاغته وبَراعتهِ في الكَلامِ.

ونجدُ بعضَ الكُتَّاب يكرّرون السَّجعة في فواصل عدّة على أوجهٍ مُختلفةٍ، منها تكرير سَجعة واحدةٍ ثمَّ تغييرها بسجعتين أو ثلاث، ليعودَ الكَاتب إلى السَّجعة الأولى مرّةً أخرى.[1]

ومِن ذلكَ مَا وردَ في خطبة رسالة السُّلطان عثمان بن أبي العَباس المَريني إلى سُلطان المَماليك "أما بعد حمد الله على سُبوغ نعمائه، وترادف لطفه وآلائه، الذي عرّفنا من ولائكم الكريم ما سرّنا من اطّراد اِعتنائه، وأبهج النّفوس والأسماع من صفاء ولائه ومواصلة صفائه، والصّلاة والسّلام الأكملين على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله وأنبيائه ومبلّغ رسالاته وأنبائه، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واللّواء المعقود، فأكرم بمقامه وحوضه ولوائه، والرضا عن آله وصحبه وأوليائه، الذين هم للدّين بدورُ اِهتدائه ونُجوم اِقتدائه وصلةِ الدّعاء لمقامكم الكريم بدوام عزّه واِعتلائه، واِقتبال النّصر المبالغ في اِحتفاله واِحتفائه، وحياطة أنحائه وأرجائه، وتأييد عزماته وآرائه"[2]

والوجهُ الثّاني أنْ يعقد الكَاتب مَقطعًا كاملاً من رسالتهِ على حرفٍ واحدٍ، ومن أمثلة ذلك مَا جاءَ في رسالةِ أبي عَنان إلى الوُجهاء والشّرفاء والأعيان "... وأنَّه مع أولي الصَّبر، للقوي العزيز الذي وعد لمن ينصره بالنَّصر، الكريم الحليم الذي أخبر أنَّ مع العسر مثنى اليسر، غافر الذنب وقابل التوب ومجمل الستر، الذي أصبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه وأوجب المزيد من الشّكر، والصّلاة التّامة على سيّدنا ومولانا محمّد الذي خصّه بشرح الصّدر، ووضع الوزر المنقض للظهر، وأخبر أنّه على خُلق عظيم ومزايا

---

[1] ينظر: محمود محمد بن عبد الرّحمان خياري، أدب الرّسائل الدّيوانية في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، 1991، ص156-157.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 105.

رفيعة القدر، المخصوص من أسماء إلهه بالرَّؤوف الرَّحيم في السرّ والجهر، الذي عفا عمن ظلمه وأحسن لمن أساء إليه فهو الأسوة الحسنة إلى آخر الدّهر ... وإقتبال الصّنائع الجميلة التي ينعم بها أهل زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر"[1]

فالكاتبُ أطال كَثيرًا في الاعتمادِ على سَجعة واحدةٍ ممَّا جعله يتكلف للإبقاء على السَّجعة المعقودة.

7. الجناسُ:

هُو اِستعمالُ كلمتين مُتفقتين لفظًا مُختلفتين معنىً[2] وهو على قِسمين: تامٌّ، وهو ما اِتّفق فيه اللّفظان المُتجانسان في أربعةّ أمورٍ: نوع الحُروف، وعَددها، وشَكلها، وتَرتيبها مع اِختلاف المَعنى، والقسمُ الثّاني غير تامٍ، وهو ما اِختلف فيه اللّفظان في واحدٍ أو أكثر من الأمور الأربعةِ المذكورةِ.[3]

والجناسُ في الإماراتِ المغربيّةِ الثّلاث وردَ على الوجه الثّاني، فلا نكاد نعثر على النَّوع الأوّل، شأنهم شأن أغلب كتّاب الفترة المُوحدية، ومن الأمثلة القليلة جِدًّا على الجناس التَّام ما وردَ في رسالة ابن هانئ السَّبتي إلى أبي القاسم الشَّريف بعد إرسال الأخير قصيدة همزية له فأجابه بمثلها ونَثرٍ، ممَّا جاءَ فيها قوله: "في مُراجعة قصيدتك الغرّاء ... متى حَامت المَعاني حَوْلها، ولو أقامت حَوْلها"[4] فجانسَ بينَ حولها الأولى وتعني قريبة منها، وحَوْلها الثّانية وتعني العام،أي:السّنة.

أمَّا الجناس النَّاقص فوردَ على أوجهٍ عديدةٍ، ومن ضُروبه: الجِنَاس اللاّحق، الذي يتمثّل في اِختلاف حُروفه سَواء أكانَ في أوّل الكلمة أم وسطها، أم آخرها على أنْ يتباعدا

---

[1] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 316.

[2] شهاب الدّين الحلبي، حسن التّوسل إلى صناعة التّرسل، ص 42.

[3] بدوي طبانة، معجم البلاغة العربيّة، ص 136-137.

[4] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 461.

مَخرجًا[1] من ذلك ما وردَ في رسالة السُّلطان الحفصي أحمد بن أبي عبد الله إلى سُلطان المَماليك مَادِحًا إيَّاه بأوصافٍ عديدةٍ "السلطان الجليل الطاهر، الملك المعظّم «الظاهر» جمال الدّين والدّنيا، مؤيِّد كلمة الله العليا، سيف الملَّة المرهوب المَضَاء، بيد القضاء"[2] اختلف حرفي الميم والقاف في لفظتي "المضاء" و "القضاء"

ومِن ذلكَ ما وردَ في رسالة عبد الرَّحمان بن أبي مُوسى بن يغمُراسُن إلى سُلطان المَماليك وهو بصددِ التَّصلية على النَّبي صلّى الله عليه وسلّم "... الشّفيع في المحشر، الذي وجبت له نبوّته، ومُثنّى الغيب عليه مُنسدل، وآدم صلوات الله عليه في طينته مُجندل"[3] اِختلف حرفي السّين والجيم في لفظتي "مُنسدل" و "مُنجدل".

ومِنْ ذلكَ مَا وردَ في رسالةِ أبي الحَسن المريني إلى المَماليكِ "... حكمة عجزت عن فهم سرِّها المكتوم، وقصُرت عن كنهها المختوم"[4] اِختلف حرفي الكاف والخاء في لفظتي "مكتوم" و "مختوم" وهما متباعدين مخرجًا.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالتهِ، وهُو يَتحدّث عن نصرة سُلطان الأندلس بإرسال عبد الواحد رفقه أربعة آلاف رجل فألحقوا بالنَّصارى شرّ هزيمة "وأذاقت مَنْ به مِنْ أهماج الأعلاج شرًّا وحصرًا، إلى أن أسلموه للمُسلمين قهرًا وقسرًا، ومنح الله حزبه المؤمنين فتحًا ونصرًا"[5] اِختلف حرفي الهاء والسّين في لفظني "قهرًا" و "قسرًا" وهما مُتباعدين مَخرجًا.

ومن نماذجِه في الرَّسائلِ الإخوانيّةِ ما وردَ في رسالة ابن خطّاب إلى أحد أصدقائِه أثناء مَرضه "وأشرف بي على الفوت، ثمَّ أفلت من أظافير الموت"[6] اِختلف حرفي الفاء والميم في لفظتي "الفوت" و "الموت" ومن ذلك ما وردَ في رسالة ابن هانئ إلى أبي القاسم

---

[1] بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 602-203.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 80.

[3] نفسه، ص 86.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 89.

[5] نفسه، ص 93.

[6] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل، ص 241.

الشَّريف يثني على قصيدته الرَّائعة التي دلّت على بلاغته الفائقة "وكُسِي نصاعة البلاغة، فلم يعيأ بهمّام وابن المراغة، شِفاء المحزون، وعلم السّر المخزون، ما بين منثوره والموزون"[1]اِختلف حرفي الخاء والميم في لفظتي "المخزون" و "الموزون".

ومن نماذجهِ في الرَّسائلِ الدّينيّةِ مَا وردَ في رسالةِ الفقيه العَصنوني إلى فُقهاء تلمسان وفاس مُستشهدًا بنازِلَتي ابن الحاج بعد الفتوى التي أصْدرَها عبد الكريم المَغيلي بهدم كنائِسِ اليَهود بتوات "... هؤلاء النَّصارى وصفوا بالمعاهدين، وذلك بمقتضي ثبوتهم على ما سلف لهم من العهد والعقد ..."[2] اِختلف حرفي الهاء والقاف في لفظتي "العهد" و"العقد".

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة المَغيلي نَاصحًا أمير كَانُو فيما يجبُ عليه من ترتيبِ أمور مملكتهِ "... وبلغاء ينشّطون القلوب ويقبّحون الهروب، وعرفاء بالحروب، برأيهم تنكشف الكروب"[3] اِختلف حرفي الهاء والحاء في لفظتي "الهروب" و "الحروب".

كما نجد هذا الضَّرب في رسائل الموضُوعات العامّة، ومن ذلك دُعاء ابن الآبّار في رسالته للمُستنصر الحَفصي بعد جلبهِ الماءَ إلى حَاضرة تُونس "وآياتك للأبصار هدى وحياتك للكفار ردى"[4]اِختلف حرفي الهاء والرّاء في لفظتي "هدى" و "ردى".

ومن الجناس النَّاقص المُصحّف، وهو: ما اِختلفت فيه الحُروف من حيث التّنقيط[5] ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة الصُّلح التي عقدها أبو حمو مُوسى بن أبي يعقوب مع بترو الرّابع ملك أراغُون، حيث ذكر في بدايتها العديد من النّعوت والأوصاف الممجدة للسّلطان

---

[1] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 462.

[2] الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ج2، ص 215.

[3] المغيلي، تاج الدّين، ص 27.

[4] أحمد المقري، أزهار الرّياض، ج3، ص 211.

[5] ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 332.

"أبو حمّو موسى بن الأمير الجليل الأرفع الماجد ... الطّاهر الظّاهر ..."[1] جانس بين الطّاهر والظّاهر مع اِختلاف تنقيط حروف اللّفظتين، ومن ذلك رسالة أبي الحسن المريني إلى سلطان المماليك وهو يخبره عن غزو تلمسان والقضاء على بني عبد الواد "أنهينا لعلمكم الكريم هذه الأنباء السارّة، الآلاء الدَّارّة: لما ذكرتم من تشوُّفكم لِاستطلاعها، وسطّرتم من تشوّقكم لِاستماعها ..."[2] جانس بين تشوّفكم و تشوقكم.

ومن نَماذجِه في الرَّسائل الإخوانية ما وردَ في رسالة ابن هانئ السَّبتي إلى أبي القاسم الشَّريف مُعترفا له ببلاغته "وكُسِي نصاعة البلاغة، فلم يعبأ بهمّام وابن المراغة، شِفاء المحزون، وعلم السّر المخزون"[3] جانس بين المحزون والمخزون مع اِختلاف تنقيط حروف اللّفظتين.

ومن نَماذجِه في رسائل المَوضُوعات العامّة ما كتبه ابن الآبار للمُستنصر الحفصي بعد وصول الماء إلى تُونس مُشيدًا بصنيعهِ "ومَلأت ما بينَ لابَتيها جِنابا ترفٌ ظلاًّ وتِرِقٌ نَوْرًا ... هذا وإن بات السّماح المفاض يقسيه، والجود الفضفاض ينقع فؤاده ويشفيه"[4] جانس بين "ترفٌ" و "ترقٌ" وبين "يسقيه" و "يشفيه" من اختلاف تنقيط حروف الألفاظ السّابقة.

ومن الجناس النّاقص، الجناس المَردُوف، وهو اِختلاف اللّفظين بزيادة حرف في الأوّل[5] من ذلك ما ورد في رسالة ابن مَرزُوق مرحبًا بقدوم لسان الدّين بن الخطيب

---

[1] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، ص 153.

[2] القلقشندي، صبح الاعشى، ج8، ص 98.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ص 462.

[4] أحمد المقري، أزهار الرياض، ج3، ص 213.

[5] ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 136-137.

"فطالمَا كانَ معظّم سَيدي للأسى في خَبال، وللأسف بين اِشتغال بَال"[1] جانس بين لفظتي "خَبال" و "بَال" بإضافة حرف الخاء في بداية الكلمة الأولى.

كما نجده في الرَّسائل الدّينيّة، من ذلك ما وردَ في رسالة المَغيلي نَاصِحًا أمير كَانُو فيما ينبغي عليه كشفه من الأمورِ "أن يحتفظ على عماله في جميع أعماله"[2] جانس بين لفظتي "عماله" و "أعماله" بإضافة الهمزة في بداية الكلمة الثّانية، ومن ذلك أيضًا قوله "أنْ يكشف عن أخبار الأعداء بالجُسَّاس الأمناء في كلّ أوان، من فتنة وأمان، حتى لا يخفى عليه شيء من حَركاتهم وسَكناتهم في كلّ زمان، فإنَّ الجهل عَمى، والبصير يغلب ألف عمى"[3] جانس بين لفظتي "عمى" و "أعمى" بإضافة الهمزة في بداية الكلمة الثّانية، ومن ذلك ما ورد في رسالة ابن الآبار مادحاً بني حفص "ومن خصائصها اِنفعال الوجود، ومن مراسمها الإيثار بالوجود"[4] جانس بين لفظتي "الوجود" و "الموجود" بإضافة حرف الميم على الكلمة الثّانية.

ومن الجناس النّاقص المُحرَّف، وهو: ما اِختلف فيه اللّفظان في حركة الحُروف مع اِتفاقّهما في النَّوعِ والعَددِ والتَّرتيبِ[5] من ذلكَ ما وردَ في رسالةِ السّلطان الحفصي إلى سُلطان المماليك "وتأذّنَ بفضله في قبول الدّعاء يظهر الغيب وهو مستجاب، فرَّد عليكم مُلْكَكم، وصرف إليكم مِلْكَكُم"[6] فجانس بين "مُلْكَكم" و "مِلْكَكُم" ومن ذلك ما ورد في حديثه عن غزو الأسطول الحفصي جزيرة غُودَش "فأرسلنا عليكم أسطولنا المنصور غربانا نعقت عليهم بالمنون، وعرّفتِ المُسلمين بَركة هذا الطَّائر المَيمون، وشحنّاها عَدَدًا وعُدَدًا ..."[7]

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 65.

[2] المغيلي، تاج الدين، ص 36.

[3] نفسه، ص 38-39.

[4] المقري، أزهار الرّياض، ج3، ص 212.

[5] ينظر: بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 161.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 82.

[7] نفسه، ص 84.

فجانس بين "عَدَدًا" و "عُدَدًا"، ومن ذلكَ ما وردَ في رسالةِ أبي الحَسن المَريني إلى المَماليك واصِفًا دخولَ المرنيين تلمسان "واِقتحمه أطلاب الأبطال، وولجته أقيال القبائل وولّى الأشقياء الأدبار، وعاذوا بالفرار، وبدت عليهم علامات الإدبار ..."[1]، حيث جانس بين "الأدبار" و "الإدبار"، ومن ذلك حديثه في الرّسالة عن عفو المرينيين على قبائل بني عبد الواد "فمننَّا على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا عليهم صُنوف الملابس نساءً ورجالا ... وحَبَوْنَاهم منها بما كفلَ باحساب مُرادهم، وإخصاب مَرادهم"[2]، جانس بين "مُرادهم" و "مَرَادهم".

ومن نماذجه في الرَّسائل الإخوانية ما وردَ في رسالة ابن هانئ السّبتي إلى أبي القاسم الشَّريف "أيّد من الفصاحة بأياد، فلم يحفل بصاحبي طيء وإياد"[3] فجانس بين بين "أياد" و "إياد" ومن ذلك أيضا في رسالته "وهمت لليراعة دِرَر، ونُظمت للبراعة دُرَر"[4] حيث جانس بين "دِرَر" و "دُرَر".

ومن الجناس النّاقص، المُضارع الذي يتمثّل في اختلاف حَرف من حُروف اللّفظتين مع تَقاربهما مَخرجًا[5] من نماذجه في الرَّسائل الدّيوانية ما ورد في رسالة أبي الحسن المريني إلى سُلطان المماليك يؤكد فيها حسن الصَّداقة والإخاء بين الدوّلتين "وإخاؤكم الصّادق مبرور الجوانب، مأثور المناقب، مُشرق الكواكب، مُغدق السَّحائب، نامي المراتب، سامي المراقب"[6] فجانس ناقصًا مضارعًا بين "المناقب" و "المراقب" ومن ذلك ما ورد في حديثه عن تمرّد صاحب سجلماسة "وكنَّا في هذه المدّة التي جرت بها هذه الأحوال، وعرت

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 95.

[2] نفسه، ص 97.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 462.

[4] نفسه، ص 463.

[5] بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 137.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 89.

فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخانا الممتنع بسجلماسة"[1] فجانس ناقصًا مضارعا بين "الأحوال" و "الأهوال" ومن ذلك ما ورد في حديثه عن عفو المرينيين عن أهل تلمسان "وأعلنّا بالنّداء أنّ كلّ من جاءنا هاربا، ووصل إلينا تائبا، منحناه العفو، ومحونا عنه الهفو ..."[2] فجانس ناقصًا مضارعًا بين "العفو" و "الهفو".

ومن نماذجِه في الرَّسائل الإخوانيّة ما وردَ في رسالة ابن هانئ السَّبتي إلى أبي القاسم الشّريف "... وجاهله محصود، وعالمه محسود"[3] فجانس ناقصًا مضارعًا بين "محصود" و "محسود" ومن ذلك مَا وردَ في رسالة أبي جعفر الجنّان إلى ابن الخطيب "جلوت عليّ من بنات فكرك عقائل نواهد، وأقمت بها على معارفك الجمّة دلائل وشواهد"[4] جانس ناقصًا مضارعًا بين "نواهد" و "شواهد".

ومن نماذجه في الرّسائلِ الدّينيّةِ ما وردَ في رسالة المَغيلي ناصِحًا أمير كَانُو فيما يجب عليه من حسن الهيئة "الإمارة مِقْمَعة للنفس الأمّارة، فعلى كل أمير أن يرتدي برداء الهيبة في الحضرة والغيبة"[5] فجانس ناقصًا مضارعًا بين "الهيبة" و "الغيبة".

8. الازدواجُ:

هُو نوعٌ من المُحسنات اللّفظية، يُراد به تَوافق الفاصلتين في الوَزن[6] عن طريقه يَحسُن الكلام ويحلو، وفي هذا يقول عنه أبو الهلال العسكري: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا، ولا تكاد تجد لبليغٍ كلامًا يخلُو من الازدواج"[7]

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 93.

[2] نفسه، ص 95.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 464.

[4] نفسه، ص 466.

[5] المغيلي، تاج الدّين، ص 21.

[6] بدوي طنابة، معجم البلاغة العربية، ص 266.

[7] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1 1925، ص 260.

والازدواج واضحٌ في مُختلف رسائل الإمارات المغربيّة على اختلاف أنواعِها، من نماذجِه في الرَّسائل الدّيوانية ما وردَ في رسالة عبد الرَّحمان بن أبي مُوسى بن يَغمُراسُن إلى السُّلطان النَّاصر (محمَّد بن قلاوون): "وقلوبنا متشوّقة إلى تلكم المشاهد العظيمة فلنا في ذلك نيّات صادقّة التّحويم، وعزماتٌ داعية التّصميم، وكان بودّنا لو ساعدنا المقدار، وجرى الأمر على ما نحبّه ونختار، أن نُمتّع برؤية المواطن التي تقرُّ أبصارا ويُتشفى بها إيرادًا وإصدارًا، ولعلّ الله تعالى ينفعنا بخالص نيّاتنا، وصادق طويّاتنا بمنّه وكرمه"[1] في الرّسالة صور عديدة للازدواج فقد زاوج الكاتب بين صادقة وداعية، وبين التّحويم والتّصميم، وبين خالص وصادق، وبين نيّاتنا وطويّاتنا.

ومن صورهِ ما وردَ في رسالة أبي الحسن المريني إلى سيف الدّين قلاوون: "وتشنّفُ الأسماع بما تُسمِعُها من إجزال المنوح والمواهب، وتفوّقُ الرقاع بما تودعها من أحاديث الفتوح الغرائب، والحمد لله على ما يسَّر من المآرب، وسهّلَ من المواهب، وإخاؤكم الصّادق مبرور الجوانب، مأثور المناقب، مُشرقُ الكواكب، مغدقُ السّحائب، نامي المراتب سامي المراقب"[2] زاوج الكاتب بين المنوح والفتوح، وبين المواهب والغرائب، وبين يسّر وسهّل، وبين المآرب والواهب، وبين مبرور ومأثور، وبين الجوانب والمناقب، وبين مُشرق ومغدق، وبين الكواكب والسّحائب، وبين نامي وسامي، وبين المراتب والمراقب.

ومن ذلكَ أيضًا ما وردَ في الرِّسالة نفسها مُتحدِّثا عن غزو المرينيين تلمسان وتصوير الأحداث التي جرت فيها، وظلّت الفعلة تشيّد إزاء أبراجهم أبراجًا، وتمهّد منها لتسوير أسوارهم أدراجًا، وللمعاول في أسافلها إعوال، وللعواسل على أعيالها أعمال

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

[2] نفسه، ص 89.

وللأشقياء مع ذلك شدّة وجلَد، وعُدَّة وعدد"[1] زاوج بن أبراجهم وأسوارهم، وبين أبراجا وأدراجا، وبين أسافلها وأعاليها، وبين إعوال وأعمال، وبين شدّة وعدّة، وبين جلَد وعدد.

ومن صورهِ في الرَّسائل الإخوانيّة ما وردَ في رسالة ابن هانئ السَّبتي إلى أبي القاسم الشَّريف بعد إرسال الأخير قصيدة همزية له، فرّد عليه بقصيدة مثلها وأتبعها بنثر ومن ذلك قوله: "... في مُراجعة قصيدتك الغرّاء، الجالبة السّراء، الآخذة بمجامع القلوب الموفّية بجوامع المطلوب، الحسنة المهيع والأسلوب، المتحليّة بالحُلي السّنية، العريقة المنتسب في العُلى الحسنية"[2] فزاوج ابن هانئ بين مجامع وجوامع، وبين القلوب والمطلوب، وبين الحُلى والعُلى، وبين السّنية والحسنية.

ومن نَماذجِه أيضًا ما وردَ في رسائل المَوضُوعات العامّة كرسالة ابن الآبّار إلى المُستنصر الحَفصي بمناسبة وُصول الماء إلى حاضرة تُونس "... والسّعود طالعة والعصور طائعة، مصالح الأعمال تحلّيها، وعلى منصّات الكمال تجلّيها؟ فمن ذا أيُّها المولى يجاريك إلى مدى، أو يُباريك في إقدام صادق وندى، وآياتك للأبصار هدى، وحياتك للكفّار ردى"[3] فزاوج ابن الآبار بين السعود والعصور، وبين طالعه وطائعه، وبين يجاريك ويباريك، وبين مدى وندى، وبين للأبصار وللكفار، وبين هدى وردى.

ومن ذلك ما وردَ في رسالةِ لأبي المطرف بن عَميرة يَصِفُ شِدَّة الوباء بمدينة قَابس ويذكر كَثرة عَقارِبها "... ولبيوت المدينة دواجن سيئة الجوار، سريعة إلى القطان والزوار، كراها تنفيه، وسرها تخفيه، وصلحها لا يطمع أحد فيه، فقبحت شائلة الأذناب، شاملة العذاب، كامنة بارزة، هامزة لامزة"[4] زاوج الكَاتب بين كراها وسرها، وبين تنفيه

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 95.

[2] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 461.

[3] المقري، أزهار الرّياض، ج3، ص 211.

[4] أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، ص 90-91.

وتخفيه، وبين شائلة وشاملة، وبين الأذناب والعذاب، وبين كامنة وهامزة، وبين بارزة ولامزة.

9. الطِّباقُ:

هُو: "الجَمعُ بين مُتضادين، أي مَعنيين مُتقابلين في الجُملة، ويسمّى أيضًا التَّطبيق والتّضاد والتَّكافؤ"[1]

ويأتي الطّباق على وجهين إيجابي وسَلبي، فالأوّل ما لمْ يَختلف فيهِ الضِّدان إيجابًا وسَلْبًا، والثّاني ما اِختلف فيه الضِّدان إيجابًا وسَلْبًا.[2]

وقدْ كثُرَ استعمالُ النَّوع الأوّل في رسائل الإمارات المغربيّة، ومن صوره في الرَّسائل الدّيوانية ما وردَ في رسالة عبد الرَّحمان بن أبي مُوسى يغمُراسمن إلى السّلطان مُحمّد قلاوون حيث يقول: "فإنَّا نعرّفكم بوصول كتابكم الخطير الأثير، فتلقيناه بما يجب من التّكريم والتّعظيم، وتتبّعنا فُصوله، واستوعينا فُروعَه وأصُولَه، وتحقّقنا مقتضاه ومحصوله وعلمنا ما اِنطوى عليه من المنن والإفضال، واِشتمل عليه من التفصيل والإجمال"[3] فطابقَ الكاتب بين فروعه وأصوله، وبين التفصيل والإجمال.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالةِ أبي الحسن المَريني إلى سُلطان المَماليك مُحمد بن قلاوون " ففازوا بذكر المُهاجرين والأنصار، وأجر المُجاهدين الصَّابرين، وصلة الدّعاء لحزب الإسلام في مَشارق الأرض ومَغاربها"[4] طابق بين المهاجرين والأنصار، وبين مشارقها ومغاربها.

---

[1] بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ص 363.

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتعليق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص 303.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

[4] نفسه، ص 89.

ومنها ما وردَ في الرّسالة نفسها وهو يتحدّث عن غزو تلمسان والقضاء على بني عبد الواد "ونُسخت منها دولتهم، ومحيت من صحيفتها دعوتُهم، وعوّضَ الرّعايا من خوفهم أمنا"[1] فطابق بين نسخت ومُحيت، وبين خوفهم وأمنا.

ومن صُورهِ في رسائل المُعاهدات، ما ورد في رسالة عبد الله مُحمد الحسن سُلطان تُونس إلى الإمبراطور شَارلكان سنة 942هـ، يقول فيها "... وهو راضٍ ومبتهج بأنَّه يمتلك قصبة بُونة المذكورة، وما يرجع إليها من داخلها وخارجها، وجهتها ومنافعها له ولموارثه من بعده، ويخلى البلد المذكور السّلطان أبي عبد الله مُحمد الحسن المذكور بمالها من داخل وخارج ووطن، وجميع مالها من المنافع البرية والبحرية"[2] طابق الكاتب بين داخلها وخارجها، وبين داخل وخارج، وبين البرية والبحرية.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة المُعاهدة الزّيانيّة التي أبرمها أبو حَمُو مُوسى الزّياني مع بِترُو الرّابع ملك أرَاغُون سنة 764هـ، وممَّا جاءَ فيها قوله: "عرّفنا الله فيه البركة والخير عل جميع ما لإيالته العليّة وشَمَلَته دعوته السَّنية من البلاد حاضِرِها وباديها وثغورها ومواسِطِها وأطرافها، حرسَ الله جميعها وعلى جميع ما للسّلطان دون بيدرو المذكور أيضًا حاضِرِها وسواحِلِها كَثْرها وقَلّها لا يتعدّى أحدهما على أحدٍ ولا أهل بلدٍ عل بلدٍ في حالي الصّدْرِ والوَرْدِ سلما مُحافظا عليها من الجهتين محفوظا عند الملَّتين، ومن كلا الجانبين، لا يلْحقُ إحدى النّاحيتين من الأخرى مضرّة في أمر ولا تعدّ في سرٍّ أو جهرٍ. البَر والبحر في ذلك سيان، والمساترة فيهما بالأذى والمجاهرة ممنوعان"[3] استعمل كاتب الرّسالة الطّباق بكثرة فطابقَ بين حاضرها وباديها، وبين كثرها وقلّها وبين الصّدر والوَرْد وبين سرّ وجهر، وبين البر والبحر، وبين المساترة والمجاهرة.

---

[1] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 96.

[2] محمّد عبد الله عنان، مجلة المعهد المصري للدّراسات الإسلامية، مجلد: 19، ص 12-13.

[3] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانيةبتلمسان، ص 156-157.

مِن ذلكَ أيضًا ما وردَ في رسالة مُوسى بن أبي يعقوب إلى بِترُو الرّابع لإبرام مُعاهدة صلح بعد اِسترجاع بني عبد الواد تلمسان من أيدي المرينيين، وممَّا جاء فيها قوله: "... فإنَّ الشَّرع عندنا ينقادُ إليه الصَّغير والكبير، والرَّفيع والوضيع، والغنيُّ والفقير وسائر النّاس في الحقّ سواء"[1] طابق بين الصّغير والكبير، وبين الرَّفيع والوضيع، وبين الغني والفقير.

ومن صُورهِ في الرَّسائلِ الإخوانيّة ما وردَ في رسالة الفقيه أبو الفضل مُحمّد بن علي التّجاني ابن عمِّ التّجاني صاحب الرِّحلة: "فأجبته بما أحببت وكتبت، وما أدري أأخطأت أم أصبت ... ومعاذ الله أن تكون هذه شكوى من تبرم بحاله، أو سئم من حلّه وترحاله، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة من رفهتني أياديه، ورفعتني خدمة ناديه، بين مراد مكثب، ومراد مخصب، غير أنّ الإنسان يقوم بعذره، ويقوم بزعمه سببا لقصور فكره وضعف نظمه ونثره، واعرف سيدي أني بلغت مخدومنا أعزّه الله سلامه، وأوضحت له إشارته في ذلك الفصل أمامه، فذكر أنَّ العقد كما كان سليم، وأنَّ النقد نبذ بالعراء وهو سقيم"[2] طابق كاتب الرِّسالة بين حله وترحاله، وبين نظمه ونثره، وبين سليم وسقيم.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة ابن هانئ إلى أبي القاسم الشّريف، وممَّا جاء فيها قوله: "... ليس أوّلوه وآخروه لك بمنكرين، ولا تجد أكثرهم شاكرين، ولولا أنْ يطول الكتاب، وينحرف الشعراء والكتّاب لفاضت ينابيع هذا الفصل فيضا، وخرجت إلى نوع آخر من البلاغة أيضا، وقرّت عيون أوِدّائك، وملئت غيضا صدور أعدائك"[3] طابق ابن هانئ السّبتي بين أوّلوه وآخروه، بين الشعراء والكتّاب، وبين أودّائك وأعدائك.

---

[1] عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانيةبتلمسان ، ص 141.

[2] أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، ص 226-227.

[3] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 464-465.

ومن ذلكَ مَا كتبه ابن خطّاب إلى أحدِ أصدقائِه إثر مَرض شديدٍ أصَابه، حيث يقول: "ولا أغفل عن مخاطبته في الدّنيا كنت أو في الآخرة"[1] فطابقَ بين الدّنيا والآخرة.

ومن صورهِ في رسائلِ المَوضُوعاتِ العامّةِ ما وردَ في رسالة ابن عميرة يصفُ شدَّة الوباء بمدينة قَابس، ويذكر كثرة عقاربها، وممَّا جاء فيها قوله: "وصلحها لا يطمع أحد فيه، فقبحت شائلة الأذناب، شاملة بالعذاب، كامنة بارزة، هامزة لامزة، تطرق بالبلية وتقسم شرّها بين البر والفاجر بالسّوية"[2] طابق ابن عميرة بين البر والفاجر.

لم يقتصر الطِّباق على أنواع الرَّسائلِ السّابقةِ في الإمارات المغربيّة، نجده أيضًا في الرَّسائل الدّينيّةِ، من ذلك ما ورد في رسالة المَغيلي إلى أمير كَانُو "وبالجملة حال الرّعية وحال السّلطان كفّتان فتصرّف في حالك بالزّيادة والنّقصان حتى يعتدل الميزان"[3] فطابقَ بين الرّعية والسّلطان، وبين الزّيادة والنّقصان.

ومن ذلك قوله أيضًا: "حتى لا يخفى عليه شيء من حركاتهم وسكناتهم في كلّ زمان، فإنّ الجهل عمى، والبصيرة يغلب ألف عمى"[4] طابق بين سكناتهم وحركاتهم، وبين البصيرة وأعمى.

أمّا الوجهُ الثّاني من الطِّباق فقليل جِدًّا، نجده ينحصر في الرّسائلِ الدّينيّةِ لأنَّ الغرض منها الوَعظ والإرشاد، وهو ما يُناسِب مَقصدية الكَاتب، ومن صورهِ ما وردَ في رسالة المَغيلي إلى أمير كَانُو، وممَّا جاء فيها قوله: "وما يؤخذ من تجار أهلها، وتركة لا وراث لها، ومال أفاد الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب"[5]، فطابقَ سلبا بين الحرب بلا حرب باستخدام النَّفي.

---

[1] إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل، ص 240-241.

[2] أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، ص 91.

[3] عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين، ص 34.

[4] نفسه، ص 39.

[5] نفسه، ص 49.

ومن ذلك مَا وردَ في حديثه عن مصارفِ الزَّكاةِ "ولا يجب تعميم الأصناف كلّها، فإن أخْرِجت لبعضها أجزأت، إلاّ أن تعطى للعامل فقط فلا تجزئ"[1] فطابق سلبا بين أجزأت فلا تجزئ بِاستخدام النّفي أيضًا.

---

[1]عبد الكريم المغيلي، تاج الدّين ، ص 56.

10. المُقابلةُ:

وهي: "أن يُؤتى بمعنيين مُتوافقين أو أكثر، ثُمَّ يؤتى بما يقابل ذلك على التّرتيب".[1]

ومن صُورِها ما ورد في رسالة المغيلي نَاصحًا أمير كَانُو، حيث يقول: "... أن يكشف عن ذمِّ النّمامين ومدح المدّاحين، فكم قرّبوا من بعيد، وكم بعدّوا من قريب! وكم حببوا من عدو، وكم كرّهوا من حبيب"[2] فالمغيلي قابل كل جملة بأخرى.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالته أيضًا: "فإن قَرُب طوّل في اعتقاله، وإن بَعُد عجّل بإرساله"[3] قابل المغيلي أيضا جملة وأخرى.

11. العَكسُ والتَّبديل:

العَكسُ هُو: "أنْ تعكِسَ الكَلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأوّل، وبعضهم يُسمّيه التّبديل"[4] ويأتي على ضربين أحدهما عكس الألفاظ والآخر عكس الحُروف[5] وهو قليل الاستعمال في رسائل الإمارات المغربيّة، ومن نماذج الضَّرب الثّاني ما ورد في رسالة السّلطان الحفصي أحمد بن أبي عبد الله إلى سلطان المماليك الظاهر برقوق مُبديا إعجابه بكتاب المماليك المرسل إليهم، حيث يقول: "ولله هو من كتاب كتب من البيان كتائب، واستأثر بفلك الإجادة فأحرز به سعادة الكاتب، فقسمًا بالقلم وما سطّر! والحبر وما حبَّر! لو رآه عبد الحميد لتركه غير حميد، أو بَصُر به لبيد لأعاده في مقام بليد ..."[6] فالكَاتب أعمل التَّقديم والتَّأخير في أحرف لفظتي "لبيد" و "بليد".

ومن ذلكَ ما جاءَ في رسالة أبي الحَسن المَريني إلى سُلطان المماليك سيف الدِّين قلاوون "والصّنائع الرَّبانيّة تُكَيفِّ العجائب، وتُعرّف العوارف الرغائب، وتشنُّف الأسماع بما

---

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 304.

[2] عبد الكريم المغيلي، المصدر نفسه، ص 40.

[3] نفسه، ص 46.

[4] أبو هلال العسكري، الصّناعتين، ص 371.

[5] ابن الأثير، المثل السّائر، ج1، ص 273.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 83.

تُسمعها من إجزال المنوح والمواهب، وتَفوُّق الرِّقاع بما تودعها من أحاديث الفتوح الغرائب"[1] أعمل الكاتب التَّقديم والتأخير في أحرف لفظتي: "الرغائب" و "الغرائب" ومن ذلك أيضا قوله: "وأنّ الإخاء الكريم حصل له بذلك أبهى اِبتهاج، وحلَّ منه محلَّ القبول الذي اِنتهج له من اِقتفى سبيل القصد أنهى اِبتهاج" أعمل التقديم والتأخير في أحرف لفظتي: "اِبتهاج" و "اِنتهاج".

ومن أمثلتهِ في الرَّسائلِ الإخوانيّة ما جاءَ في رسالة ابن هانئ السّبتي إلى أبي القَاسم الشَّريف "وأجرى وفق أو فوق إرادتك إرادتي"[2] أعمل اِبن هانئ التّقديم والتّأخير في أحرف لفظتي" "وفق" و "فوق".

12. الخَيالُ والصُّورُ البيانيّة:

اِعتمدَ كُتّابُ الرَّسائلِ في الإمارات المغربيّة على الخيال والصُّور البيانيّة لإبراز مَضامينها وإيصال أفكارهم ومَعانيهم في صورةٍ أروعَ من حقيقتها، مُدركين أنَّ جمال التّصويرِ وروعة البيانِ وراء كلّ تأثيرٍ[3]، ولم يكن تَوظيف ذلك مُقتصرا على نوعٍ واحدٍ من الرَّسائل، بل نجده حتى في الرَّسائل الدّيوانية التي تكون عادة بعيدة عن ذلك لاهتمامها بأمور السّلطة وتشريعاتها فهذه الرِّسالة الدّيوانية التي أرسَلها أبو الحسن المريني إلى المماليك يصّور فيها جزءً من معركتهم مع الزّيانيين في مدينة تلمسان "فنزلنا بساحة وأقبلنا على كفاحه، وجعلينا تقذفهم من حجارة المجانيق، بأمثال النّيف، ومن كيزان النّفط المُوقدة بأمثال الشّهب المُوصدة، ومن السِّهام العقّارة، بأمثال العقارب الجرّارة"[4]

---

[1] نفسه، ص 89.

[2] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 462.

[3] ينظر: صلاح الدّين عبد التّواب، الصّورة الأدبية في القرآن الكريم، الشّركة المصرية العالمية للنّشر والتّوزيع، لونجمان ط1،1995، ص 11.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 94-95.

ومن ذلكَ ما وردَ في رسالة ابن حاج النميري يصف حال أهل قسنطينة بعد اِجتيازها من طرفِ المَرينيين "وما اِجتزنا على أبواب قَسنطينة حتى ألقوا إلينا أيدي الإذعان، وسَقط في أيديهم سقوطًا علت به والحمد لله كلمة الإسلام، وداخلهم الرّعب الذي أضحت به قلوبهم كأعلامنا خافقة، ورأوا ما لا طاقة لهم به، فأظهروا توبة نصوحاً، وإنابة صَادقة"[1] ومن ذلك ما ورد في رسالة ابن الآبّار مَادِحًا المُستنصر الحفصي بعد جلبه المَاء إلى حَاضرة تُونس "مولانا أيّده الله عزّ مكانها، وخلّدت سديدة آثارها، شديدة أركانها لا جرم أنّه الطّاهر كالماء الذي جلبه للطهارة، والظاهر ولاء ولواء في مصْعَد الخلافة ومقعد الإمارة"[2]

ومن مَصادرِ الصُّورة البيانيّة في رسائل الإمارات المغربيّة القرآن الكريم، فقد استوحَى أبو المطرف بن عميرة آياته مادحًا الإمارة الحفصية "ذلك أنّ أمرها يعلو كلّ أمر ويوم منها كليلة القدر خيرٌ من ألف شهر".[3]

كمَا نجدُ ابن هانئ السّبتي يَستعيرُ من الأمثالِ العربيّة عندما عبَّر عن إعجابِه بقصيدة أبي قاسم الشَّريف "... رافع عمود الصبح المبين، أيّد من الفصاحة بإياد فلم يحفل بصاحبي طيئ وإياد، وكسي نصاعة البلاغة، فلم يعبأ بمهّام وابن المراغة"[4]

كما اِعتمدَ كتَّابُ الإمارات في صُورهم على التّشخيص والتَّجسيم، ومن أمثلةِ ذلكَ مَا وردَ في مقدمة رسالة المَغيلي إلى سُلطان كَانُو "إنْ عدل الأمير ذبحته التَّقوى، بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التّقوى"[5] ومن ذلك ما ورد في رسالة الحضرمي مهنئا بولد "وعليَّ الخير الذي اِستهلت به النّفس فرحًا، وتهلل به الوجه مرحًا

---

[1] ابن حاج النميري، فيض العباب، ص 317-318.

[2] المقري، أزهار الرّياض، ج3، ص 212.

[3] أبو القاسم الشّريف، رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة، ص 450.

[4] عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج3، ص 462.

[5] المغيلي، تاج الدّين، ص 16.

بطلوع الولد المبارك المسعود، والسلامة الزكية، والفرع المحمود، الذي زاد عدد الكرام وتبسمت بطلوعه ثغور الأيام، واِهتز بهيبته روض المجد والجود"[1]

وبعض الكُتّاب يلجؤون إلى الكنايات في رسائلهم، ومن ذلك ما وردَ في رسالة السُّلطان الحَفصي أحمد بن أبي عبد الله إلى المَماليك عن غزو أسطولهم للنّصارى "فأرسلنا عليهم من أسطولنا المنصور غربانا نعقت عليهم بالمنون، وعرّفت المُسلمين بركة هذا الطائر المَيمون"[2] ومن ذلك ما ورد في رسالة المغيلي إلى سلطان كَانُو يحثّه على الحذر أثناء إقامته وسفره "فأظهر القوة والجلد، والزهد في الصحابة والولد، والرغبة في الأبطال والعدد، وانهض عن مجاورة الهرّ والفأر، لمساورة ليوث القفار"[3]

---

[1] إدريس البلغيثي، سلسلة ذخائر التّراث الأدبي المغربي، ع: 26، ص 25.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 84.

[3] المغيلي، تاج الدّين، ص 29.

خاتمـة

خَـاتمة:

تُمثِّل رَسائل الإمَارات المَغربيّة (الحفصيّة، الزّيانيّة، المرينيّة) أهميةً كبيرةً لكلِّ دارسٍ للتّاريخ، أو الأدبِ، أو السِّياسةِ في تلك الحقبة الزَّمنية، فالكثيرُ مِنها أرَّخ لحوادثَ ووقائعَ أغفلَت عنها المَصادر التَّاريخية، وبعضها أمَاطَ اللّثامَ عن جَوانب مُختلفة تخصّ المُعاملات والعلاقات السّياسية بين الدُّول، كمَا صَوَّرت النَّهضة الكبيرة التي شهدتها الإمارات المغربيّة الثّلاث في ميادينَ مُختلفةٍ.

وكانَت الرَّسائل في تلك الفترة من أبرز وَسائل الإتصال والإعلام ما جَعلَ السَّلاطين يَهتمُون بها ويُنشؤون لهَا دِيوانًا خاصًّا بها مُختارين لهُ أفضلَ الكُتّـابِ وأبرعهم كابن الآبّار والتّيجاني في ديوان الإنشاء الحَفصي، وابن خطّاب وابن هدية في ديوان الإنشاء الزّياني، وعبد المُهيمن الحَضرمي في ديوان الإنشاء المريني وجعلوا في الدِّيوان كُتّابًا خَاصين بالعَلامَةِ السُّلطانيةِ.

كمَا اِهتمَّ بها الأدباء فعالجوا من خِلالها شَتى المَواضيع، وعبَّروا عن طريقِها مَا يَختلجُ في نفوسِهم، كمَا وظَّفها الفقهاء للنُّصح والإرشادِ فكانَت بحقٍّ مواكبة لجميع مظاهر الحياة في الإمارات المغربيّة الثّلاث.

وبعدَ البَحثِ عن رسائل تلك الفترة وتَحليلها والتَّعمق في دراسةِ خَصائِصها الفنيّة تَوصَلْنا إلى مَجموعةٍ من النَّتائج أهمُّها:

- ضَياعُ عددٍ كبيرٍ من رسائلِ الإمارات المغربيّة خاصَّة الزّيانيّة التي شهدت اِضطراباتٍ عَديدةٍ بسبب الهَجمات الحَفصية والمرينيّة المُتكرّرة.
- تَنوّعُ الرَّسائلِ من حيث المَوضُوعات والأغراض فنجد الرَّسائل الدّيوانية تضمُّ الفُتوحات والبَيعات والتَّهاني والجِهاد والظَّهائر والمُعاهدات، كما تنوّعَت مَوضُوعات الرَّسائل الإخوانيّة بين تهانٍ وتشوق وتعازٍ وإخبار وإشادة واِحتفاءً ببلاغة أحد الأدباء.

- **اِحتواءُ مُقدّمات الرَّسائل الدِّيوانية في الغالب على خطب طويلةٍ قبلَ الوُلوج إلى الغرض المَقصود.**
- **اِستهلالُ أغلب الرَّسائل الإخوانية بقصائدَ أو مَقطوعاتٍ شعريةٍ، ثمّ اِتباع ذلك نثرًا.**
- **تنوّعُ الرَّسائل بينَ الإيجار والإطناب، فبعضُها يطول بسببِ الخطب الطَّويلة قبل الوُلوج إلى الغَرض المَقصود كالرّسائلِ المُرسلةِ إلى سلاطين المَماليك، في حين كان الإيجار السِّمة البارزة في رسائل المُعاهدات، أمَّا الرَّسائل الإخوانيّة فتميّزت أغلبها بالتَّوسطِ والاِعتدالِ مِثلُها مثل الرَّسائل السّلطانية أو رسائل المَوضُوعات العامَّة، أو الرَّسائل الدّينيّة بِاستثناء رسالة المغيلي إلى سلطان كَانُو.**
- **حِرصُ أغلب كُتّابِ الرَّسائل بأنواعها المُختلفة على الاِقتباس من القرآن الكريمِ وبدرجةٍ أقل من الحَديث النّبوي الشَّريف.**
- **توظيفُ التُّراث العربي كالأبيات الشعرية أو الأمثال والحكم العربيّة.**
- **كثرةُ المُحسناتِ البديعيّة اللّفظية وأبرزها السَّجع والجناس والاِزدواج.**
- **اِهتمامُ الكُتّابِ بالمعنى فحرصُوا على اِيصالهِ بأسلوبٍ جميلٍ ومؤثرٍ من خلال توظيف مُختلف الصُّور البيانيّةِ.**

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمرجع:

I. القرآن الكريم(رواية حفص عن عاصم)

II.<u>المصادر:</u>

1. **ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزّمان بأخبارملوك تونس وعهد الأمان، ج1، تح: لجنة من كتابة الدّولة للشؤون الثّقافية والأخبار، الدّار التونسية للنّشر ط2، 1976.**
2. **ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدّولة التّونسية تونس، ط1، 1286.**
3. **ابن أبي زرع، الذّخيرة السّنية في تاريخ الدّولة المرينية تحقيق: محمّد بن أبي شنب مطبعة جول كربونل–الجزائر.**
4. **اِبن الآبّار، الدّيوان، تح: عبد السّلام الهرّاس، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، 1999.**
5. **ابن الأثير ضياء الدّين، المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ج1، دار النهضة مصر للطّباعة والنّشر، ط2، 1973.**
6. **ابن الأثيرضياء الدّين، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تح: يحي عبد العظيم سلسلة الذّخائر، العدد 121، شركة الأمل للطّباعة والنّشر، القاهرة، مصر، 2004**
7. **ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تح: محمد بن تاويت التطواني، معهد مولاي الحسن للبحوث، المغرب، 1964.**
8. **ابن الأحمر، نثير الجمان شعر من نظمني وإيّاه الزّمان، تح: محمد رضوان الدّاية، مؤسّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1987.**

9. البخاري، صحيح بخاري، تح: مختار أحمد الندوي،ج8، مكتبة الرشد، الرّياض السّعودية ، ط1، 2003.

10. البخاري، صحيح البخاري، ج9، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

11. ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تح: ناصرمحمدي محمّد جاد دار الآفاق العلميّة، القاهرة، مصر،ط2010،1.

12. ابن الشّماع، الأدلة البينة النّورانية في مفاخر الدّولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمّد المعموري، الدّار العربيّة للكتاب، دط، 1984.

13. ابن منظور، لسان العرب،ج3،تح: هاشم محمد الشاذلي، عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، دار المعارف.

14. ابن حاج النّميري، فيض العباب، دراسة وإعداد محمّد: ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، دط، 1990.

15. ابن خلدون زكرياء، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد. تقديم وتحقيق وتعليق بوزياني الدّراجي، ج2، دار الأمل الجزائر، 2007.

16. ابن خلدون زكرياء، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد، ج1،مطبعة بيرفونطانيا الشّرقية، الجزائر، 1903.

17. ابن خلدون عبد الرّحمان، التعريف بِابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، دط، 1989.

18. ابن خلدون عبد الرّحمان، العبر، ج1، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدّولية، دون بلد، دط، دون سنة.

19. ابن خلدون عبد الرّحمان، المقدمة، ج2، تح: عبد الله محمّد الدّرويش، دار البلخي، دمشق، سوريا، ط1، 2004.

20. ابن خلدون عبد الرّحمان، المقدمة، ج6،ج7، تح: خليل شحادة وسهيل ركار، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 2000.

21. ابن سعيد، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح: إبراهيم الأبياري المطبعة الأميرية، مصر، دط، 1959.

22. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج2، تح: شوقي ضيف، دار المعارف ط4.

23. ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، تج: جودة الركابي دمشق، سوريا، دط، 1949.

24. ابن عميرة، بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف،جمعها: أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي،تح: محمّد بن معمر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

25. ابن قنفد القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدّولة الحفصية، تح: محمّد الشاذلي النّيفر وعبد المجيد التركي، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، دط، 1968.

26. ابن مريم، البستان في ذكر أولياء تلمسان، تح: ابن أبي شنب، المطبعة الثّعالبية، الجزائر، دط، 1908.

27. ابنالصّيرفي، قانون ديوان الرّسائل، تح: على بهجت، مطبعة الواعظ، مصر ط1، 1905.

28. أبو الحسن القرطاجني، أبو الحسن حازم، قصائد ومقطعات، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، الدّار التّونسية للنشر، تونس، 1972.

29. أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب ابن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1986.

30. أبو الحسن حازم القرطاجني، ديوان حازم القرطاجني، تح: عثمان العكّاك دار الثّقافة، بيروت، لبنان، دط، د س ن.

31. أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح: محمد أبو الأجفان، الشّركة التّونسية للتّوزيع، تونس، دط، 1978.

32. أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني، مجمع الأمثال ج1،المعاونية الثّقافية للآستانة الرّضوية المقدسة، دب، دط، 1344هـ.

33. أبو القاسم محمّد الشريف السّبتي، رفع الحجب المستور عن محاسن المقصورة، ج2، تحقيق محمّد الحجوي، مطبعة فضالة، المغرب، 1997.

34. أبو القاسم محمّد بن عبد الغفور الكلاعي الإشبيلي الأندلسي، إحكام صنعة الكلام،تح: محمّد رضوان الدّاية، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، دط، 1966.

35. أبو حمّو موسى الزّياني، واسطة السّلوك في سياسة الملوك، مطبعة الدّولة التّونسية، تونس، 1862.

36. أبو عبد الله بن أحمد بن محمّد بن غازي العثماني، الرّوض الهتون في أخبار مكناسة الزّيتون، المغرب، 1952.

37. أبو نواس، ديوان أبي نواس،تح:عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1982.

38. أبو هلال العسكري، الصّناعتين، تح: علي محمد البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1958.

39. أحمد التّجاني، رحلة التّجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، دط، 1981.

40. أحمد المقرّي التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج1،ج3 تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة.

41. أحمد المقرّي، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب، ج2،ج6، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1968.

42. أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، تق: عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط2، د س ن.

43. أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرّباط، المغرب، دط، 1973.

44. إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصّالحين بفاس، ج2، تح: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط، د ت.

45. الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا،ج1، ترجمة محمد حجي ومحمّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1983،2.

46. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السّلف، مطبعة بييرفونتانة الشّرقية، الجزائر، 1906.

47. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2003،1.

48. روضة النّسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرّباط، المغرب 1962.

49. الزّركشي، تاريخ الدّولتين الموحدية والحفصية، تح:محمد ماضور،المكتبة العتيقة،تونس، ط2، دت.

50. السّكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، ط1، 2000.

51. شهاب الدّين الحلبي، حسن التّوسل إلى إضافة التّرسل، المطبعة الوهبية مصر، دط، 1881.

52. عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2،1965.

53. عبد الرّحيم بن علي شيت القرشي، معالم الكتابة ومغانم الإصابة، تح: الخوري قسطنطين الباشا المخلصي، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، دط، 1913.

54. عبد القهار الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، علق حواشيها محمّد رشيد رضا، عن نسخة الشّيخ محمد عبده، دارالكتب العلميّة، بيروت، لبنان ط1، 1988.

55. العبدري، رحلة العبدري، تح: إبراهيم كردي، دار سعد الدّين، دمشق، سوريا ط2، 2005.

56. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرّباط، المغرب،ط2، 1991.

57. الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية تح: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ط2، 1989.

58. القلقشندي، صبح الأعشى،ج1،ج5،ج7،ج8،ج9، دار الكتب المصرية القاهرة، مصر، 1922.

59. مسلم،صحيح مسلم، ج4، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، لبنان.

60. مسلم، صحيح مسلم، ج3، دار الحديث، مصر،ط1، 1991.

61. محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، تح: محمد العنابي، المكتبة العتيقة تونس، د ط.

62. محمّد بن القاسم الأنصاري السّبتي، اختصار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تح: عبد الوهاب بن منصور، الرّباط، المغرب، ط1983،2.

63. محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني، تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، تح: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،ط1 1994.

64. محمّد بن عبد المنعم الحميري، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدلبرغ لبنان، بيروت، لبنان، تحقيق إحسان عباس، ط1،دت.

65. محمّد بن مرزوق، المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسنتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 1981.

66. محمّد عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّرر العقيان في بيان شرف تلمسان، تحقيق محمود أغا ابو عياد، موفم للنّشر الجزائر،2011.

67. محمّد قاسم مخلوف، شجرة النّور الزّكية في طبقات المالكية، ج1، تح: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

68. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق سعد زغلول عبد الحميد، د ط، د ت، د ر.

69. مؤلف مجهول، الذّخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تح: محمد بن أبي شنب مطبعة جول كربونل–الجزائر 1920.

70. مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، ج2، تح: بوزياني الدّراجي، مؤسسة بوزياني للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013.

71. الميداني، مجمع الأمثال، ج2،المعاونية الثّقافية للآستانة الرّضوية المقدّسة، دب، دط، 1344هـ.

72. الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمّد حجي، ج2، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة للملكة المغربيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، دط، 1981.

73. ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلّد الثّاني، دار بيروت، لبنان، 1977.

IV. المراجع:

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التّاريخ، ج2، دار الرّشاد الحديثة، دار البيضاء المغرب، دط، 2000.

2. ابن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، ج1، الدّار التّونسية للنّشر، تونس، دط 1984.

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1998.

4. أحمد الطّويلي، الحياة الأدبيّة بتونس في العهد الحفصي، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، دط، 1996.

5. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط وتدقيق وتعليق: يوسف الصميلي المكتبة العصريّة، بيروت، 1999.

6. أحمد عزاوي، رسائل الموحدية، ج1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة القنيطرة، المغرب، ط1، 1995.

7. إدريس البلغيثي، مجاميع فن التّرسيل في عصر الموحدين بالمغرب والأندلس مطابع الرّباط، المغرب، ط1،2013.
8. أنيس المقدسي، تطور الأساليب النّثرية في الأدب العربي، ج1، منشورات الدّائرة العربيّة.
9. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربيّة، دار المنارة، جدة ودار الرّفاعي، الرّياض المملكة العربيّة السعودية، ط3،1988.
10. بوتورنو، فاس في عصر بني مرين، تر: نيكولا زياده،مؤسسة فرنكلين بيروت ونيويورك، دط،1967.
11. بوزياني الدّراجي، أدباء وشعراء تلمسان، ج2، دار الأمل للدّراسات والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2011.
12. جمال عبد الكريم، الموريسكيون تاريخهم وأدبهم، مكتبة نهضة الشّرق القاهرة، مصر، دط، دت.
13. الحاج محمّد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2011.
14. حسين نصّار، نشأة الكتابة الفنيّة في الأدب العربي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة ط1، 2002.
15. خير الدّين الزركلي، الأعلام، ج1،ج8، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط1، 1995.
16. راغب السّرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، ج1، مؤسّسة اِقرأ للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2009.

17. ربحي مصطفى عليان، المكتبات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999.

18. روباربرنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تر: حمّادي السّاحلي ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

19. سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط1، 1990.

20. السّلاوي النّاصري، الاستسقا، ج3،ج4، تحقيق جعفر الناصري ومحمّد الناصري دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1997.

21. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ج9، منشورات ذوي القربى، مطبعة ستاره، ط1، 1428هـ.

22. صلاح الدّين عبد التّواب، الصّورة الأدبية في القرآن الكريم، الشّركة المصرية العالمية للنّشر والتّوزيع، لونجمان،ط1، 1995.

23. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسّسة نويهض الثّقافيّة، بيروت لبنان، ط2، 1980.

24. عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزّياني حياته وآثاره، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، دط، 1974.

25. عبد الرّحمان حمّادو الكُتبي، مع المغيلي ابن عبد الكريم (صاحب نازلة يهود توات، حقائق ووثائق)، مؤسّسة البلاغ للنّشر والدّراسات والأبحاث، باب الزّوار، الجزائر، 2013.

26. عبد العزيز عتيق، في النّقد الأدبي، دار النّهضة العربيّة بيروت، لبنان ط2، 1972.

27. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1،ج2، موفر للنّشر والتّوزيع الجزائر، دط، 2002.

28. عبد العزيز فيلالي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، 2012.

29. عبد الله كنون، النّبوغ المغربي، ج2،ج3، د د ن، دت، دب، ط2.

30. عبد الله كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسّياسة ج2، مركز التّراث الثّقافي المغربي، الدّار البيضاء، المغرب، ودار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 2010.

31. عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، ج5، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللّبناني، ط2، 1994.

32. عبد المالك موساوي، فنّ الزخرفة في العمارة الإسلاميّة بتلمسان (مساجد والمدارس)، دار السّبيل، الجزائر، ط1، 2011.

33. عبد المنعم محمد حسين، مدينة سلا في العهد الإسلامي دراسة في التّاريخ السّياسي والحضاري، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية،مصر، دط،1993.

34. عبد الهادي التّازي، التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج7، الهيئة العامّة لمكتبة الإسكندرية، دط، 1988.

35. عبد الهادي التّازي، جامع القرويين، ج2، دار نشر المعرفة، الرّباط، المغرب، ط2، 2000.

36. عبد الوهاب منصور، المنتخب النّفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر، ط1، 1365.

37. عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التّطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4، عصر الدّولة المرينية ودولة بني وطاس، الهلال العربيّة للطّباعة والنّشر، الرّباط، المغرب، ط1، 1993.

38. علي إبراهيم الكردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، وزارة الثّقافة، الهيئة العامّة السّورية للكتاب، دمشق، 2013.

39. علي محمّد صلابي، المغول والتّتار بين الانتشار والانكسار، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2009،1.

40. عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثّلثين الأول والثّاني من القرن الرّابع ميلادي، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، ط1، 2002.

41. عبد الفتاح مقلد الغنيمي،موسوعة المغرب العربي،ج5، مطبعة مدبولي القاهرة، مصر، ط1، 1994.

42. القبسي، أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير عمان، الأردن، ط1، 1988.

43. ليفي بروفانسال، مجموعة رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدّولة المؤمنية،ج10، مطبوعات معهد العلوم المغربية، الرباط، المغرب، 1941.

44. مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون،ج2، مطبعة المعارف الجديدة، 1988-1989.

46.محمّد الأنصاري، فهرست الرّصاع، تح: محمّد العنابي، المكتبة العتيقة تونس، د ط، دت.

47.محمّد الطّمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائلر، 2007.

48.محمّد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرّباط، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط3، 2000.

49.محمّد النّيفر، عنوان الأريب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 1996.

50.محمّد بن أحمد ابن شقرون، مظاهر الثقافة المغربيّة، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، دط،1985 .

51.محمّد بن خوجة، تاريخ معالم التّوحيد، تح: الجيلاني بن الحاج وحمادي السّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1985.

52.محمّد بن عبد العزيز ابن عاشور، جامع الزّيتونة المعلم ورجاله، دار شراس للنّشر، تونس، 1991.

53. محمّد بن عبد العزيز الدّباغ، من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني مكتبة الأمة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1992.

54. محمّد بن تاويت، الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى، ج2، دار الثّقافة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1983.

55.محمّد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة إفريقيا الشّرق،الدّار البيضاء المغرب، ط1991،1.

56.محمّد عادل عبد العزيز، التّربية الإسلاميّة في المغرب أصولها المشرقيّة وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، دط، 1987.

57.محمّد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني دار القلم للنّشر والتّوزيع الكويت، ط2، 1997.

58.محمّد ماهر حمادة، الوثائق السّياسية والإدارية في الأندلس وشمالي إفريقية (64-897هـ-683-1492م)، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1986.

59.محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1994.

60.محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ط1982،1.

61. محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1984.

62.محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1985.

63.محمّد محفوظ، تراجم المؤلفين التّونسيين، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1986.

64.محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مركز الهدى للدّراسات، الإسكندرية مصر، ط7، 1415هـ.

65.محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، دط، 1957.

66.مختار حساني، تاريخ الدّولة الزّيانية، ج2، منشورات الحضارة، الجزائر دط،2009.

67. مسعود رمضان شقلوف وآخرون، موسوعة الآثار الإسلامية،ج1، الدّار العربيّة للكتاب، دب، دط، 1980.

68.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربيّة في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982.

V. المجلات والدّوريات العربيّة والأجنبيّة:

1. إدريس العلوي البلغيثي، فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن خطاب، مجلة دعوة الحق، العدد: 249، 1985.
2. رشيد بوريبة، جولة عبر مساجد تلمسان، مجلة الأصالة، ع: 26،1975 .
3. قاسم عزام بهئه، الفنون البديعية في الرّسائل الإخوانية، مجلة القسم العربي، العدد 24 سنة 2017، جامعة بنجاب لاهور، باكستان.
4. مجموع من بعض رسائل أبي عبد الله محمد بن الحضرمي، سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي، العدد:26.
5. محمّد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، الأصالة، العدد،العدد:26، 1975.
6. محمّد عبد الله عنان، أربع وثائق دبلوماسية من أمراء المغرب الأوسط إلى الإمبراطور شارلكان في أوائل القرن السّادس عشر، مجلة المعهد المصري للدّراسات الإسلاميّة، مجلد: 19،ع: 1976-1978.
7. يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التّاريخية لدولة بني عبد الواد الزّيانية 1236 هـ/1554، مجلة الأصالة العدد: 26، 1975.

VI. الرّسائل الجامعية:

1. إلهام حسين دحروج، مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدّولة الحفصية، رسالة دكتوراه، القاهرة، مصر، 2000.
2. حسين تواتي، الوظائف السّلطانية في الدّولة الزيانية- الكتابة أنموذجا- شهادة ماجستير، تلمسان، الجزائر، 2014.

3. جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص منذ قيامها سنة 621هـ وحتى سنة 893هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، 2000.
4. عبد الحليم حسين جدوع الهروط، الرّسائل الدّيوانيّة في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1994.
5. محمود محمّد عبد الرّحمان، أدب الرّسائل الدّيوانيّة في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ماجستير، الجامعة الأردنية، 1991.

ملاحق

ملحق رقم 1: سلاطين الدّولة الحفصية.

اِسم السّلطان	التّاريخ الهجري	التّاريخ الميلادي
1. أبو محمد عبد الوّاحد	603-618هـ	1207م
2. أبو زكريا يحي الأوّل	625-647هـ	1249م
3. أبو عبد الله المستنصر	647-675هـ	1277م
4. أبو زكريا يحي الثّاني الواثق	675-678هـ	1279م
5. أبو اِسحاق إبراهيم الأول	678-681هـ	1283م
6. الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عماره	681-683هـ	1284م
7. أبو حفص	683-694هـ	1295م
8. أبو عبد الله محمد أبو عصيدة	694-709هـ	1309م
9. أبو يحي أبو بكر الشهيد	10 ربيع الآخر 709	1309م
10. أبو البقاء خالد الأوّل	709هـ	1311م
11. أبو يحي زكريا الأول ابن اللّحياني	711-717هـ	1317م
12. أبو عبد الله محمد أبو ضربة	717-718هـ	1318م
13. أبو بكر	718-747هـ	1346م
14. أبو حفص عمر	747هـ	1346م
15. أبو العباس أحمد	747هـ	1346م
1. أبو حفص عمر ثاني	748هـ	1347م
2. أبو الحسن المريني	748-750هـ	1350م
16. أبو العباس أحمد الفضل	750-751هـ	1350م
17. أبو إسحاق إبراهيم الثّاني	750-770هـ	1369م
18. أبو البقاء خالد الثّاني	770-772هـ	1370م
19. أبو العباس أحمد	772-796هـ	1394م
20. أبو فارس عبد العزيز	796-837هـ	1434م
21. أبو عبد الله محمد السّادس المنتصر	837-839هـ	1435م

22. أبو عمرو عثمان	839-894هـ	1488م
23. أبو زكريا يحي الثّالث	894-895هـ	1489م
24. عبد المؤمن	895هـ	1489م
25. أبو يحي زكريا الثّاني	895-899هـ	1494م
26. أبو عبد الله محمد الخامس	899-932هـ	1526م

نقلا عن ابن الشّماع: الأدلة البينة النورانية على مفاخر الدّولة الحفصيّة، ص 139-140.

ملحق رقم 2: سلاطين بني زيّان

اِسم السّلطان	التّاريخ الهجري	التّاريخ الميلادي
1. أبو يحي يغمراسن بن زيّان	633-681هـ	1235-1282م
2. أبو سعيد عثمان الأوّل بن يغمراسن	681-703هـ	1282-1303م
3. أبو زيان محمد بن عثمان الأوّل	703-707هـ	1303-1307م
4. أبو حمو موسى بن عثمان الأوّل	707-718هـ	1307-1318م
5. أبو تاشفين الأول عبد الرّحمان بن أبي حمو الأوّل	718-737هـ	1318-1337م
6. أبو سعيد عثمان الثّاني	749-753هـ	1348-1352م
7. أبو حمو موسى الثّاني بن أبي يعقوب يوسف	760-791هـ	1359-1389م
8. أبو تاشفين الثاني عبد الرّحمان بن أبي حمو الثّاني	791-795هـ	1389-1392م
9. أبو ثابت يوسف بن أبي حمو الثّاني	795-796هـ	1392-1393م
10. أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثّاني	796-797هـ	1393-1394م
11. أبو زيّان الثّاني عبد الرّحمان بن أبي حمو الثّاني	797-801هـ	1394-1399م
12. أبو محمد عبد الله الأوّل بن أبي حمو الثّاني	801-804هـ	1399-1402م
13. أبو عبد الله محمد الأوّل المعروف بِابن خولة	804-813هـ	1402-1412م
14. عبد الرّحمان الثّاني	813-814هـ	1411-1411م
15. السعيد بن أبي حمو الثّاني	814-814هـ	1412-1412م
16. أبو مالك عبد الواحد بن حمو الثّاني (المرة الأولى)	814-827هـ	1412-1424م
17. أبو عبد الله محمد الثّاني المعروف بِابن الحمراء (المرّة الأولى)	827-831هـ	1424-1428م
18. أبو مالك عبد الوّاحد (المرة الثّانية)	831-833هـ	1428-1430م
19. أبو عبد الله محمد الثّاني (المرّة الثّانية)	833-834هـ	1430-1431م
20. أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثّاني	834-866هـ	1431-1462م
21. أبو عبد الله محمد الثّالث المتوكل على الله	866-873هـ	1462-1468م

22. أبو عبد الله محمد الرّابع الثّابتي	873-910هـ	1468-1505م
23. أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثّابتي	910-922هـ	1505-1516م
24. أبو حمو الثّالث بن محمد الثّابتي (المرّة الأولى)	922-923هـ	1516-1517م
25. أبو زيان أحمد الثّالث	923-924هـ	1520-1521م
26. أبو حمو الثّالث محمد الثّابتي (المرّة الثّانية)	924-934هـ	1521-1528م
27. عبد الله بن أبي حمو الثّالث بن محمد الثّابتي	934-947هـ	1528-1540م
28. أبو زيان أحمد الثّاني بن عبد الله الثّاني	947-949هـ	1540-1542م
29. أبو عبد الله محمد بن أبي حمو	949-949هـ	1542-1542م
30. أبو زيان أحمد الاثني بن عبد الله الثّاني (المرّة الثّانية)	949-957هـ	1542-1550م
31. الحسن بن عبد الله الثّاني الزيّاني	957-962هـ	1550-1554م

نقلا عن عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزّياني، ج2، ص 500-501.

ملحق رقم 3: سلاطين وأمراء بني مرين

اِسم السّلطان	التّاريخ الهجري	التّاريخ الميلادي
1. عبد الحق أبي خالد محيو	591-614هـ	1195-1217م
2. عثمان بن عبد الحق (الأول)	614-638هـ	1217-1240م
3. محمد بن عبد الحق (الثّاني)	638-642هـ	1240-1244م
4. أبو بكر بن عبد الحق	642-656هـ	1244-1258م
5. يعقوب بن عبد الحق	656-685هـ	1258-1286م
6. يوسف بن يعقوب	685-706هـ	1286-1306م
7. عامر بن أبي عامر بن يوسف	706-708هـ	1306-1308م
8. سليمان بن أبي عامر بن يوسف	708-710هـ	1308-1310م
9. عثمان بن يعقوب (الثّاني)	710-730هـ	1310-1331م
10. علي بن عثمان	731-749هـ	1331-1348م
11. فارس بن علي	749-759هـ	1348-1358م
12. محمد بن فارس	759هـ	1358م
13. محمد السّعيد بن فارس	759-760هـ	1358-1359م
14. إبراهيم بن علي بن عثمان	760-762هـ	1359-1361م
15. تاشفين بن علي	762-763هـ	1361م
16. عبد الحليم بن عمر بن عثمان	763هـ	1361م
17. محمد بن أب الرّحمان بن علي (الثّاني)	763-786هـ	1361-1366م
18. عبد العزيز بن علي	768-774هـ	1366-1372م
19. محمد عَبْد العزيز (الثّالث)	774-776هـ	1372-1374م
20. أحمد بن إبراهيم وعبد الله الرّحمان بن أبي بلويش بن عمر حكما معًا ثم اِنفرد أحمد بن إبراهيم بالحكم بعد ثماني سنوات	776-786هـ	1374-1384م
21. موسى بن فارس	786-788هـ	1384-1386م

22. المنتصر بالله بن أحمد	788هـ	1386م
23. محمد الرابع بن أبي الفضل بن علي	788-789هـ	1386-1387م
24. أحمد بن إبراهيم (المرّة الثّانية)	789-796هـ	1387-1393م
25. أبو فارس بن أحمد	796-799هـ	1393-1396م
26. عبد العزيز بن أحمد	799-800هـ	1396-1397م
27. عبد الله بن أحمد	800-801هـ	1397-1398م
28. عثمان بن احمد (الثّاني)	801-831هـ	1398-1427م
29. عبد الحق بن عثمان (الثّاني)	831-876هـ	1427-1471م

نقلا من أحمد عودات وآخرون: تاريخ المغرب والأندلس من القرن السّادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري، ص 135-136.

ملحق رقم 4: رسالة من سلطان تونس إلى الإمبراطور شارلكان

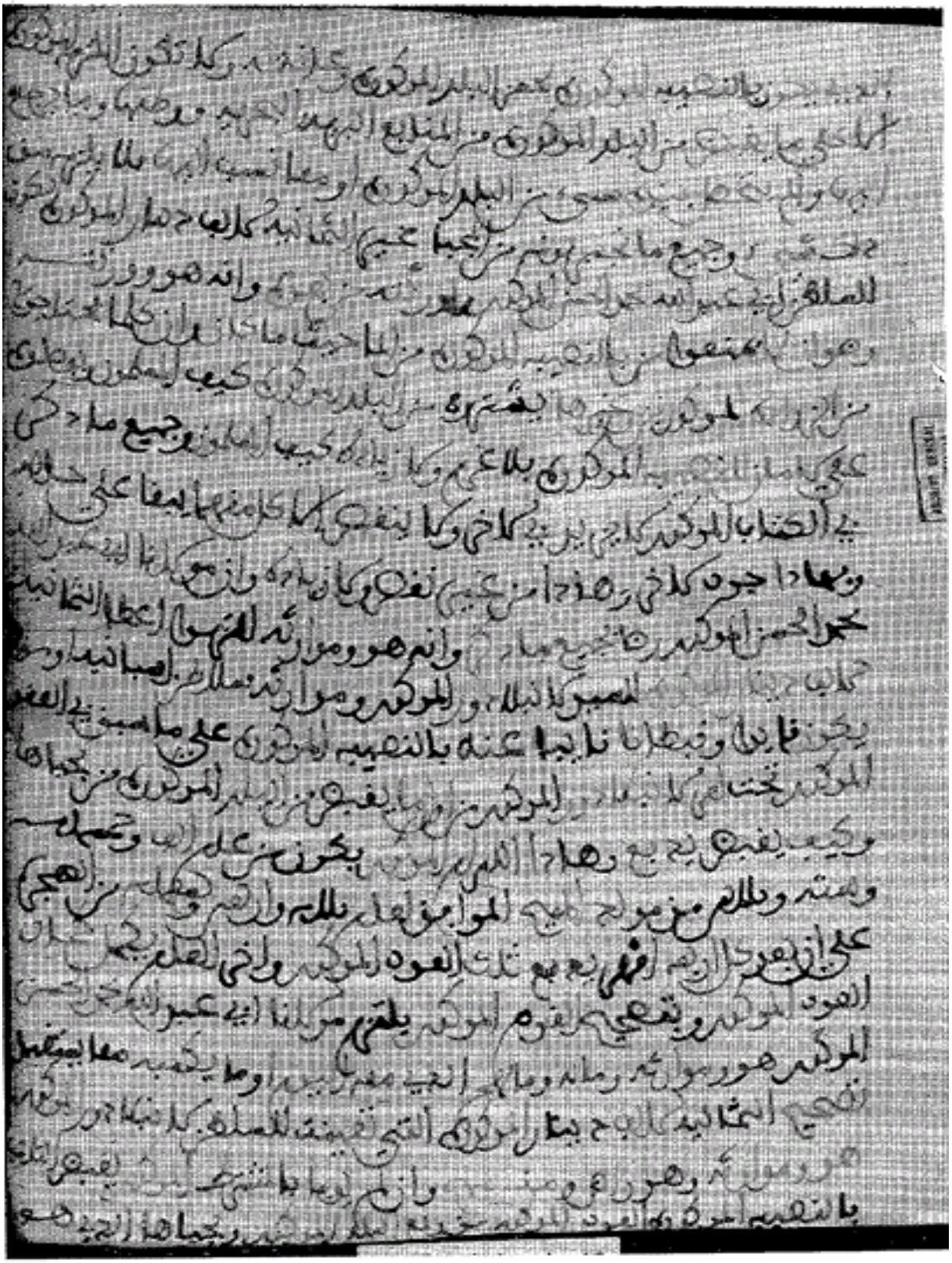

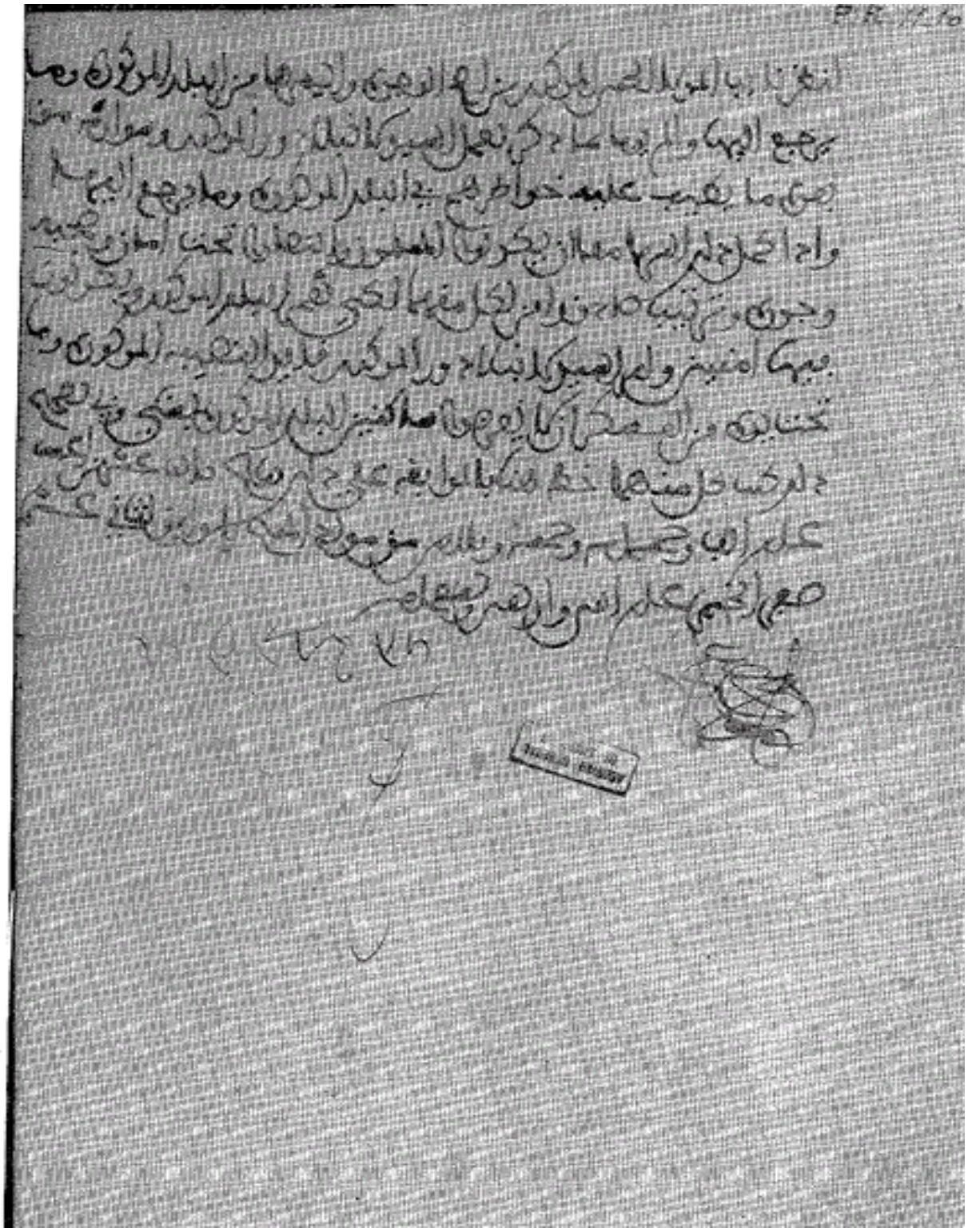

نقلا عن: عبد الله عنان، أربع وثائق دبلوماسية من أمراء المغرب الأوسط إلى الإمبراطور شارلكان

ملحق رقم 5: رسالة من سلطان تلمسان إلى الإمبراطورة دونيا إيزابيل

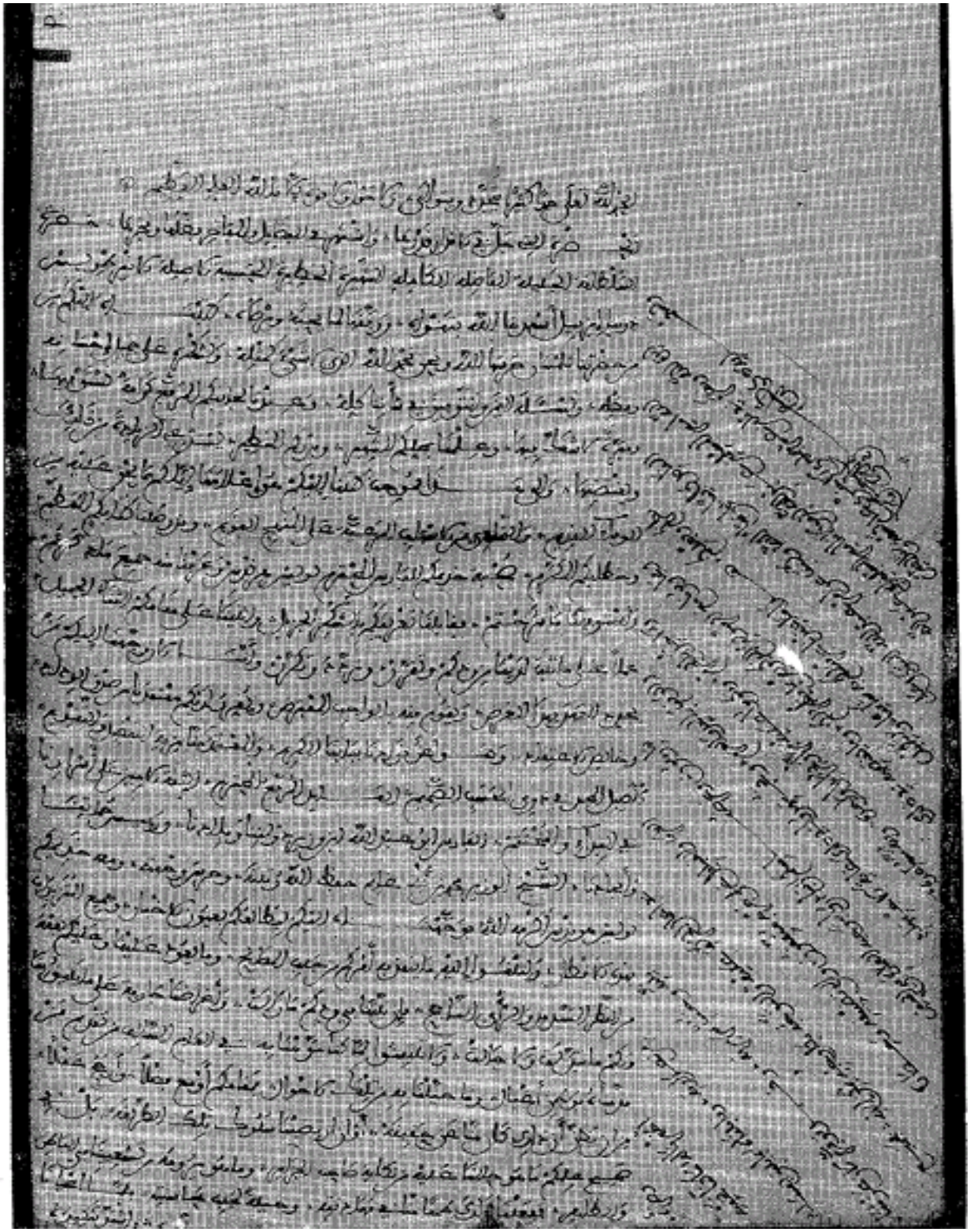

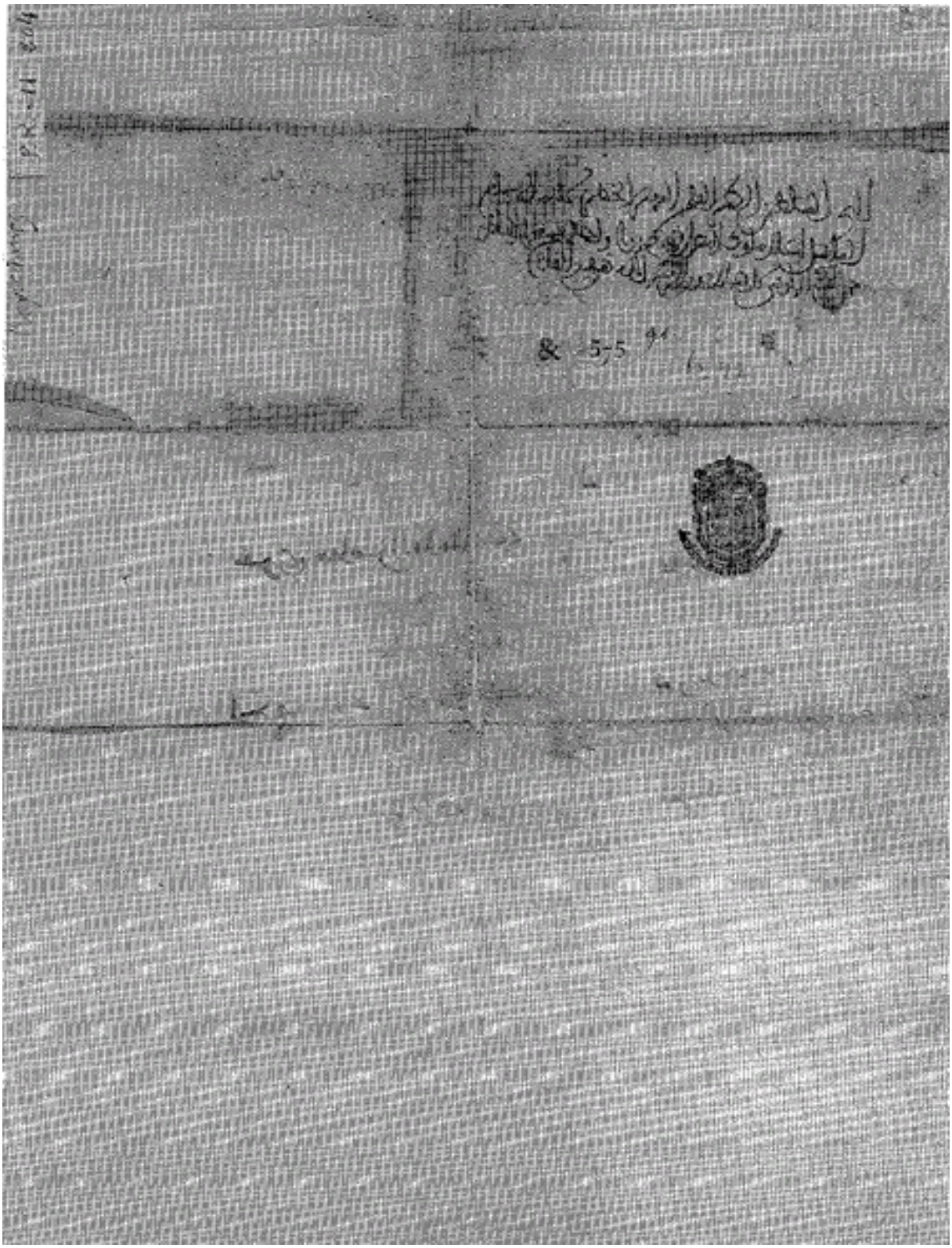

نقلا عن: عبد الله عنان، أربع وثائق دبلوماسية من أمراء المغرب الأوسط إلى الإمبراطور شارلكان

ملحق رقم 6: رسالة من السّلطان عثمان بن يغمراسن إلى الأمير الحفصي أبي فارس والي بجاية يخبره عن طاعة قبائل توجين

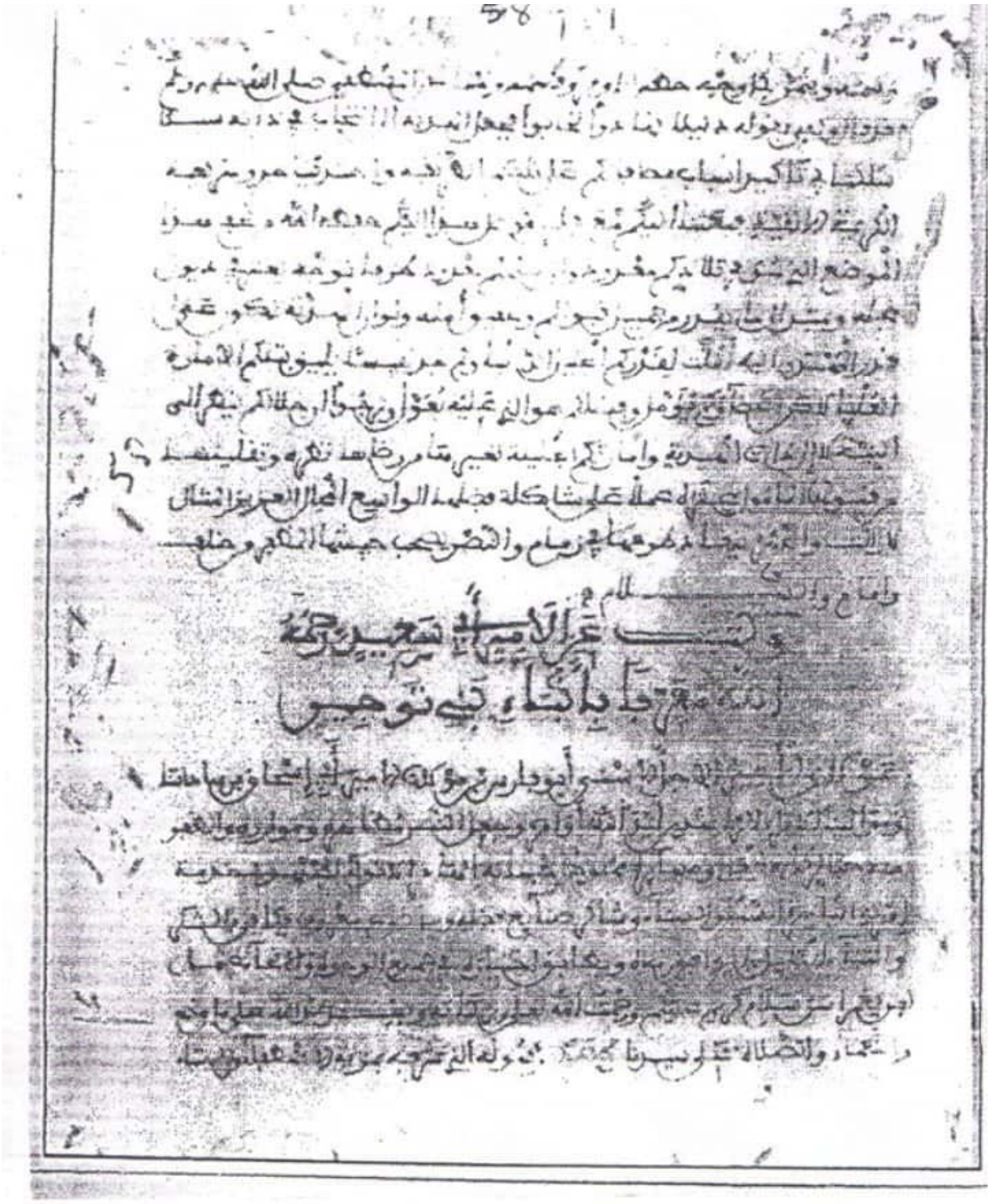

نقلا عن: حسين تواتي، الوظائف السّلطانية في الدّولة الزّيانية، ص 132.

ملحق رقم 7: رسالة السلطان أبي سالم إلى بيرناط قبريرة

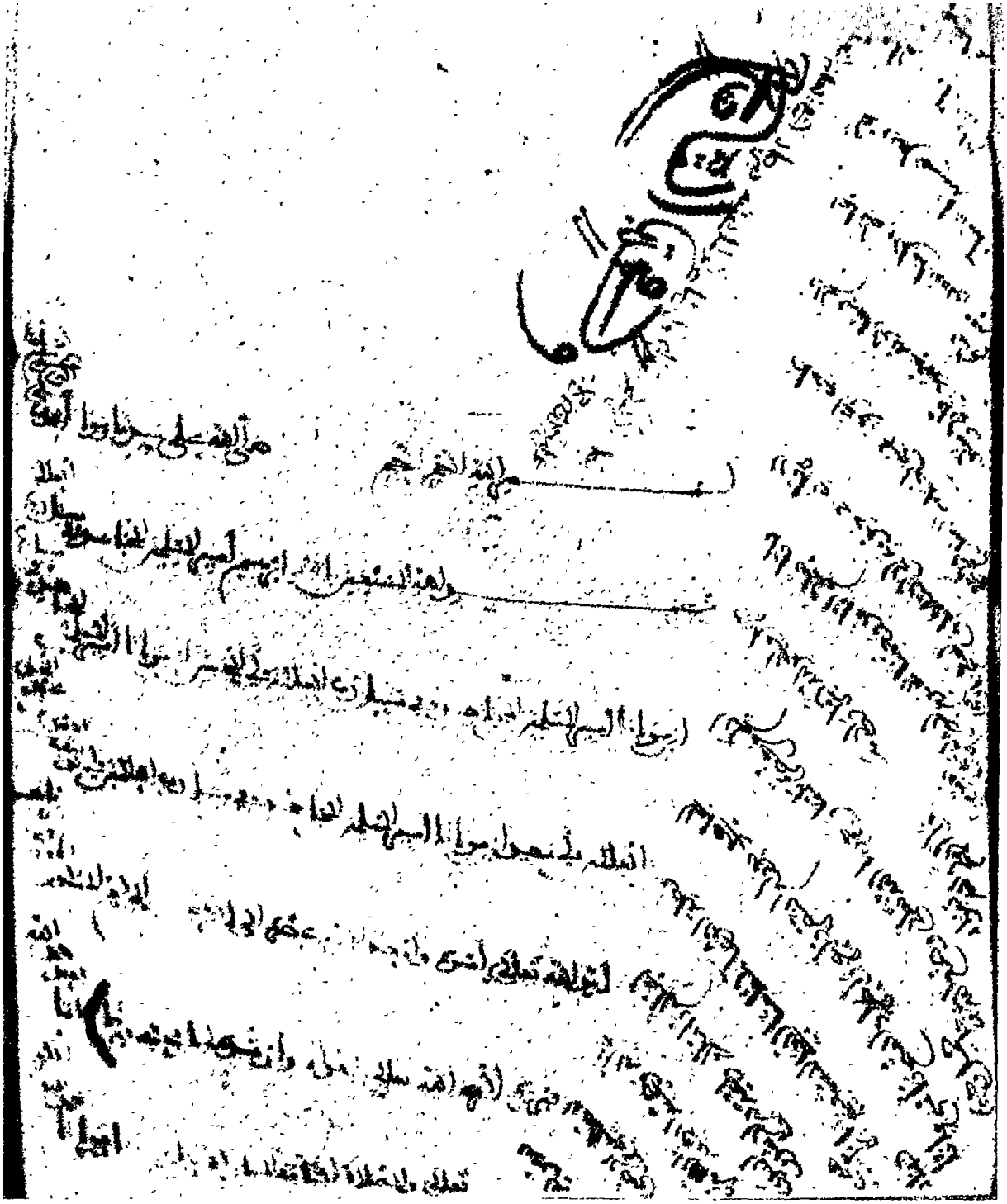

نقلا عن: عبد الهادي التازي، التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب، ج7، ص 20.

ملحق رقم 8: رسالة أبي عنان إلى الملكة دونيا لينور زوجة سلطان مملكة أراغون بتاريخ 759هـ.

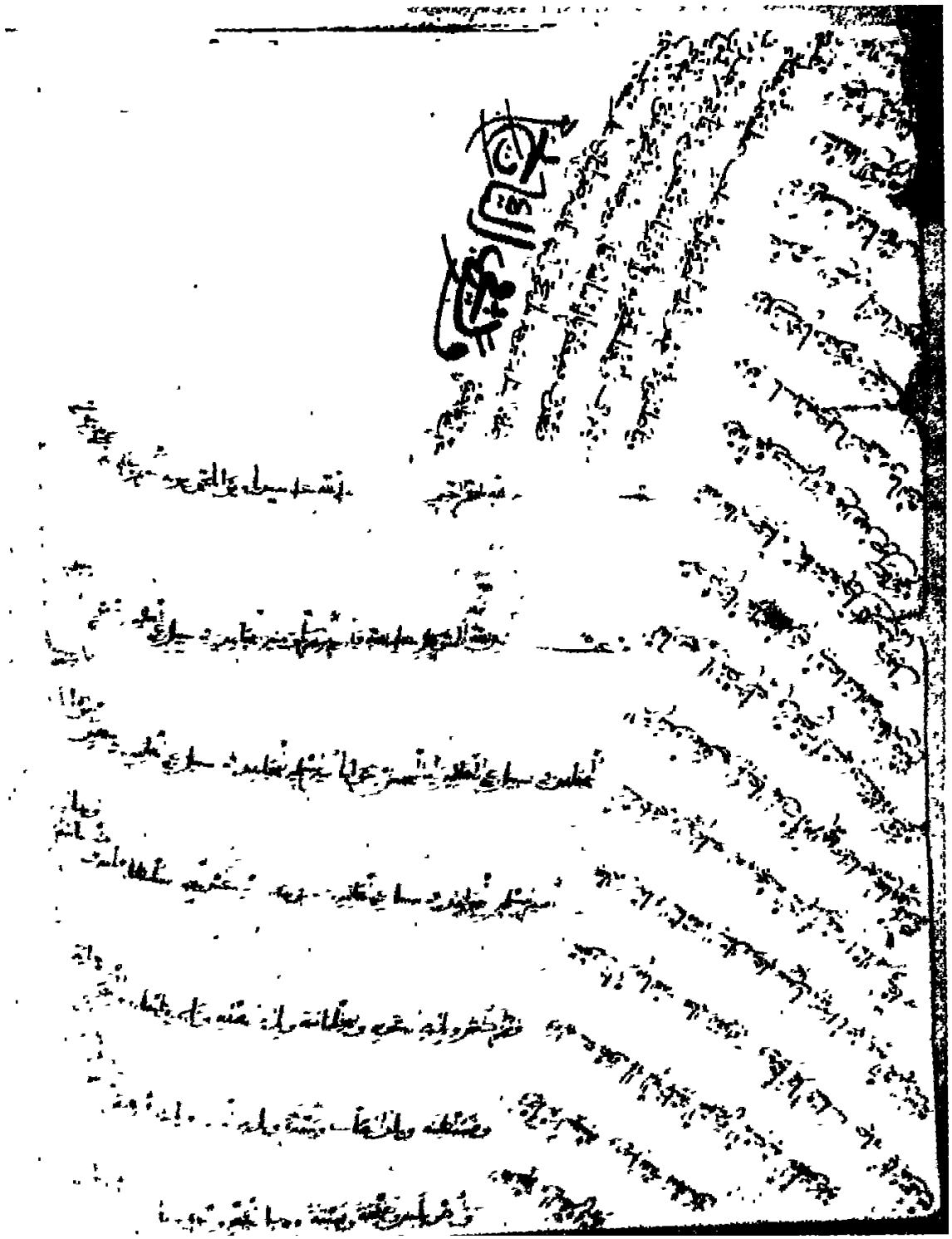

نقلا عن: عبد الهادي التازي، التّاريخ الدّبلوماسي للمغرب، ج7، ص 184.

ملحق رقم 9: جامع القصبة من بناء أبو زكرياء الأول.

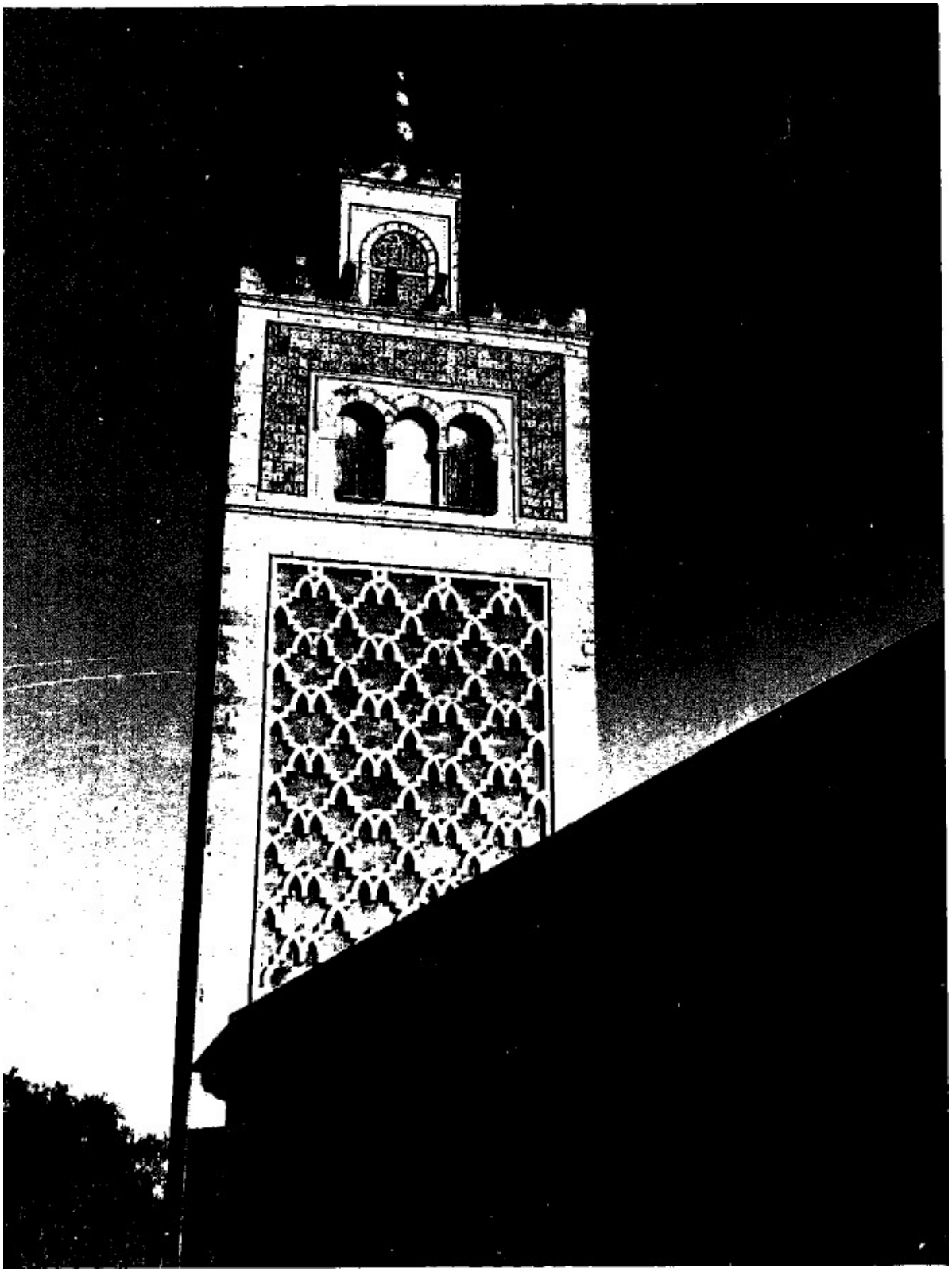

نقلا من كتاب: العروسي المطوي، السّلطنة الحفصية تاريخها السّياسي ودورها في المغرب الإسلامي، ص 130.

ملحق رقم 10: الجامع الكبير بتلمسان الصّحن والمئذنة.

نقلا عن: الحاج محمّد بن رمضان شاوش، باقة السّوسان في التّعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيّان، ص 64.

ملحق رقم 11: مسجد المشور.

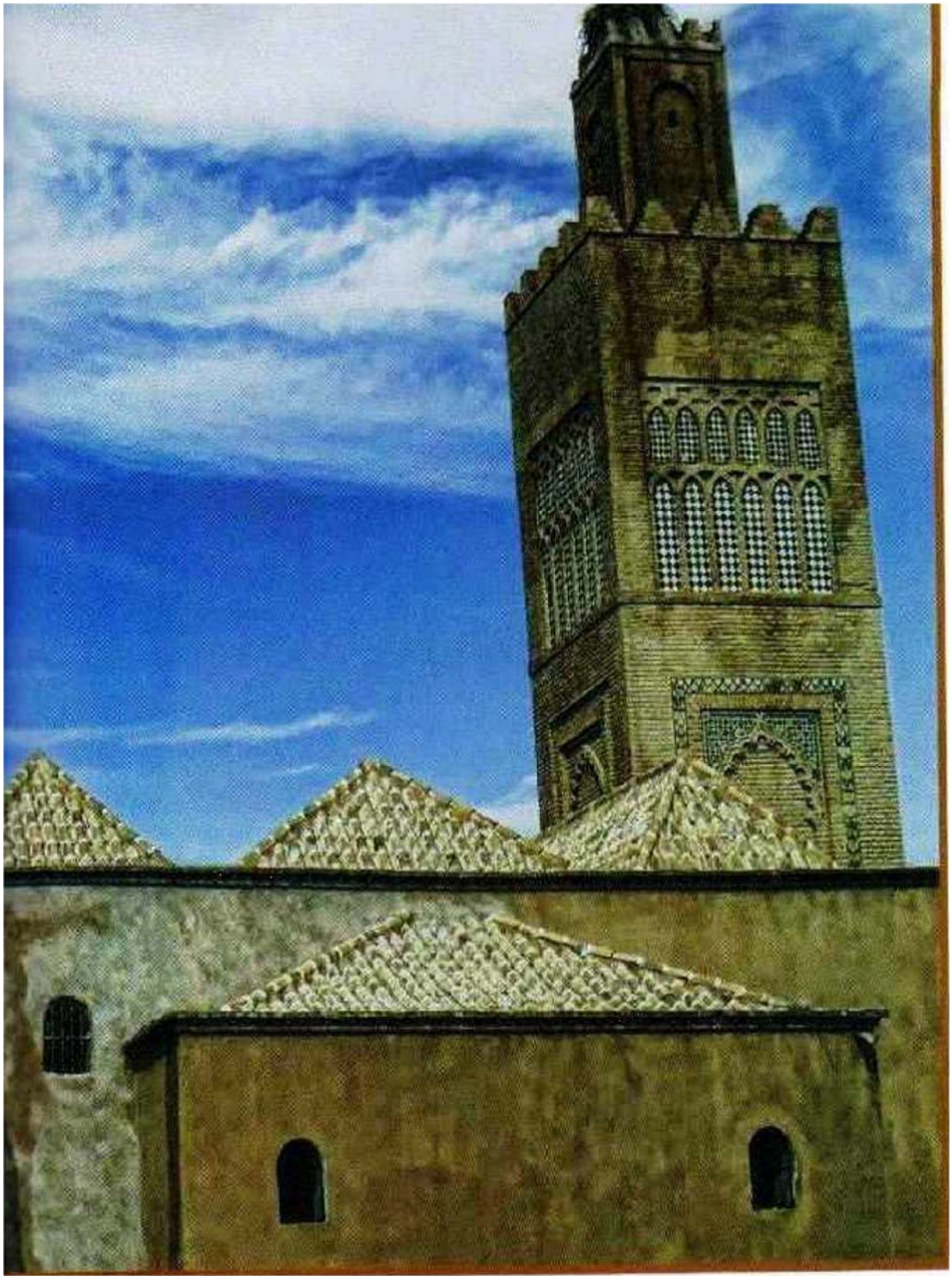

نقلا عن: عبد المالك موساوي، فن الزّخرفة في العمارة الإسلاميّة بتلمسان، ص 112.

ملحق رقم 12: مسجد سيدي الحلوي.

نقلا عن: عبد المالك موساوي، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان، ص 167.

الملحق قم 13: جامع رباط الفتح.

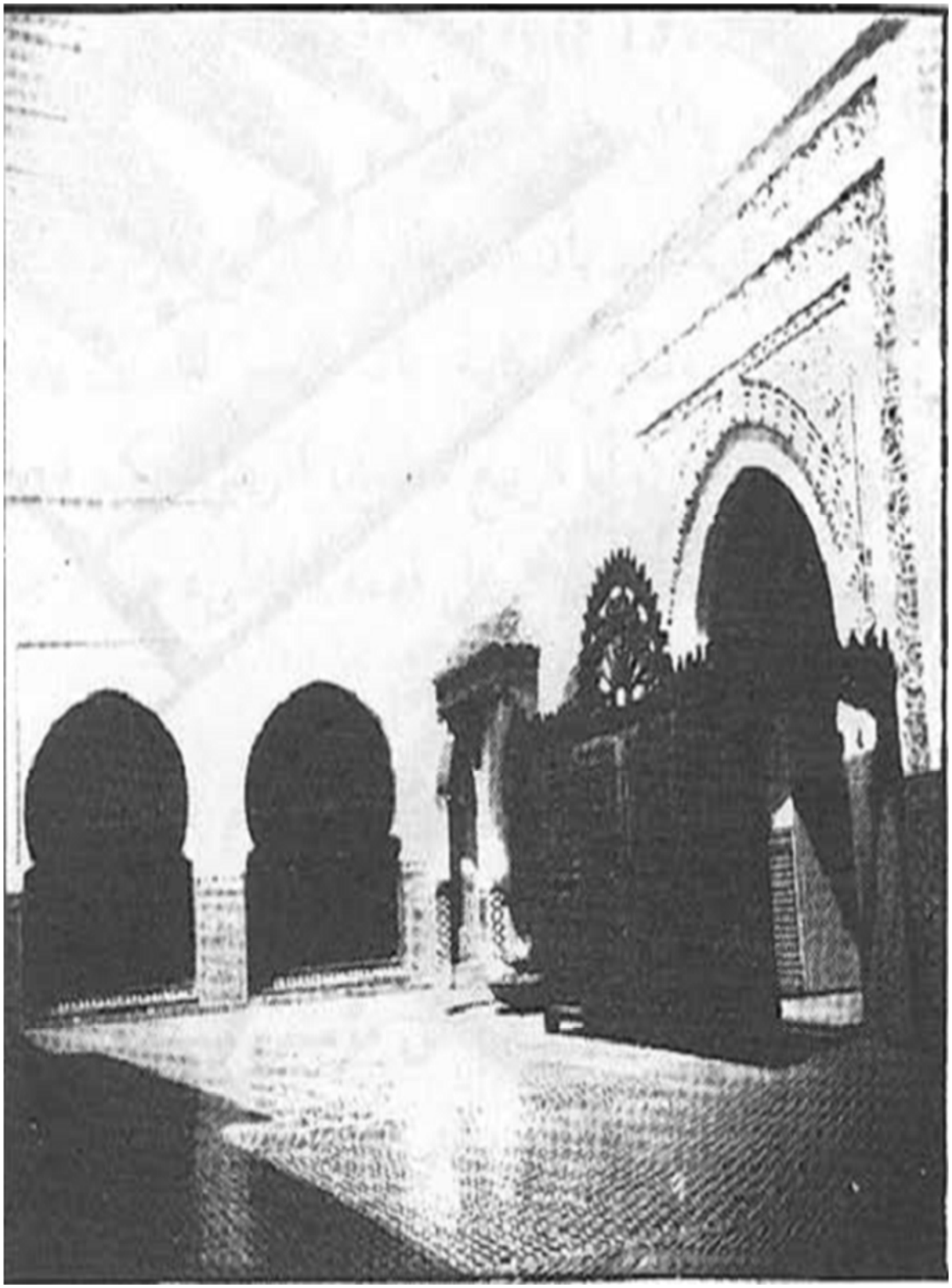

نقلا عن: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلاميّة والفنون التّطبيقية بالمغرب الأقصى، ج4، ص 167.

ملحق رقم 14: المدرسة الشّماعية.

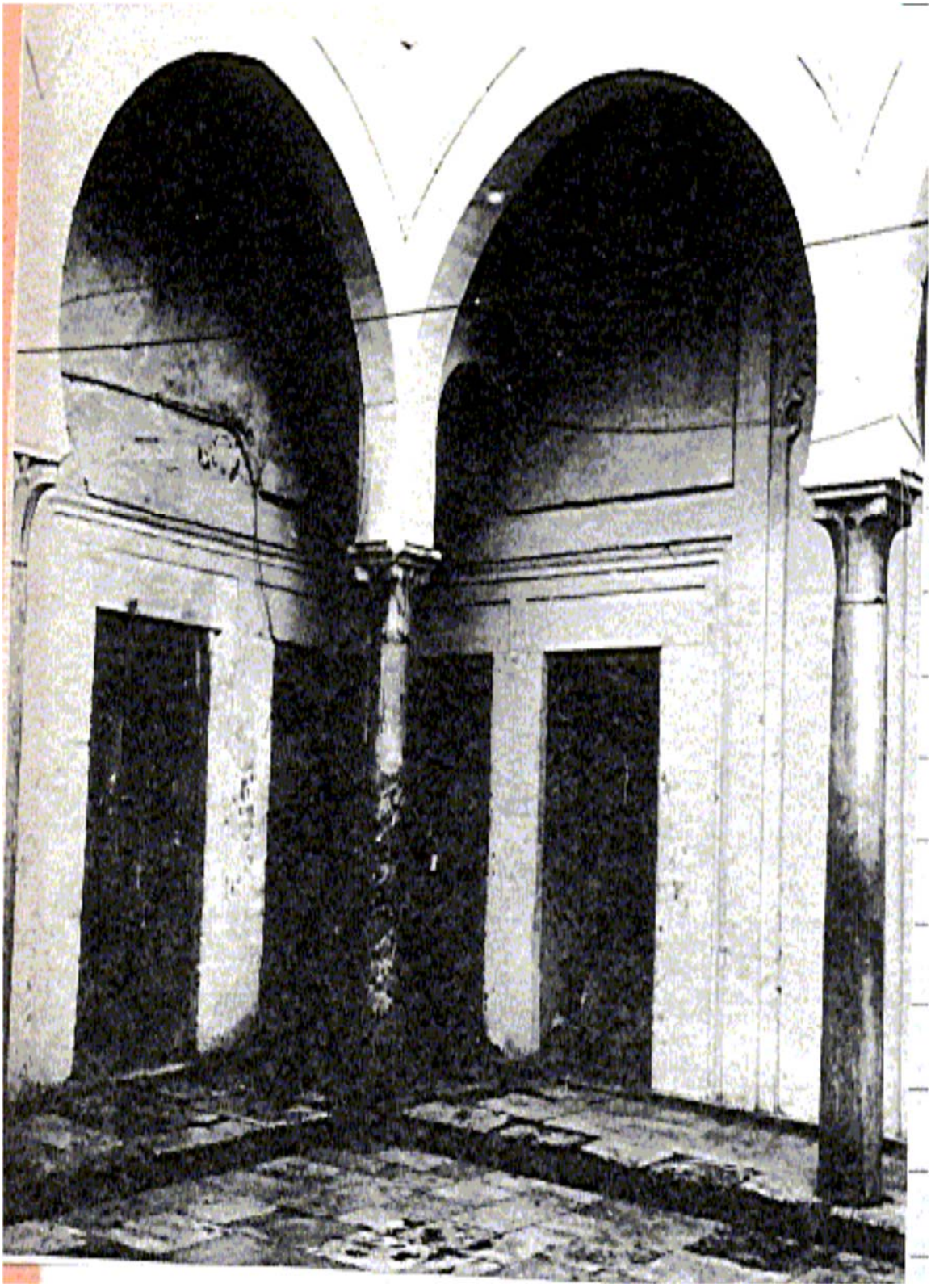

نقلا عن: جميلة مبطي المسعودي، المظاهر الحضارية في عصر بني حفص، ص 245.

ملحق رقم 15: مدرسة العباد

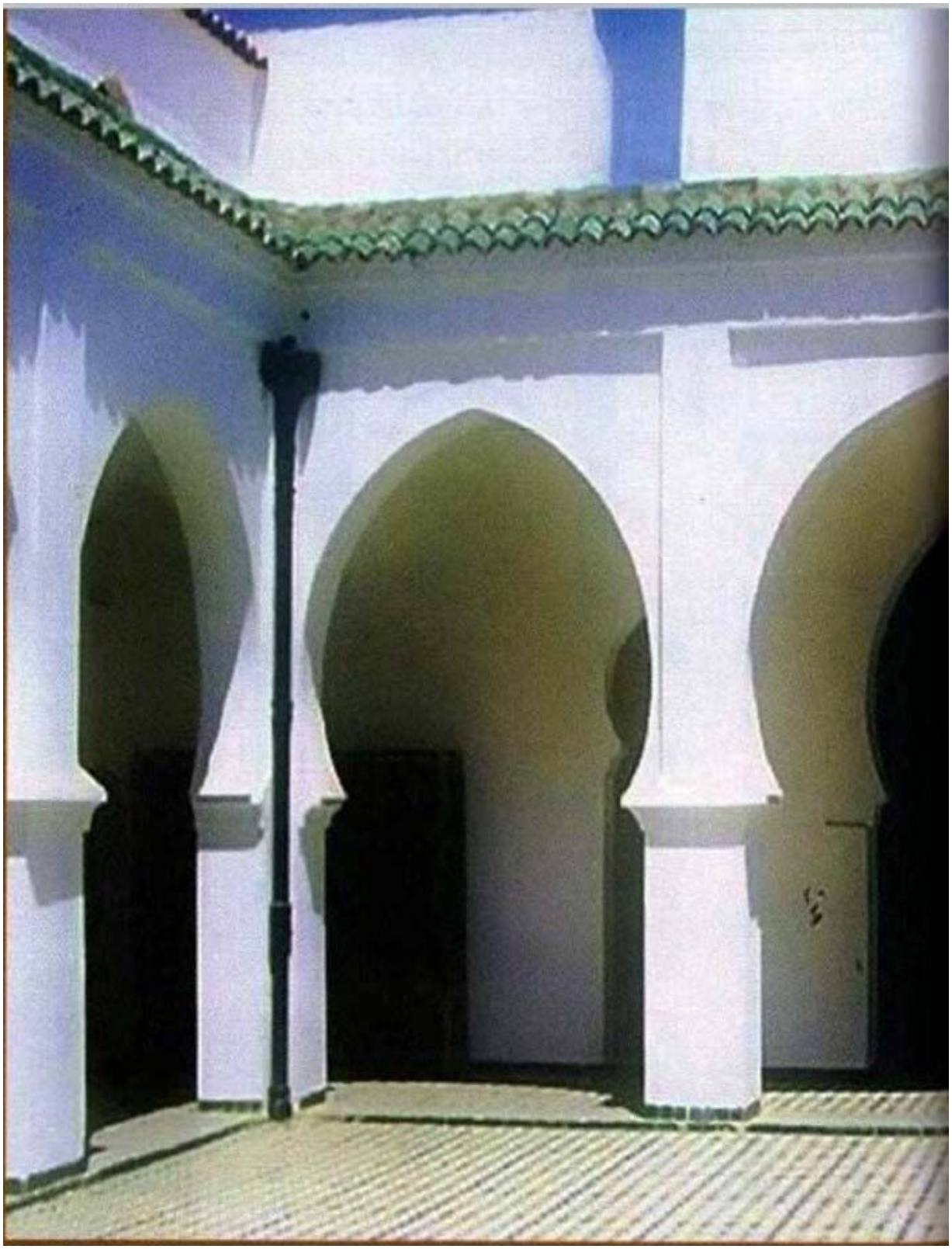

نقلا عن: عبد المالك موساوي، فن الزّخرفة في العمارة الإسلاميّة بتلمسان، ص 167.

ملحق رقم 16: مدرسة العطارين.

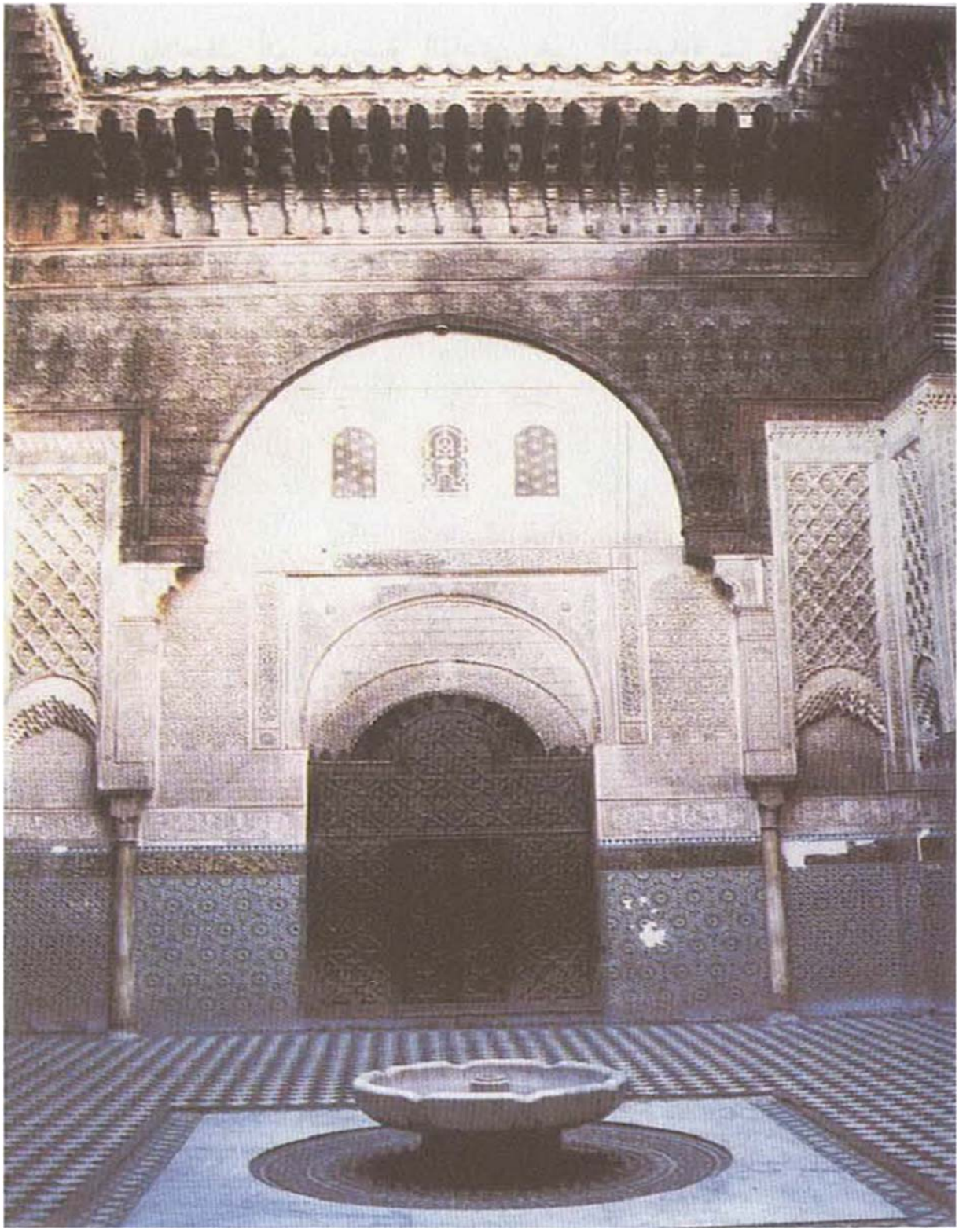

نقلا عن: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرنيين، ص 242.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كلمة بين يدي البحث	
الإهداء	
شكر وعرفان	
المقدمة	أ–د
تمهيد: لمحة تاريخيّة جغرافية عن الإمارات المغربيّة الثّلاث	01
الفصل الأوّل: عوامل اِزدهار الإمارات المغربيّة، وأبرز العلماء ومُصنفاتهم	
المبحث الأوّل: الإمارة الحفصيّة	10
أ- عوامل اِزدهار الحركة العلميّة والثّقافيّة بالدّولة الحفصيّة	10
1. المساجد	10
2. الزّوايا	13
3. المدارس	15
4. المكتبات	18
5. هجرة الأندلسيين	19
ب-أشهر علماء الدولة الحفصية ومصنفاتهم	22
أولاً: العُلوم الدِّينيّة	22
1. التّفسير	22
2. علم القراءات	23
3. الحديث	24
4. الفقه	25
ثانيًا: العُلوم اللِّسانيَّة	28

1. علم اللّغة	28
2. النّحو	28
3. البيان	29
4. الأدب	29
ثالثًا: العُلوم الاجتماعيّة	38
1. التّاريخ	38
المبحث الثّاني: الإمارة الزّيانيّة	41
أ- عوامل اِزدهار الحركة العلميّة والثّقافيّة بالإمارة الزّيانيّة	41
1. المساجد	41
2. المدارس	43
3. عناية وتشجيع الأمراء للعلم والعلماء	45
4. المكتبات	46
5. توافد الأندلسيين على تلمسان	47
ب-أشهر علماء الفترة الزّيانيّة ومُصنفاتهم	47
أولاً: العُلوم الدّينيّة	48
1. التّفسير	48
2. الحديث	48
3. الفقه	51
4. السّيرة النّبويّة والعقيدة	51
ثانيًا: العُلوم اللّسانيَّة	53
1. النّحو	54

2. الأدب	54
ثالثًا: العلومُ الاجتماعيّة	55
1. التَّاريخ	64
المبحث الثّالث: الدّولة المرينيّة	66
أ- عوامل ازدهار دولة بني مرين	66
1. المساجد	66
2. الزّوايا	68
3. المدارس المرينية	69
4. تشجيع سلاطين بني مرين للعلم والعلماء	71
5. المكتبات	71
6. هجرة الأندلسيين	72
ب-أشهر علماء بني مرين ومُصنفاتهم	73
أولاً: العُلوم الدِّينيَّة	73
1. التّفسير والعلوم المُتَّصلة به	73
2. الحديث	74
3. الفقه	75
ثانيًا: العُلوم اللِّسانيَّة	77
1. النَّحو	77
2. البلاغة	78
3. الأدب	78
ثالثًا: التَّاريخ والجغرافيا	86

الفصل الثّاني: الرّسائل ومَوضُوعاتها في الإمارات المغربيّة	
تمهيد	90
مفهوم الرَّسائل	91
أنواع الرَّسائل	92
المبحث الأوّل: الرَّسائل الحفصيّة ومَوضُوعاتها	94
أولا: الرَّسائل الدِّيوانيّة	94
1. رسائل الجِهاد	94
2. رسائل المُعاهدات	96
3. رسائل البيعة	99
4. رسائل التَّعازي	102
ثانيًا: الرَّسائل السّلطانية	102
ثالثًا: الرَّسائل الإخوانية	103
1. رسائل المَودّة والصَّداقة	104
2. رسائل التَّشوق	104
رابعًا: رسائل المَوضُوعات العامَّة	104
المبحث الثَّاني: الرَّسائل الزّيانيَّة ومَوضُوعاتها	105
أولا: الرَّسائل الدِّيوانية	106
1. رسائل البيعة	108
2. الظهائر الرَّسمية	110
3. الشُّكر على أداء فريضة الحجّ	115
4. المُعاهدات	116
5. المُواصلة	117

ثانيا: الرَّسائل الإخوانية	123
ثالثا: الرَّسائل الدّينيّة الوعظية	123
المبحث الثّالث: الرَّسائل المرينية ومَوضُوعاتها	123
أولا: الرَّسائل الدّيوانيّة	130
1. الفُتوحات	131
2. التَّهنئة	132
3. التَّوصية بالحَجِيج	133
4. الظهائر	132
5. الإعانة على الجِهاد	133
6. المُعاهدات	134
ثانيًا: الرَّسائل السّلطانية	135
ثالثا: الرَّسائل الإخوانية	136
1. التَّهاني	136
2. المودّة والصّداقة	138
3. المديح	139
رابعا: الرَّسائل الدِّينيّة الوعظية	140
الفصل الثَّالث: السّمات الجمالية في رسائل الإمارات المغربيّة	
تمهيد	144
1. البدء والعرض والختام	144
2. الإقتباس	151
3. الإيجار والإطناب	157
4. الجُمل الدّعائية والمعترضة	161

5. التَّنويع بين الشعر والنثر	164
6. الأمثال العربية	169
7. الأساليب	175
8. الجناس	181
9. الإِزدواج	183
10. الطّباق	188
11. المُقابلة	188
12. العكس والتّبديل	189
13. الخَيال والصّور البيانية	193
خاتمة	191
المَصادر والمراجع	196
المَلاحق	212
فهرس الموضوعات	233
المُلخص بالعربيّة	
المُلخص بالإنجليزية	

المُلخص:

تَهتمُّ هذه الدِّراسة بموضوع الجوانب الفنيّة في رسائل الإمارات المغربيّة (الحفصيّة، الزّيانية، المرينيّة) وقد جعلتها في تمهيدٍ وثلاثةُ فصولٍ وخَاتمة وسَبقْتُ ذلك بمقدمةٍ بيَّنتُ فيها دوافع اِختيار الموضوع، والمَنهج المتَّبع وأهّم المصادر والمراجع المعتمدة.

أمَّا التَّمهيد فاِستعرضت فيه البِدايات الأولى لنشأة هذه الإمَارات ذَاكرًا أنْسَاب وأصول بني حَفص، وبني زيّان، وبني مَرين والإمتداد الجُغرافي لكلِّ إمارةٍ معَ إعطاء نبذة تاريخيّة جغرافيّة عن بعض حَواضِرها كَفاس وتِلمسان.

وتَلا هذا التّمهيد ثلاثة فصول تَناولت في فَصله الأوَّل عَوامل اِزدهار الحَركة العلميّة والثّقافيّة في الإمارات الثّلاث، كمَا تحدثت عن أهمِّ العلوم السَّائدة وأبرز أعلامها ومُصنفاتهم.

وفي الفصل الثَّاني قسّمتُ الرَّسائل إلى أنواع تمثلت في الرَّسائل: الدّيوانية، السّلطانية، الإخوانية، الدّينيّة، العامّة، مُجتهدًا في تصنيفِ كلِّ نوعٍ إلى محاورَ حسب الموضوع الغالب فيها، فضمَّت الرَّسائل الدّيوانيّة (الظهائر، البيعة، الفُتوحات، المُعاهدات، الإعانة على الجهاد، التَّوصية بالحجيج، الشّكر على أداء فريضة الحَجّ، المُواصلة، التّعازي)، وضمَّت الرّسائل السّلطانية التّهنئة غَالبا، أمّا الرَّسائل الإخوانية فقد تَنوعت مَوضُوعاتها وشملت التَّهاني، التَّعازي، المديح، المَودّة والصّداقة، الإخبار.

أمَّا الفصل الثّالث فخصّصته للحَديثِ عن السِّمات والخَصائص الفَنيّة المَوجُودة في هذه الرَّسائل كطريقةِ بنائها والقَضايا البلاغية التي تَناولتها.

وفي خَاتمة الدِّراسة اِستعرضت أهمّ النَّتائج المُتوصّل إليها.

Abstract:

Maghrib (hafsiyah, ziyaniyah, mariniyah) and it consists of a preface, three chapters and a conclusion, and this is preceded by an introduction in which the motives for choosing the topic are explained, the approach followed, and the most important sources and references approved.

In the preface, the first beginnings of the emergence of these emirates were reviewed, mentioning the genealogies and origins of Bani Hafs, Bani Ziyan and Bani Marin, and the geographical extension of each emirate, while giving a geographical and historical overview of some of its village like fess and Tlemcen.

This introduction was followed by three chapters, the first of which dealt with the factors of the flourishing of the scientific and cultural movement in the three emirates, as well as talked about the most important mainstream sciences and their most prominent personalities and works.

In the second chapter, the letters were divided into types, represented in the Royal, Brotherhood, and general religious Diwaniyah letters, with each type classified into axes according to the predominant theme in them , the Diwaniyah letters included (dhaha'ir, the pledge, conquests, treaties, aid to jihad, recommendation to pilgrims, thanks for performing the Hajj, continuation, condolences) and the Royal letters often included congratulations, while the Brotherhood letters varied their topics and included congratulations, condolences, praise, affection, friendship, and news.

The third chapter is devoted to talking about the artistic features and characteristics found in these letters, such as the way they were built and the rhetorical issues they addressed.

At the conclusion, the study reviewed the most important results.

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر-2-
كلّية الآداب واللّغات الشّرقية
قسم اللّغة والأدب العربي

عنوان الأطروحة

الجوانب الفنيّة في رسائل الإمارات المغربيّة

(الحفصيّة، الزّيانية، المرينيّة)

تخصّص: الأدب المغاربي القديم

إعداد الطّالب:

- **محمّد حفاف**

إشراف الأستاذ الدّكتور:

- **د. طيب زريمش**

لجنة المُناقشة

الاسم واللّقب	الدّرجة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
نسيبة العرفي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	**رئيسًا**
طيب زريمش	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	**مُشرفًا**
حفصة جعيط	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	**مُناقشًا**
إسراء الهيب	أستاذ التّعليم العالي	جامعة الجزائر02	**مُناقشًا**
ميسوم فضة	أستاذ التّعليم العالي	زيان عاشور-الجلفة-	**مُناقشًا**
ميسوم فضة	أستاذ التّعليم العالي	زيان عاشور-الجلفة-	**مُناقشًا**

نوقشت بتاريخ:2024/06/03

01 JANVIER 2024